منبر الإسلام

مع العدد هديتان
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

عدد ممتاز

الثمن ١٠ قروش

أيضاً [illegible]

العدد ٦ • السنة ٢٩ • جمادى الآخرة ١٣٩١ • يوليو ١٩٧١

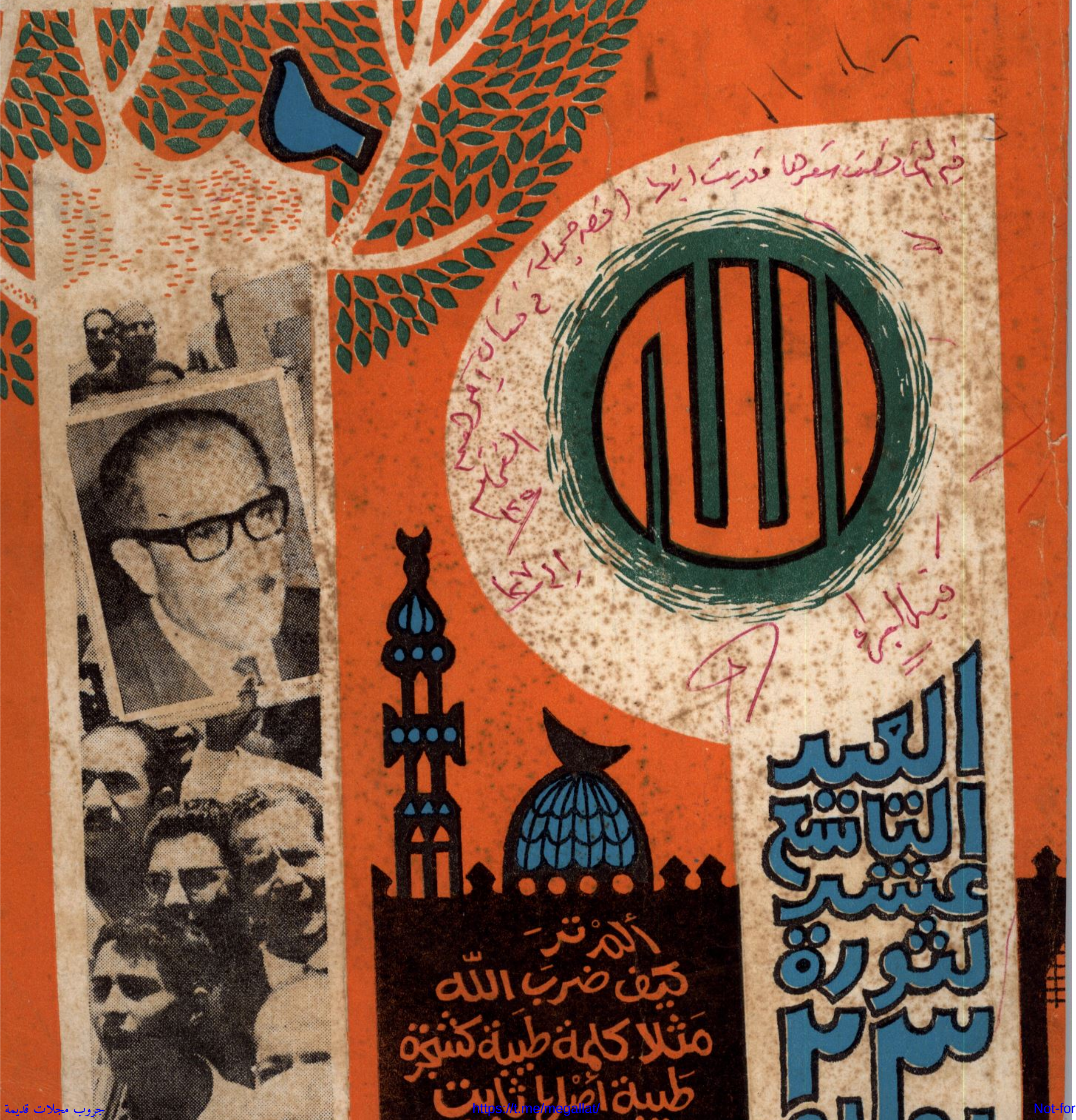
الله
ألم ترَ
كيف ضربَ اللّٰه
مَثلا كلمة طيبة كشجرة
طَيبة أصْلها ثابت

العيد التاسع عشر لثورة ٢٣ يوليو

[illegible]

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية

غرة كل شهر

رئيس التحر
محمد توفيق ع

سنة ٢٩ • جـ • يولي

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان
٣ شارع الامير قدادار ارع من شارع
التحرير خلف عمارة ى - القاهرة
تليفون ٢٨

الاشت
١٠٠ قرش ية العربية المتحدة
مح ب والطلبة
٨٠ قرشا رج الجمهورية
يضاف الى هذا ق العملة فى البلاد الاخرى
العربية المتحدة ات القرشين
تقبل كوبونا مقدما
الا

من محتويات العدد

- نص الرسالة التى وجهها الرئيس انور السادات الى المؤتمر السنوى لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، والتى تلاها فى جلسة الافتتاح السيد محمد توفيق عويضة الامين العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ومندوب مصر فى المؤتمر ١٩٧١/٧/٣ .

- نص الخطاب الهام الذى القاه السيد الرئيس انور السادات ، فى افتتاح الدورة التاسعة للمجلس الوطنى الفلسطينى المنعقد بالقاهرة فى ١٩٧١/٧/٧

- تفسير سورة المزمل وقضية الناسخ والمنسوخ
  الاستاذ احمد حسين

- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
  الشيخ عبد الجليل عيسى

- معانى الارض فى القرآن الكريم
  الدكتور احمد الحوفى

- من احكام الشريعة الاسلامية
  الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية

- التصور القرآنى للكون والحياة
  الاستاذ محمد شديد

- رأس الحسين رضى الله عنه وقبره
  الدكتورة سعاد ماهر

- مساهمة الشعب فى ادارة العدالة
  الدكتور محمود الهمشرى

- دولتنا العصرية
  الشيخ عبد الحميد بلبع

- دستور الاخلاق واخلاق الدستور
  الشيخ عطية صقر

- المشكلات اللونية فى العالم
  الدكتور محمد عبد الغنى سعودى

- قصة العدد [فرار]
  للاستاذ ثروت اباظه

معالم الطريق

نص الرسالة التى وجهها السيد الرئيس

أنور السادات

الى المؤتمر السنوى لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا والمنعقد بمدينة لوس أنجلوس فى الفترة من ٣ إلى ٥ يوليو ١٩٧١

والتى تلاها فى جلسة الافتتاح

السيد محمد توفيق عويضة

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومندوب مصر فى المؤتمر

وجه الرئيس أنور السادات رسالة الى المؤتمر السنوى لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، أكد فيها أن شعب مصر مصر على ألا يقف مكتوف الايدى أمام عدوان اسرائيل : وعلى استرجاع حقوقه كاملة ، مهما كلفه ذلك من بذل وتضحية .

وأضاف الرئيس السادات أن الولايات المتحدة تعلم ذلك . ولو أنها راعت ما يقضى به السلام الذى تقول انها حريصة عليه ، لوقفت موقف الحيدة : أو موقف العدالة ، فى الصراع الناشب بيننا وبين اسرائيل .

وكان المؤتمر قد بدأ أعماله فى ٣/٧/١٩٧١ ، وانتهى فى ٥ يوليه ١٩٧١ ، واشترك فيه ١٥ ألف مندوب ، لمناقشة موضوع أساسى هو : **الاسلام والانسان المعاصر :**

● ● ●

وفى جلسة الافتتاح تلا السيد محمد توفيق عويضه ، الامين العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ومندوب مصر فى المؤتمر رسالة الرئيس أنور السادات ، وهذا نصها :

● ● ●

أيها الاخوة ، السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد :

فانه يطيب لى أن أبعث اليكم عبر البحار بتحياتى وأن أدعو الله تعالى لكم بتوفيق الوسيلة وسداد الغاية

أيها الاخوة :

انكم تجتمعون لغرض نبيل ، هو خدمة دينكم فى غير ما عدوان على أحد ، ودراسة دينكم فى غير ما تعريض بدين ، لان الاسلام قائم على السماحة والتسامح وعلى حرية العقل والقلب ولانه يجل الاديان السماوية التى سبقته ويعترف بكتبها المنزلة ، ولا يتم اسلام المسلم الا بايمانه الكامل بما بعث الله تعالى من رسل وأنزل من شرائع .

ومعنى هذا أن الاسلام جاء ليوحد البشر لا ليفرقهم ، وليؤاخى بين الناس لا ليعادى بينهم وليرفع لواء الحرية فى العقيدة لا ليكره الناس على عقيدة

وهذه حقائق يعلمها دارسو الاسلام والعلماء بتاريخه سواء أكانوا من أتباعه أم من غير أتباعه .

كما يعلمون أن الاسلام سوى فى الحقوق والمعاملات بين المسلمين ومخالطيهم من النصارى واليهود حتى أن بعضهم تولى الحكم ، ونهض بأعباء الوزارة فى فترات شتى من التاريخ .

أيها الاخوة :

انكم تعرفون أن الاسلام عقيدة وشريعة وسلوك ،

لن نقف مكتوفى الأيدى أمام عدوان اسرائيل وسوف نسترجع حقوقنا

وتعرفون ان خير ما يكشف عن الحقيقة هو التطبيق العملى ، لانه النموذج المنظور المسموع الملموس .

ويسرنى أن اعلن أن هذا هو الذى تتوخاه مصر فى معاملاتها وفى سلوكها العالمى .

وحينما نقول مصر فاننا نعنى القلعة الحصينة من قلاع العروبة . والحصن المنيع من حصون الاسلام ، ونعنى القلب الكبير النابض للشرق الاوسط ، ونعنى ميراثا عظيما من الحضارة شعت أنواره على العالم كله ، ونعنى الشعب العريق الذى استطاع أن يجمع بين المسالمة والعزة وأن يلائم بين التسامح والاباء ، وان يوائم بين الصفح والكبرياء الشعب الذى يعفو ولكنه لا ينخدع ويتغاضى ولكنه لا يذل ، ويصبر ولكنه لا يستكين .

فليس عجيبا أن يشهد التاريخ بأن سلام المنطقة كلها مرهون بسلام مصر وان قلاقل المنطقة كلها أصداء لقلاقل مصر .

لهذا كانت رغبتنا فى سلام مصر وفى سلام الشرق الاوسط وفى سلام العالم كله هى التى أملت علينا أن نصبر ولكن فى يقظة وتحفز ، لنسترجع حقوقنا المسلوبة بالحلول السلمية ما استطعنا الى السلام سبيلا .

أيها الاخوة :

نشهد الله تعالى والعالم أجمع أننا لسنا دعاة حروب ، ولا صناع دمار ، وانما نحن دعاة خير ومحبة وسلام ، لان ديننا يوجب علينا ذلك ، ولان تقاليدنا واخلاقنا العربية تحبب الينا ذلك ، ثم ان تاريخنا المجيد الحافل يؤيد هذا ويؤكده .

ولن يستطيع أحد أن ينكر مابذلناه وما نبذله فى الدعوة الى سلام المنطقة ، وفى السعى الدائب المخلص لحل مشكلاتنا بوسائل السلام لا بوسائل الاستسلام التى نرفضها ونأباها .

والعالم كله يعرف الان أننا تقدمنا مرات بمقترحات ترمى الى استرداد أراضينا شبرا شبرا واسترداد حقوق عرب فلسطين التى لا يمكن أن نفرط فيها بطرق سليمة عادلة لا تخضبها دماء ، ولكن اسرائيل أصرت على عنادها ، وتمادت فى جشعها وأصمت اذنيها عن صوت العدل والعقل والحكمة ، وعن قرار مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة .

ثم عرض علينا مشروع روجرز فقبلناه على أنه بداية قد تحقق خيرا لنا وللمنطقة كلها ، ولكن اسرائيل تمادت فى طغيانها وتنكرت لمشروع روجرز فلم يعد سرا أن الاكثرية من دول العالم عرفت حقيقتنا وحقيقة اسرائيل ولم يعد سرا أننا نحظى بتأييد عظيم لاسترجاع حقوقنا المغتصبة فى عصر يجب أن تكون السيادة فيه للقانون والا خسر العالم جهوده الحضارية والعلمية ورجع الى شريعة الغاب والمخلب والناب .

ولكى نؤكد احترامنا المطلق للقانون ، ورغبتنا فى سلام العالم كله وفى رخائه بادرنا باقتراح يكفل هذا ، وهو أننا لا نمانع فى عودة الملاحة الى قناة السويس بشروط عادلة أعلناها وعرفها العالم أجمع تمليها علينا وطنيتنا وكرامتنا ومركزنا الدولى ، ولكن اسرائيل

الإسلام سوّى فى الحقوق والمعاملات بين المسلمين ومخالطيهم من النصارى واليهود

طمعا فى التوسع تغاضت عن هذا كما تغاضت عن كل مشروع عادل تقدمنا به .

فلا عجب بعد ذلك فى أن يصر شعبنا الابى على الا يقف مكتوف الايدى أمام عدوان اسرائيل ، وان يصر على استرجاع حقوقه كاملة مهما كلفه ذلك من بذل وتضحية .

ولا شك أن الولايات المتحدة الامريكية تعلم هذا ، وتستطيع أن تلزم اسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الامن لانها هى التى تساندها بالمال والسلاح ولو أنها راعت ما يقضى به السلام الذى تقول انها حريصة عليه ، لوقفت موقف الحيدة أو موقف العدالة فى الصراع الناشب بيننا وبين اسرائيل ، وهو فى حقيقته صراع بين الحق والباطل ، وبين القانون والفوضى .

أيها الاخوة :

سلام عليكم جموعا فى مؤتمركم .. وسلام عليكم فرادى بعد انفضاض مؤتمركم .. وفقكم الله ورعاكم .. وسدد الى الخير خطاكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله

● ● ●

وقد شكل المؤتمر لجانا لبحث عدة مسائل اسلامية أهمها « المسلمون فى أمريكا » و « التنسيق والتعاون لتعليم الاسلام للاطفال » وقد تحدث السيد محمد توفيق عويضة فى الجلسة الختامية للمؤتمر عن مساهمة الاسلام فى الحضارة .

ويقدر عدد المسلمين الموجودين فى أمريكا من غير الزنوج بحوالى نصف مليون مسلم هم من العرب المهاجرين الذين يدرسون فى الولايات المتحدة ■

نص الخطاب الهام الذى ألقاه السيد الرئيس
أنور السادات
فى افتتاح الدورة التاسعة للمجلس الوطنى الفلسطينى
٧ يوليو ١٩٧١

بسم الله

أيها الاخوة والاخوات يارفاق النضال

لعله شىء له معناه ، أن تتاح لى الفرصة للحديث أمام مؤتمركم مرتين فى هذا العام ·· هذا العام الذى اعتبرته واعتبره عاما حاسما ، فاصلا فى نضالنا

ولعلكم تشاركوننى هذا الاعتقاد ، فلقد وصلت أمور كثيرة فيه الى غايتها ، واستوفت شروطها ، وأصبح محتما علينا أن نختار ، وأن نقرر ، وأن نتحمل بمسئولية أقدارنا ومصائرنا ·

فى المرة السابقة التى كان لى فيها شرف الحديث الى مؤتمركم هذا ، فاننى ركزت على موقف الجمهورية العربية المتحدة ·

وليس لدى ما أضيفه الى ما قلته ، غير اشارة التأكيد والتعزيز ·

وهكذا فلعلكم تأذنون لى هذه المرة – أيها الاخوة ورفاق النضال – أن يكون حديثى هذه المرة عنكم ·

واذ أفعل ذلك ، فليس هدفى هو اقتحام خصوصياتكم ، أو التدخل فى شئونكم ، ذلك أننى فى الحقيقة لا أجد فواصل بين مواقفنا ومواقفكم ·· ليس فقط لان الطبيعة جعلتنا بالتاريخ وبالمصير كيانا واحدا ، بل أكثر من ذلك ، لان التحدى جعل منا فى الواقع قضية واحدة قد تتعدد جوانبها ، ولكنها فى جوهرها شىء واحد

وحدة إرادة الثورة الفلسطينية قبل أى شيء آخر

واذا كانت قضية فلسطين قد أصبحت فى الضمير العربى جزءا لا يتجزأ من نضال أى شعب من شعوب امتنا ، فانها بالنسبة للشعب المصرى جزء لا يتجزأ من حياته نفسها • من هنا ، فاننى اذ أتحدث عنكم هذه المرة ، لا أجدنى أتحدث عن الغير ، بل إكاد أتحدث عن الذات •• ومن هذا المنطلق ، فاننى أرجوكم أن تفسحوا صدوركم لما أريد أمانة أن اصارحكم به •

عدونا أصبح معزولا بجهودنا جميعا

■ **أولا :** ان قضية فلسطين ونضال الشعب الفلسطينى ، واجماع الامة العربية على حيوية هذه القضية والنضال من أجلها ، لم يكن فى أى يوم من الايام أوضح مما هو الان •

لقد كان من أبرز النواحى الايجابية فى النكسة ، أنها رفعت غطاء النسيان أو الصمت عن مشكلة فلسطين • وفى الوقت الذى ظن فيه العدو أنه دخل التاريخ كله وأزال معالم الجريمة باحتلال كل الارض الفلسطينية ، فان العنصر الفلسطينى فى أزمة الشرق الاوسط تفجر على ساحة المنطقة كلها ، وطالع العالم حيا ، ثابتا ، راسخا ، صامدا •• أقوى ما يكون •

ولقد عرف الضمير الانسانى كله عن المأساة بعد النكسة أضعاف أضعاف ما كان يعرفه قبلها ، وهذا فى حد ذاته كسب كبير •

■ **ثانيا :** انه كان لابد بعد ذلك ترجمة هذا الاثر المعنوى الكبير بعمل مادى يعمق الالتزام الانسانى تجاه الحق الفلسطينى ، ويرسخه ، ليكون تأثيرا سياسيا واقعيا ، يقدر على تحريك المواقف •

ان الجمهورية العربية المتحدة فعلت الكثير فى هذا المجال •• واذا كان العدو يبدو الان على الساحة العالمية معزولا ومدانا ، فان ذلك كان نتيجة جهد شاق وعنيف شاركنا فيه جميعا •• كل منا بقدر ما وسعته ظروفه ووسائله • وفى هذا الصدد ، فاننى أعتز دون مفاخرة بنصيب الجمهورية العربية المتحدة فى تحقيق هذه النتيجة التى سعت اليها بكل تكاليفها المادية والمعنوية فى وقت اكتفى فيه غيرها بالدعاوى أو الادعاءات التى لا تهزم عدوا بقدر ما تحرج صديقا ، فى حين ان ذلك آخر ما نريد •

■ **ثالثا :** انه كان لابد لكم – للثورة الفلسطينية – بعد ذلك ، من ان تخترقوا بعملكم الايجابى ، وفى الميدان ضد العدو ، أن تخترقوا المسافة الشاسعة بين الاعتراف بالحق من جانب العالم والاضطرار الى التسليم به كرها من جانب العدو ، ولست أنكر أنكم فعلتم الكثير مما كان ، وسوف يظل شرفا للسجل النضالى العربى ، بأى مقياس من المقاييس •• لكنه ينبغى لنا جميعا أن نسلم بأنه كان فى مقدورنا أن نفعل أكثر مما فعلنا ، وعلى أى حال فذلك هو التقييم الاصيل الذى يصارح المقاتلون أنفسهم به فى سعيهم الدءوب ، الى خدمة هدفهم الذى به يؤمنون ، ومن أجله يعطون بغير قيود ولا حدود •

الجبهة الشرقية : أولى العقبات

■ **رابعا :** ولكى أكون منصفا معكم ، ومع الواقع ، فلابد أن أقول انه كانت هناك عقبات أمامكم ، وأولى هذه العقبات ان الجبهة الشرقية التى كان مفروضا ان تكون الثورة الفلسطينية قوة من قواها الضاربة ، لم تقم قط •• وهكذا بقى جهد الثورة الفلسطينية وحيدا مكشوفا ومعرضا ، وزاد على ذلك أن واجهت الثورة الفلسطينية مضاعفات فى الموقع

الثورة الفلسطينية حققت الكثير ويجب أن نسلم بأنه كان فى مقدورنا أن نفعل أكثر

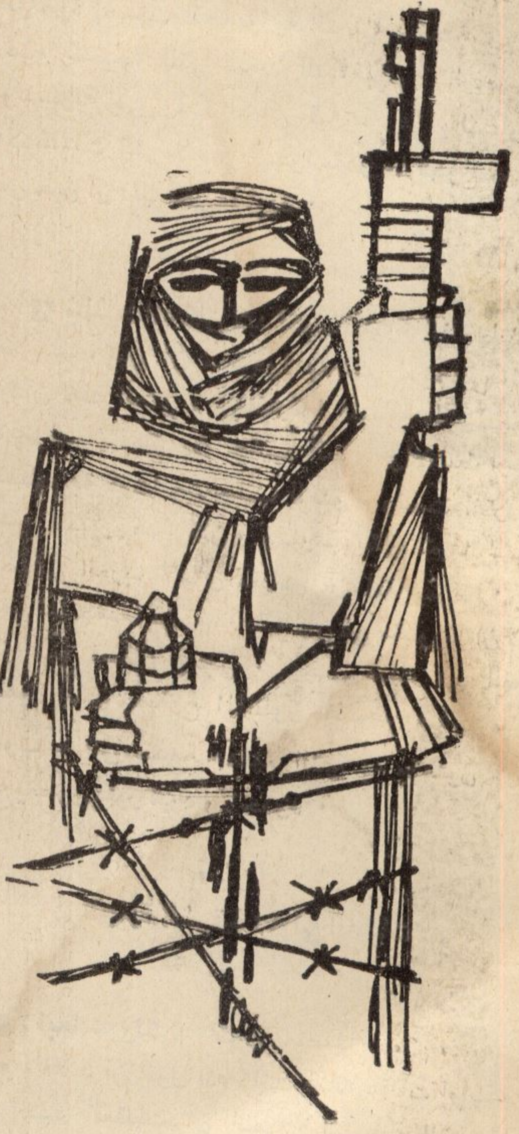

الذى هيأته الظروف ليكون قاعدتها الاساسية وهو الاردن .

ومع انى لا أريد ـ حرصا على جهود أخوية كثيرة أرجو لها أن توفق وأن تصيب ـ أن أخوض فى تفصيلات ما حدث الا أننى لا أجد بديلا للعودة الى الالحاح على انه لا سبيل أمامنا جميعا غير التنفيذ العملى والمخلص لاتفاقية القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وما لحق بها بعد ذلك من ترتيبات اضافية فى عمان ، ولعله يجدر بنا ، فى هذا الصدد ، أن نذكر أن اتفاقية القاهرة كانت آخر ورقة وضع عليها جمال عبد الناصر توقيعه ، وآخر عمل عظيم أنجزه ، بل انكم لتعرفون أنها كانت آخر خفقة فى قلبه ، قلبه الذى اتسع دواما لكل آلام أمته ، وهمته التى اتسعت باستمرار لكل آمالها .

■ **خامسا :** ان واجب الامانة يقتضينى أن أضيف الى ذلك ، ان العوامل التى اعترضت وحدة الارادة الثورية الفلسطينية ، كان لها دور كبير فيما نعانيه الان ونشكو منه ، من أسباب القصور وذلك شىء لا نستطيع ان نداريه بالسكوت ولا ان نقبل به تحت أى من المعاذير والتعلات .. انكم طليعة الثورة فى هذه الامة .. وأنتم من هنا الاولى بمواجهة الحقيقة .. وكما قلت لكم ، هذه لحظات حسم وقطع .. وهذا ، كما قلت أيضا جو الوضوح يحيط بنضالكم ويضفى عليه نورا وجلالا أمام الضمير العالمى .

وهذا عدوكم فى حالة المعزول والمدان انسانيا .

وهذه مسئوليتكم امانة تاريخ ومصير .. ومعكم ، كما قلت ، تأييد أمتكم الى آخر مدى ، على اساس اتفاقيات القاهرة وعمان .

واذن ماذا نفعل .. أجدنى فى النهاية وأصلا الى الخلاصة التى ابتغيها من هذا الحديث .. اجدنى بالاخوة وبالمحبة وبهذه الوحدة الرائعة التى تصنعها رفقة السلاح والكفاح . أقول لكم ، وحدة ارادة الثورة الفلسطينية قبل أى شىء آخر .. بحق أمتكم هذا هو المطلب .. بحق فلسطين هذا هو المطلب .. بحق الله واهب الحياة ، والتى يريدها لنا قوية عزيزة شريفة ، هذا هو المطلب .. ذلك هو مطلب النصر الاول .

ولكم أنتم أن تختاروا طريقكم اليه .. ولكم أنتم أن تحددوا أسلوب سعيكم من أجله .. لكم النصر باذن الله .

وليكن معنا عونه ورضاه لكى يتحمل كل منا فى هذه اللحظات واجبه ، شرفا لهذه الامة ، وتكريما لتاريخها ، وحفاظا على قدرها .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

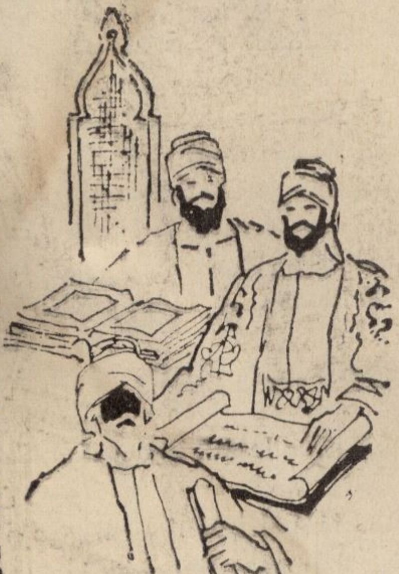

التشريع . الفقه . الأبحاث
الدراسات الصّوفية فى الإسلام

سورة المزمل وقضية !!

الأستاذ أحمد حسين

يا أيها المزمل ● قم الليل الا قليلا
نصفه أو انقص منه قليلا
أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا
انا سنلقى عليك قولا ثقيلا
ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا
ان لك فى النهار سبحا طويلا
واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا
ان لدينا أنكالا وجحيما ● وطعاما ذا غصة
وعذابا أليما
يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا
مهيلا
انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا
الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا
السماء منفطر به كان وعده مفعولا
ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه
وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل
والنهار علم آن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ماتيسر
من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون
يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون
يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا
وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

سورة مكية :

سورة مكية ماعدا آيتها الاخيرة فيرى البعض انها مدنية على تفصيل سنسوقه عند التعرض لهذه الاية ونحن من هذا الرأى للاسباب التى سنذكرها

والسورة من أوائل مانزل من السور ، وآياتها تنطق بذلك ، وهى تحمل طابع بدء تكليف سيدنا محمد بأداء الرسالة ، وتبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ينتظره من متاعب ومصاعب ، وتحثه على الصبر الجميل ، وأن لا يشغل نفسه طويلا بالمكذبين، فالله هو الذى يدبر أحوالهم ومصيرهم .

يا أيها المزمل ● قم الليل الا قليلا ● نصفه او أنقص منه قليلا ● أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ● انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ● ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ● ان لك فى النهار سبحا طويلا ● واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ●

المزمل : المتلفف فى ثوبه — **الترتيل** هنا بمعنى التأنى فى القراءة وتجويدها بتبين كل حرف من حروفها .

ناشئة الليل : اى ساعات الليل .

أشد وطأ : أى اكثر موافقة ومطابقة للسمع والبصر ، **وأقوم قيلا** : أى أصوب وأحكم **وتبتل اليه تبتيلا** : اى انقطع لعبادته .

أعداد الرسول لاداء الرسالة :

فى هذه الايات كما قدمنا اعداد للرسول صلوات الله عليه للقيام بأداء الرسالة ولقد تحدثنا باستفاضة فى تفسير سورة [اقرأ] وسورة المدثر كيف هبط الوحى لاول مرة على سيدنا محمد ، وكيف أشفق على نفسه فى بادىء الامر ، تصورا منه أن ما رآه

الناسخ والمنسوخ

وما سمعه ليس من الله عزَ وجلَ ؟ وهذه هى آية صدقه وأمانته ، فقبل أن يتصدى لدعوة الناس كان عليه هو نفسه أن يتحقق مما أنزل اليه ، ولهذا تشير الاية الكريمة من آخر سورة البقرة اذ تقول : **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه .**

ولقد بينا فى تفسير سورة العلق ـ بفتح العين واللام ـ كيف عاد سيدنا محمد وفؤاده يرتجف عندما نزل عليه الوحى لاول مرة فى غار حراء ، ورجع لزوجته الامينة الصادقة وكاشفها بما رأى وسمع ، وقال لها أنه يخشى أن يكون قد أصابه مس .

وقد كانت المرأة العظيمة ، هى التى هدأت من روعه ، وذكرته بخصاله الحميدة ، وأخلاقه الكريمة، وأن الله لا يمكن أن يخزيه أبدا ، وكان مما قاله سيدنا محمد للسيدة خديجة عقب عودته من غار حراء « **زملونى زملونى ، أو دثرونى دثرونى** » أى انه طلب أن يلتف بثوبه ، ويترك لينام ليستريح من شدة التجربة التى حلت به ، فنزلت هاتان السورتان « **يا أيها المدثر ، ويا أيها المزمل** »

والمطالع الدارس للسورتين ، لا يستطيع ان يقول اى المطلعين من السورتين قد نزل اولا فكلاهما يوجه الخطاب المباشر لسيدنا محمد ويناديه بصفة خاصة به ساعة نزول الايات على سبيل التحبب والاعزاز (**يا أيها المزمل : يا أيها المدثر**) وكلا المطلعين يعدان الرسول لاداء الرسالة التى اختاره الله من بين البشر لادائها ، ففى سورة المدثر يقول له : **قم فأنذر** ، وفى هذه السورة يقول له : **قم الليل الا قليلا** ، وكل من الامرين متصل بالاخر فلكى يقوى على تبليغ الرسالة ، لابد له من قوة روحية ، وقيام الليل هو مصدر هذه الطاقة الروحية ، واذا كان اى السورتينَ قدَ نزلَ أولاً منَ الامورَ التى لايمكنَ فيها تغليب رأى على رأى، فالذى يستطيع أن يجزم به فى اطمئنان أنهما نزلتا متعاقبتين متلاحقتين ، أذ انفردتا بمناداة النبى بنفس الوصف الذى أعقب رؤيته للوحى لاول مرة [**يا أيها المزمل ، يا ايها المدثر**]

قم الليل الا قليلا ◉ نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ◉

يكثر المفسررون القدامى من محاولة نقص القدر الذى كان يقومه سيدنا محمد ، ويتساءلون أهذا القيام كان فرضا أم تطوعا ، وهل كان خاصا برسول الله ، أم هو خاص بكل مسلم .

وينتهون الى القول بأنه كان فرضا بالنسبة للمؤمنين كافة ، ثم أصبح تطوعا بالاية الاخيرة ونحن لا نوافق على شىء من ذلك كله وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « **الاسلام ورسوله بلغة العصر** » فى البحث الخاص بالناسخ والمنسوخ .

وعندنا أنه عندما نزلت هذه الايات لم يكن ثمة مؤمنون الا سيدنا محمد وزوجه وتابعه وصاحبه ، ولذلك فالحديث موجه الى سيدنا محمد خاصة وقيام الليل هو الشحنة الروحية التى يحتاجها سيدنا محمد لمواجهة ما هو مقبل عليه ، والدعوة الى قيام الليل ، صيغت بالاسلوب الذى يدع الخيار لسيدنا محمد فى مدى ما يقوم فيه للصلاة بالليل ، ومن المعروف والمشهور أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام قبل البعثة كان يخلو بنفسه شهرا كاملا فى غار حراء يتعبد فيه لله بوجدانه ، وبقدر ما تهديه اليه فطرته السليمة النقية الطاهرة ، والمهم أنه كان يعتزل الناس وشواغل الحياة ، وغنى عن البيان أنه فى هذه العزلة المطلقة لم يكن يديم النوم ، وأما

وقد هبط عليه الوحى وأصبح مكلفا بأداء الرسالة ، فقد بدأ الله يوجه سهره وسهده بالليل ، فلا يكون أرقا ، ولا يكون قلقا ، وانما يكون توجها لله عز وجل ويكون دعاء وصلاة وتهيؤا للاضطلاع بالرسالة .

ونحن لا نفهم من قول القرآن الكريم [**نصفه او انقص منه قليلا ● أو زد عليه**] الا أنه رخصة لسيدنا محمد أن يقوم قدر استطاعته .

فمحاولة تحرى مدة القيام بالضبط وهل هى الثلث او الربع او اكثر او اقل هو تكلف لا ضرورة له خاصة وان طول الليل يختلف من فصل لاخر ، بل من يوم ليوم وهو ما اشارت اليه الاية الاخيرة من السورة بالذات حيث ظن بعض المؤمنين الاوائل انهم مقصودون بهذا الخطاب وليس الامر خاصا بسيدنا محمد فراحوا يقومون الليل كله من باب الاحتياط ويتحملون مالا يطيقون ، حتى لقد قيل ان اقدام بعضهم قد تورمت ، ومن أجل تصحيح هذا الفهم الخاطىء نزلت الاية الاخيرة كما سنرى : فالقاعدة الشرعية الاساسية وهى حجر الزاوية فى كل عبادات الاسلام [**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**]

انا سنلقى عليك قولا ثقيلا

يحاول بعض المفسرين القدامى أن يصرف كلمة ثقيلا الى معناها الحرفى فيقول ان الكلام ثقيل لانه كلام الله فلا هو بالفارغ ولا هو بالسفساف ، ويقولون ثقيل ، أى فى الميزان ... وكل هذا تكلف فالقرآن يفسره ما قبله وما بعده ، ويفسره بالاكثر واقع الحال

وواقع الحال هنا أن الله سبحانه وتعالى ينبه رسوله الى ما سوف يلقى على عاتقه من مهام جسام ، وان هذه الدعوة الى توحيد الالوهيه وهجر الاصنام ليست بالشىء الهين البسيط ، وانما هى مسألة تحتاج الى كل عزم الرسول واحتماله المشاق والاثقال ، وانه يجب لذلك ان يتذرع بالصبر والصلاة

والصلاة اطيب الصلاة هى ما كانت فى هدوء الليل ، حيث يتفرغ القلب من شواغل الدنيا ، ويصبح التوجه الى الله وتلاوة القرآن اكثر موافقة ومطابقة

ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ● ان لك فى النهار سبحا طويلا ● واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا

ناشئة الليل : يدور خلاف كبير حول ناشئة الليل ، فيقولون هى اول الليل ، ويقولون بل هى كل ساعات الليل ، وينتقل البعض بالمعنى من انه وصف للزمان الى انه وصف للمصلى نفسه ، وقد رجعنا كعادتنا لاستلهام الفاظ القرآن فوجدنا ان القرآن الكريم قد استعمل كثيرا فعل انشأ بمعنى خلق وبدأ غير ان المداوم على تلاوة القرآن سرعان ما تتكون عنده حاسة اشفاع كلمات القرآن .

والمعنى الذى تشعه عبارة ناشئة الليل وهى فى هذا السياق مع ما قبلها وبعدها ، ان القيام بالليل والناس نيام ، والتوجه الى الله عز وجل فى هدأة الليل له خصائصه ومزاياه حيث تشف الروح ، ويزداد التقارب من روح الله ، فتصبح لتلاوة القرآن مذاق أى مذاق .

وأقوم قيلا : اشد تثبيتا للنفس والفؤاد .

ثقل الوحى :

على ان ثمة احاديث تساق فى هذا الموطن للتدليل على ثقل الوحى على رسول الله ونحن مع عدم موافقتنا على ان ذلك هو المقصود بهذه الاية ، ومع ذلك لا يسعنا الا ان نثبتها ليكون أمام القارىء كل ما قيل .

فيروى عن السيدة عائشة قولها ، « **ولقد رأيته ينزل عليه الوحى صلى الله عليه وسلم فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا** » .

وقال الامام احمد عن السيدة عائشة انها قالت : « ان كان ليوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها »

وقال ابن جرير بسنده : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها [بمعنى بركت على الارض] فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه . [أى ينتهى عنه الوحى] الجران هو باطن العنق .

وغنى عن البيان أن ايراد هذه الاحاديث بهذا الصدد يراد ان تفسر به كلمة [ثقيلا] وقد قدمنا أننا لسنا من هذا الرأى ...

فالمقصود هنا هو ثقل عبء المهمة التى ستلقى على كاهل سيدنا محمد فعليه ان يتذرع بالصبر والصلاة .

ان لك فى النهار سبحا طويلا

ومرة أخرى يتوه بعض المفسرين القدامى مع الالفاظ وحرفية معانيها ، فيذهب بعضهم الى ان سبحا معناها [نوما]

أى قم يا محمد بالليل والنهار أمامك لتنام فيه ، وهذا فى رأينا عكس المعنى الذى تشعه لنا الايات ، وهو على خلاف ما كرره القرآن دواما من ان الله جعل النهار مبصرا للجرى على المعايش ، وعلى هذا الضوء يجب ان تفهم آية [**ان لك فى النهار سبحا طويلا**] . أى ان النهار سيكون مخصصا للمعايش من ناحية ، ولمهام الدعوة ومشاقها من ناحية اخرى ، فليكن الليل وسكونه وظلامه هى فرصتك فى مناجاة ربك والانقطاع لعبادته [وتبتل اليه تبتيلا] .

رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا

أى فوض اليه جميع أمرك واعتمد عليه .

وفى هذه الاية الكريمة لب هذه الرسالة التى حملها سيدنا محمد لقومه وللبشرية كلها . وهى توحيد الالوهية .

وقد كانت القضية كل القضية ، ليس فقط بالنسبة للعرب ، بل لسائر الشعوب ليست مسألة وجود الله او عدم وجوده ، فتلك مسألة خارجة عن كل بحث . فالله موجود حقا وصدقا قد أجمع البشر على ذلك ولاشك فيها ، وانما المسألة والقضية كانت فى تعدد الالهة وانه اله واحد ، لا ترمز له هذه الاصنام ، ولهذا

اشار القرآن الكريم فى اكثر من آية ؟

ـــ ولئن سـألتهم من خلق السـموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله .

وأنما كانت مشكلة قريش أن سيدنا محمدا قد جعل الله واحدا احدا

ـ أجعل الالهة اله واحدا أن هذا لشىء عجاب

وهذا هو موضع انكار قريش ، وهذا هو ما جعل رسالة سيدنا محمد ثقيلة على انفسهم كل الثقل .

خاصية تعبيرات القرآن :

وقد أشرنا اكثر من مرة خلال تفسيرنا لسور القرآن الى اتساع معانيها لكل ما تكشف عنه الايام من تطورات وحقائق

وهذه الاية [**رب المشرق والمغرب**] فنحن نعلم الان بعد ثبوت كروية الارض ان ليس ثمة ما يطلق عليه مشرق ابدا ومغرب أبدا

والارض اليوم مقسمة الى ٣٦٠ درجة نصفها هو ١٨٠ درجة

وعندما تشرق الشمس على نصف الكرة الغربى فانها تغرب عن النصف الشرقى والعكس بالعكس

أى أن هناك منطقتين متميزتين لكل منهما شروق وغروب وهنا نجد القرآن الكريم يقول لنا :

ـــ رب المشرقين ورب المغربين

ولكننا اصبحنا نعرف أن الكرة الارضية تدور ، وبناء عليه فالشمس تشرق فى كل يوم على بقعة من الارض جديدة ، خلاف شروقها السابق من حيث الزمان والمكان ومن هنا يقول لنا القرآن الكريم

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب »

وهكذا تتضح آيات القرآن لكل ما يمكن أن يسفر عنه الكون من حقائق على مر العصور والقرآن يستخدم مختلف الصيغ لتكون متسقة مع اختلاف الفهم

لا اله الا هو فاتخذه وكيلا

ان يجعل الانسان الله تجاهه فى كل أمر من اموره

[**فاتخذه وكيلا**] أى سندا ومعينا ، وهذا هو أكسير الحياة الطيبة والسعادة فى الدنيا والاخرة ، هذا هو ينبوع القوة والشجاعة والنجاح

هذه هى عدة سيدنا محمد وخلفائه من بعده فكان هذا النجاح المذهل الذى حققوه .

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ● وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ● أن لدينا أنكالا وجحيما ● وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ● يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ●

اهجرهم : أى اعتزلهم ، **انكالا** : أغلالا وقيودا ، **ذا غصة** : أى يقف فى الحلق **الكثيب** : تل الرمل ، **المهيل** : الرخو المتداعى .

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وفى هذه الاية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا بأن يتقلد السلاح الثانى من أسلحة المجاهد والداعية فى سبيل الله والحق وهو ان يتذرع بالصبر ؟ اما السلاح الاول فهو ما بدأت به السورة وهو القيام لله أى التوجه اليه والاعتماد عليه والايمان بأنه مصدر القوى ونعم المولى ونعم النصير ، وقد جمع القرآن الكريم هذين السلاحين فى آية واحدة عندما يقول :

ـــ « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة »

ولقد تحدثنا فى اكثر من مناسبة عن الصبر وانه ليس قوة سلبية وانما هو قوة ايجابية وشرطه ان يتحمل الانسان المصاعب والمشاق وكل صنوف الحرمان مع الادراك والشعور والوعى . وذلك فى سبيل غاية سامية ، وهدف محدد يتصل بالمثل العليا

وهذا الادراك من ناحية ، والهدف السامى من ناحية اخرى هو الذى يفرق الصبر عن السلبية والاستسلام والموات ، والا فهناك مئات الملايين من البشر يعيشون فى الحرمان والالام ولا يمكن اعتبارهم من الصابرين ، لانهم لا يحسون بما هم عليه من ناحية ، ولانه لا يوجد لهم أى هدف فهم يعيشون لمجرد انهم وجدوا فى الحياة .

واهجرهم هجرا جميلا

ولسنا نستطيع الا ان نقف طويلا ، امام هذا الادب العالى والتربية السماوية لرسول الله ، اذ يأمره الله سبحانه وتعالى ان يصبر على اذى القوم له بالقول ، وان يعتزلهم لا عزلة القطيعة والمعاداة ، بل عزلة المعاتبة والاحتجاج الاخوى ، فهم اهله وعشيرته وقبل ذلك فهم البشر الذين جاء لهدايتهم واخراجهم من الظلمات الى النور فاذا قاطعهم واعرض عنهم نهائيا ، فكيف يؤدى الرسالة التى كلف بأدائها لهم فليس امامه الا الصبر والمصابرة ، وما اسماه الله بالهجر الجميل وليس يحسه ويفهمه الا الدعاة الصادقون فى سبيل الله اى الحق .

منسوخ بآية السيف

وليس هناك ما نأسى له اكثر من ان نجد فى التفاسير القديمة ، ان امثال هذه الاية قد نسخ بآية السيف ، بمعنى أنه قد بطل مفعولها .

وقد أبدينا دهشتنا فى بحثنا عن الناسخ والمنسوخ من مثل هذا القول ، فهذه الدعوات والتوجيه الالهى الكريم لا يمكن ان تنتهى ابدا ، فهى خالدة ما خلدت السماء والارض ، وهى تعمل كلما توافرت دواعيها

فكل مجاهد ، فى كل زمان ومكان وكل داع للحق والخير يتواجد فى مجتمع معاد لدعوته ، عليه أن يفعل مثل ما فعل سيدنا محمد فى مستهل دعوته ، وقد كان جهل بعض الدعاة لهذه الحقيقة وتصورهم ان هذه الاية منسوخة بآية السيف ، اقول كان لجهل هذه الحقيقة السبب الاكبر فيما أصيبوا به من متاعب ونكسات .

وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا

يقول الله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد : اتركنى يا محمد أتصرف مع هؤلاء الاقوام الاغنياء والاسياد الذين جحدوا بنعمتى عليهم ، فأنا أتكفل بتدبير شأنهم [فكان منهم من آمن ومنهم من **قتل فيما بعد**]

ومهلهم قليلا : أى لا تعجل عليهم ، فليس اصعب

على نفوس هؤلاء الكبراء أن ينزلوا عن معتقداتهم وتقاليدهم التى عاشوا عليها ، وان ينزلوا بالاكثر عن نفوذهم وسلطانهم الذى يتمتعون به فى ظل المجتمع القديم وهذا توجيه من الله عز وجل لكل صاحب رسالة ان لا يتعجل وان يتأنى ، وان يصبر على المخالفين حتى يألفوا الخير الجديد .

ان لدينا انكالا وجحيما ● وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ● يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا

حديث عن يوم القيامة وبعض أهواله ، حيث ينعكس كل مطبوع ، ويشذ كل مألوف .

فالسادة الذين فى الدنيا الذين اعتادوا أن يقيدوا الناس فى السلاسل يجدون أنفسهم وقد أصبحواهم فى الاغلال والسلاسل والذين اعتادوا على ترف الدنيا فى مطاعمهم ومآكلهم ، سوف تغص حلوقهم بأطعمة جهنم من زقوم وغسلين وهيئات وكيفيات لا يعلمها الا الله .

وترجف الارض والجبال أى تزلزل (**اذا زلزلت الارض زلزالها**)

وكانت الجبال كثيبا مهيلا أى تتحول الجبال عن طبيعتها فبدلا من أن تكون هى العمد الرواسخ والاوتاد تصبح ترابا يبابا .

(**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا**) سورة طه

انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا . فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به كان وعده مفعولا . ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

وترد الاشارة الى قصة سيدنا موسى وفرعون وقد ذكرنا من قبل أن قصص الانبياء والرسل قد وردت فى القرآن لتحقيق هدفين : **أولهما** : وحدة الدعوة الحقة الى الله .

« **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » الشورى ١٣

والهدف الثانى : هو تثبت فؤاد سيدنا محمد ، ووعده بالنصر النهائى وتحذير الكفار والمشركين بالتالى من مغبة كفرهم وعنادهم لان الامر سينتهى فى كل الاحوال بخذلانهم وانتصار دعوة الحق .

ولقد أشرنا بافاضة فى تفسير سورة النازعات الى قصة سيدنا موسى وفرعون وكيف عرضت فى القرآن .

وأغلب الظن والله تعالى أعلم ، ان قصة سيدنا موسى وفرعون كانت معروفة وشائعة فى الجزيرة العربية لسببين : **الاول** : أن مصر وخليج السويس وشبه جزيرة سيناء حيث دارت وقائع القصة تؤلف أجزاء مكملة لشبه جزيرة العرب ان لم تكن جزءا منها فى هذا التاريخ البعيد .

السبب الثانى لانتشار القصة وشيوعها ، هو تواجد عناصر يهودية بالذات حول قرى شبه الجزيرة ، وخاصة فى مكة ، وبصفة أظهر وأقوى فى المدينة المنورة . والايات واضحة وصريحة من حيث تحذيرها لقريش من أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل اليهم رسولا ، كما أرسل موسى من قبل الى فرعون والويل لهم ان هم كذبوا هذا الرسول وعصوه ليكونن جزاؤهم وعاقبتهم هو عين جزاء فرعون عندما اخذه الله أخذا وبيلا ، أى دمره وأهلكه بكفرانه وطغيانه .

فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا .

حديث عن أهوال يوم القيامة و (**الولدان شيبا**) كناية عن شدة هول ذلك اليوم والا فلن يكون هناك أطفال .

السماء منفطر به كان وعده مفعولا :

وانفطار السماء أى انشقاقها واختلال نظمها هو أحد مظاهر يوم القيامة وقد فصلنا فى ذلك القول فى تفسير سورتى الانفطار والانشقاق والتكوير .

ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

هذه هى عظمة الدين الاسلامى من حيث تقديسه للحرية الفردية ، فقد كان سبحانه وتعالى قادرا على أن يخلق البشر كسائر الكائنات الاخرى مطبوعين على عبادته ولكن شاءت ارادته لحكمة يعرفها هو أن يجهز الانسان بحرية الاختيار .

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ولقد فصلنا القول فى الايات المماثلة .

ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم .

نصل الان الى ختام السورة بآية دار حولها أكثر الجدل ، فمن قائل انها مكية ، ومن قائل انها مدنية ، وليس هذا هو المهم ، ولكن المهم ان جمهرة المفسرين والفقهاء القدامى يقولون أنها نسخت صدر السورة .

فبعد أن كان قيام الليل فريضة أصبح تطوعا .

فأما الذين قالوا بمكية الاية فقد استندوا الى أحاديث منسوبة الى السيدة عائشة تقول انها نزلت بعد عام من نزول الايات الاولى وفى خلال هذه السنة عانى الصحابة من قيام الليل ما عانوا فنزلت الاية الاخيرة تخفيفا عنهم . أما الذين قالوا بمدنية الاية فقد استندوا الى أحاديث اخرى تقول أن الاية نزلت

بعد عشر سنوات كما استندوا بالاكثر الى سياق الاية نفسها وطابعها ٠

ونحن من هذا الرأى فالاية تتحدث عن القتال فى سبيل الله كسبب للتخفيف ولم تكن فريضة القتال للدفاع عن العقيدة قد فرضت فى مكة حيث كانت الدعوة للصبر الجميل واحتمال الاذى والبعد عن العنف ، فنحن ممن يرجحون مدنية الاية ٠

الناسخ والمنسوخ :

على أن هذا ليس هو لب المشكلة ، وانما تبدأ المشكلة عند قول من قالوا أن هذه الاية تنسخ ما قبلها على الوجه المتقدم ، وقد شرحنا باستفاضة موضوع الناسخ والمنسوخ فى كتابنا الذى أشرنا اليه ، ولسنا نرى أى نسخ اذ لا تعارض بين ما جاء فى مستهل السورة وما جاء فى آخرها ، وقد ظل قيام الليل أحد مظاهر عبادة سيدنا محمد حتى آخر لحظة من حياته ، وقد كرر القرآن دعوته لسيدنا محمد لقيام الليل **(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)**

والحقائق التاريخية فى السيرة النبوية تدلنا على أن سيدنا محمدا والذين كانوا أول من آمن به من الصحابة ، لم يكن لهم من عمل طوال اقامتهم فى مكة الا احتمال الاذى والصبر على المكاره ، وليس شك أن قيام الليل هو زاد هذه المرحلة ، أما بعد أن هاجروا الى المدينة فقد اختلف الوضع وأصبح المجتمع اسلاميا ، فأخذ الصحابة يزاولون النشاط الانسانى المعتاد ، وقاموا فوق ذلك بالدفاع عن العقيدة عن طريق القتال ، فأصبح ذلك مما يتعارض مع قيام الليل ٠

وهذه الحقيقة هى أحد مظاهر عظمة الدين الاسلامي ومما يجعله دين الانسانية بلا مراء ٠ فهو يرتفع بالجرى وراء المعايش وطلب الرزق الى مرتبة العبادة أرفع درجات العبادة وهى قيام الليل ٠

فعندما ما ترى نفسك أيها القارىء الكريم مجهدا من السعى فى الحياة لتستغنى بالحلال عن سؤال الناس ، فاعلم انك مقبول عند الله ، وأنه راض عنك ٠

وليس تفسير عبارات الايات بعد ذلك بالشىء الصعب ٠

ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليلَ ونصفه وثلثه :

اشارة الى محاولة تحرى سيدنا محمد لمدى ما يقدمه من الليل ، فحينا يحاول أن يقوم النصف (أدنى من الثلثين وتارة يقوم الثلث (أدنى من النصف) وأحيانا دون الثلث (الربع) وقد قلنا انه من رأينا أن هذه المقادير كانت اجتهادية ، فلم تكن هناك ساعات ولا حتى (مزاول) وهو ما يشير له القرآن صراحة **(علم أن لن تحصوه)** وأن الله وحده هو الذى يقدر الليل والنهار ٠

وطائفة من الذين معك :

هذه الاية هى دليلنا على أنَ قيام الليلَ لم يكن كما قيل فريضة ثم أصبح تطوعا فهى تتحدث عن نفر من المؤمنين تطوعوا أن يقتدوا بسيدنا محمد فى قيامه الليل ، ولم يكونوا مأمورين بذلك ، فالخطاب كما قدمنا موجه بصفة خاصة الى سيدنا محمد (يا أيها المزمل)

فاقرءوا ما تيسر من القرآن :

وأصبح الواجب على المسلم أن يقرأ ما تيسر له من القرآن قدر استطاعته ٠

وقد استند بعض الفقهاء الى هذه الاية فى اشتراط قدر معين من تلاوة القرآن لصحة الصلاة ، حتى ذهب البعض الى أن تلاوة آية واحدة تكفى لصحة الصلاة ولكن هيئة الصلاة وكيفيتها ، قد نقلا الينا بالتواتر عن رسول الله ، وعندنا أن لا صلاة الا بأم الكتاب (أى الفاتحة) ثم يزاد عليها ما تيسر من القرآن، وهذا هو فعل الرسول الذى داوم عليه ٠

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة :

هذا هو النص على فرضى الصلاة والزكاة كما تحددتا فى المدينة ٠

وأقرضوا الله قرضا حسنا :

تعبير آخر من التعبيرات التى استعملت فى المدينة وهو يدعم ما ذهبنا اليه من مدنية الاية ، فالقرآن يستحث المسلمين على عمل الصالحات ، ويشبه لهم ذلك بأن كل عمل طيب يرفعونه لله فسوف يحفظه لهم ، ويرده عليهم اضعافا مضاعفة بالثواب والعطاء وقد استعمل القرآن هذا التعبير فى أكثر من سورة مدنية فأخذه اليهود (لعنهم الله) على ظاهره وحرفيته ، وقالوا أن محمداً يدعونا لنقرض الله فنحن أغنياء وربه فقير فدل ذلك على سفه عقولهم ورغبتهم فى التجنى والعناد ، والا فالمعنى واضح ومشرق من أن أى خير يفعله الانسان ، فسوف يجده عند الله محفوظا بل وقد نما وربا وصار أضعافا مضاعفة ٠

واذ كان المجتمع العربى مجتمع تجارة يدور على البيع والشراء والربح والخسارة ، فقد استعمل القرآن هذه العبارات القريبة الى أذهانهم الحبيبة الى نفوسهم ، فنرى فى القرآن :

ان الله اشترى من المؤمنين ٠

- فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ٠

- تجارة لن تبور ٠

واقراض الله هو من هذا القبيل كناية عن القيام بصالح الاعمال ٠

الاستغفار والتوبة : وتختتم الاية بأمر المؤمنين بالاستغفار ، والاستغفار هو مراجعة النفس ومحاسبتها وعندما يحاسب المؤمن نفسه حقا وصدقا ويعتزم ويصمم أن لا يعود لمثل ما فعل ، ويصدق النية فهذا هو أحسن النسك والله تعالى أعلم والحمد لله ٠

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة
الشيخ عبد الجليل عيسى

سبق أن تحدثنا فى المقال السابق على الخطر الشديد الذى وقع فيه المرحوم الجلال •

واليوم نتحدث على ما وقع فيه المرحوم فريد وجدى تبعا للجلال ، وهذه عبارته :

(هيت لك) أى أقبل (معاذ الله) أى أتحصن بالله والجأ اليه ليحفظنى « انه ربى » أى انه سيدى يعنى زوجها ، أكرم اقامتى « ولقد همت به وهم بها » أى قصدت مخالطته ، وقصد هو مخالطتها •• والهم بالشىء قصده والعزم عليه ، والمراد بهم يوسف منازعة الشهوة اياه لا القصد الاختيارى • وهذا لا يدخل تحت التكليف قط • بل يثاب المرء على الامتناع عن مجاراته • وهذا لا يقدح فى يوسف فانه عام فى جميع الناس • وانما يتفاضلون فى ضبط نفوسهم وكف رعونتها « لولا أن رأى برهان ربه » هنا جواب شرط محذوف وتقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها • أما هذا البرهان فقيل : انه رأى جبريل وقيل رأى يعقوب • وقيل نودى يا يوسف أنت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء • « كذلك » اى مثل هذا التثبيت ثبتناه • انتهت عبارة فريد وجدى وما يؤخذ عليه :

١ ـ قوله : سيدى يعنى زوجها • وقد علمت فساد هذا الرأى فى الرد على الجلال •

٢ ـ وقوله : قصدت مخالطته وقصد هو مخالطتها • ومعنى هذا أن همها وهمه من نوع واحد • وهو قصد المخالطة • وهذا لا يتفق مع قوله الاتى بعد •

٣ ـ وقوله : والهم بالشىء قصده والعزم عليه • قال فى مختار الصحاح : هم بالشىء أراده ، وفى المصباح : هم بالشىء أراده ولم يفعله ، ومنه فى القرآن (وهموا بما لم ينالوا) الى آخر ما تقدم فى الرد على الجلال •

واذا كان هذا هو معنى الهم فى لغة العرب فمن أين

جاء بما ذكره بعد ذلك فى قوله : والمراد بهم يوسف منازعة الشهوة اياه لا القصد الاختيارى · فهل منازعة النفس يقال لها ارادة وقصد ؟ وهل يقال عنه أنه « هم بها » أى قصد مخالطتها كما قال ؟ ومعنى كلامه أن منازعة الشهوة أمر يحصل رغم أنف المكلف فلا يكلفه الله البعد عنه ، فهو كالتنفس لا اختيار للعبد فيه فلا يكلف بتركه .

٤ – وقوله : انما يتفاضلون فى ضبط نفوسهم وكف رعونتها · نقول محل الفضل هنا اذا تركوا ما جال فى نفوسهم حياء من الله وخوف عقابه ، وهذا لا يتفق مع ما قاله فى بيان البرهان كما سيأتى .

٥ – قوله فى « برهان ربه » أنه رأى جبريل ، وقيل رأى يعقوب ، وقيل نودى يا يوسف أنت مكتوب ·· الخ .

هل امتناع يوسف بعد أن رأى البرهان بأحد فروضه الثلاثة يقال له امتناع بوحى من ضميره ، او حياء من الله ؟ بل أن الشخص دون العادى اذا رأى أحد هذه البراهين لتصبب عرقا ، ومات خجلا ، فأى فضل لنبى الله يوسف اذا ؟ اللهم رحمة بأنبيائك من شرور غفلة بعض المسلمين .

● ● ●

والصواب فى تفسير هاتين الايتين كما قاله محققو المفسرين ما يأتى :

« وراودته التى هو فى بيتها » المراودة الطلب بلين · قال فى الاساس ومن معانى المراودة المجازية راوده عن نفسه أى خادعه عنها والمراد هنا أى فعلت امرأة العزيز ما يفعله المخادع بصاحبه عن الشىء الذى يحرص عليه ولا يريد أن يخرجه من يده .

(التى هو فى بيتها) لم يقل سبحانه سيدته الى آخر ما تقدم فى الرد على الجلال .

(وغلقت الابواب) هذه الجملة وقعت حالا من فاعل راود ، أى راودته حالة كون الابواب مغلقة .

(ملاحظة عابرة) اذا علمنا أنها لم تقصد بغلق الابواب الا شدة الاحتراس من أن يلاحظ أحد ريبة من خدم أو غيرهم ، ويقوى هذا التستر أن زوجها أمر يوسف عليه السلام بعد شهادة الشاهد لمصلحته بقوله **(يوسف أعرض عن هذا)** أى لا تخبر أحدا أبدا وأكتم هذا السر ، انظر آية ٣٠ من السورة .

واذا كان هذا هو الظاهر فكيف يمكن التوفيق بين هذا الاحتراس الشديد وبين ما حصل منها فى مجلس النسوة واعترافها بأنها راودته فاستعصم وتهديدها له بأنه اذا لم يفعل ما أمر به فلابد من سجنه ، آية ٣٢ .

هذا موضوع يرجع فيه لعلماء النفس والخبراء بطبيعة بعض الاشخاص · وقد نشاهد فى عصرنا هذا أن الشخص يرى متحفظا حريصا على اخفاء أمر يعتلج فى دخيلة نفسه ، ولكنه اذا صدم باكتشاف ما يخفى وتيقن ان الناس جميعا علموا حقيقة امره ، ونالوا من كرامته ، فانه ينفجر مستهترا بكل القيم ولا يشعر بأى غضاضة · وفى هذا المعنى روى البخارى فى باب الشراب (عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب فقال اضربوه فمنا الضارب بيده ، ، ومنا الضارب بنعله ، ومنا الضارب بثوبه ، الى أن قال ، قال بعض القوم أخزاك الله ، فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان) يريد صلى الله عليه وسلم أن الاجدر به أن تدعو له بالهداية ، وترشدوه بالقول اللين لئلا يلج واذا لج فقد انتصر الشيطان .

(هيت لك) أى هلم ، تعال (قال معاذ الله) أى استعيذ بالله وألجأ اليه أن يحفظنى من هذه الخطيئة ، وقد علمت مما مضى فى الرد على الجلال ، أن تحصن يوسف عليه السلام بالله سبحانه كان عقب طلبها مباشرة وأن رفضه لما عرضته عليه كان سريعا لا يفصل بينه وبين طلبها لحظة ، وكان قويا أيضا كما تقدم فى قولها (فاستعصم) وهذا أول ما يدل على أن ما سجله كان ظاهر البطلان (انه ربى) أى أن الله تبارك وتعالى أحسن الى باقامتى فى بيت لا أجد فى المعيشة فيه تعبا ولا مشقة كما يجد كثير من الغرباء الذين حيل بينهم وبين ذويهم ، واذا كان هذا هو فضل ربى الذى غمرنى به وأنا ناء عن أهلى فمن المحال على أن أقابل هذا الاحسان بالعصيان ، والا كنت من الظالمين الجاحدين لنعم الله عليهم ، فلا أفلح بعد ذلك فى حياتى أبدا .

(ولقد همت به وهم بها) تقدم فى المقال السابق معنى الهم ومتعلقه وبينا أنه لا يكون الا بفعل ، ونقلنا عن صاحب كتاب « مسلم الثبوت » أنها همت بقتله وهم هو بقتلها ، ونقول ان القرطبى قال بنظير ذلك حيث قال : وهمت بضربه وهم بضربها دفاعا عن نفسه والبرهان كفه عن الضرب ، اذ لو ضربها لاوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها انتهى القرطبى .

ونقول وأصل البرهان : هو الدليل المرشد للصواب · والمراد هنا أن الله ألهمه أن المرء اذا اضطر الى ارتكاب أحد الخطرين فانه يختار أخفهما ، وهنا ادرك يوسف انه بدل ان يقتلها على رأى مسلم الثبوت ، او يضربها على رأى القرطبى · ان عنده منفذا آخر يبتعد به عن الضرب او القتل ولا ضرر فيه على أحد ، ذلك هو الفرار من البيت ، فأسرع الى الابواب يفتحها فضارت تلاحقه ، وتجذب قميصه من الخلف حتى وصلا معا الى الباب الخارجى فوجدا زوجها ومعه آخرين ، وهنا ظهرت سرعة بديهة هذه المرأة التى لم تذهلها هذه المفاجأة فتربكها وتفقدها وعيها ، لم منها ذلك ، بل أسرعت الى ايهام زوجها أن

جريمة هذا الخادم لا شك فيها وانما الكلام الان ينحصر فى البحث عن جزائه على جريمته ، وأردفت ذلك بأن جزاءه السجن أو عذاب أليم . **ولما أنكر** يوسف قولها وقال أنها هى التى راودتنى ، وشهد شاهد من أهلها بما يؤيد يوسف أدرك العزيز أن امرأته تتقن الكيد وأن هذا هو شأن خبيثات النساء عامة ، وجه الخطاب لامرأته وقال (انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) ولكن المسكين يظهر أنه طيب جدا جدا زيادة عن الحد ، فبدل أن يعاقبها طلب من يوسف ألا يفشى هذا الحادث وأمرها هى أن تستغفر لخطيئتها فقال (**يوسف أعرض عن هذا**) ووجه اليها الخطاب فقال (**واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين**) اقرأ فى ذلك آيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من السورة .

وخير ما قيل فى هذا الموضوع ما قاله الفخر الرازى فى تفسيره لسورة يوسف ما حاصله :

القرآن العظيم بين براءته عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغى على لسان كثير ، منهم المرأة ، وزوجها ، والشاهد من أهلها ، والنسوة ، وابليس ، وشهد بذلك خير الشاهدين وهو الله سبحانه وتعالى .

أما شهادة المرأة ففى قولها (**ولقد راودته عن نفسه فاستعصم**) كما تقدم شرحها . وقولها أمام الملك (**الان حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين**) .

وأما شهادة الزوج ففى قوله (**انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين**) .

وأما شهادة الشاهد من أهلها فقوله (**ان كان قميصه قد من قبل ... الخ**) .

وأما شهادة النسوة عندما قال لهن الملك (**ما خطبكن .. قلن حاش الله ما علمنا عليه من سوء**) .

وأما اقرار ابليس بطهارة يوسف فمن قوله (**فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين**) فأقر بأنه لا يمكنه اغواء (المخلصين) .

وقد شهد الله له بأنه من المخلصين فى قوله (**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين**)

(عـــــبرة)

ومما يوضح غفلة المرحومين الجلال وفريد وجدى عن سمو مقام نبى الله يوسف عليه السلام مما جاء فى السورة نفسها من نزاهته وفضله :

١ ـ قول يوسف لما هدد بسجنه (**رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه** .. الى قوله **فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن**) .

٢ ـ انه لما سجن دخل معه السجن فتيان ، ورأى كلّ منهما رؤيا ، وأدركا منه صلاحا غير معهود فقصداه ليفسر لهما ما رأيا ، وقالا (انا نراك من المحسنين) لما حصل كل هذا منهما لم يسرع بتفسير رؤياهما بل انتهز الفرصة التى مكنته من الدعاية لما يعتقده الحق من توحيد الله سبحانه . فقال لهما ما يمهد به لقبول دعوته : لا يأتيكما طعام غدا مثلا من غير كسب منكما الا كنت عالما به قبل وصوله فأخبركما بما سيكون عليه قبل أن يأتيكما ، ذلك العلم الغيبى مما علمنى ربى بوحيه الى به ليكون فيه دليل على صدقى ، أى كما كان دليلا على صدق عيسى عليه السلام وذلك فى قول الله تعالى [**ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . وأبرىء الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله . وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين**) ٤٩ آل عمران .

ثم شرع يوسف عليه السلام فى بيان المقصود الاصلى له فقال (**يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ، ما تدعون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون**) ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ يوسف .

٣ ـ انه كان يمكن أن يمكث فى السجن مدة طويلة ، ولكن الله الرحيم به العالم بسره هيأ للملك رؤياه التى أنقذت يوسف من السجن .

(**وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف .. الخ**) آيات ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

٤ ـ لم يسرع بالخروج عندما طلبه الملك ، بل قال للرسول (ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة .. الخ) لتظهر براءة يوسف على الملا بقول النسوة (**حاش لله ما علمنا عليه من سوء**) وتقول امرأة العزيز الان حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين . ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين .

٥ ـ ان الله سبحانه وتعالى هيأ ليوسف أن يرى اخوته ، فأصاب القحط أرض الشام فى الوقت الذى كانت مصر فى مدة السبع السنين المخصبة كما فى آية ٤٧ وجاء اخوة يوسف ليأخذوا قوتا من مصر كما فى آية٥٨ .

٦ ـ ثم ألهمه الله سبحانه وتعالى ، كيف يحتال على طلب أخيه الشقيق من اخوته من أول آية ٥٩ الى قوله [**كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله**) آية ٧٦ .

البقية صفحة ٢٢

معانى الأرض
فى القرآن الكريم

تبين من المقالين السابقين أن من معانى الأرض فى القرآن الكريم الكوكب الذى نعيش عليه ، والمكان المعين من هذا الكوكب أى مساحة معلومة من الارض أو حيز محصور .

الدكتور أحمد الحوفى

[٣] الآفاق

لكن الكلمة جاءت فى آيات أخرى دالة على الآفاق والابعاد والجهات فى غير حصر او تحديد .

قال تعالى : « **قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا فى الارض ، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** » . سورة آل عمران ١٣٧ .

فان المراد هنا أن يجول أولئك المكذبون فى أصقاع شتى ،ليروا ما انزله الله من نكال بالامم التى كذبت رسلها ، كقوله تعالى : « **ملعونين اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا** » سورة الاحزاب ٦١ — ٦٢

وقال سبحانه : « **واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ، ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** » . سورة النساء ١٠١ أى اذا سافرتم فلا جناح عليكم ان تقصروا صلاتكم ، والمراد بالسفر الرحلة من مكان الى آخر ، وأدنى مسافة يجوز فيها القصر مسير ثلاثة أيام ولياليها سير الابل ومشى الاقدام على الاعتدال عند أبى حنيفة ، بغير نظر الى ابطاء المسافر واسراعه ، فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليها فى يوم واحد قصر صلاته ، ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة أيام لم يقصر .

وعند الشافعى أدنى مسافة السفر اربعة برد مسيرة يومين .

وتقدر الآن بنحو ثمانين كيلو .

والظاهر من الآية الكريمة التخيير بين القصر والاكمال ، وأن الاكمال أفضل ، والى هذا ذهب الشافعى ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أتم فى السفر ، وعن عائشة أنها اكملت فى السفر وقصرت ، فلم يعبها النبى ، وكان عثمان بن عفان يتم ويقصر .

١/ ٢ (قصر) النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]
لم يثبت عنه (ص) أنه
أتم الصلاة فى السفر [illegible]

ولكن القصر عزيمة عند أبى حنيفة لا يجوز غيره، وروى هذا عن عمر بن الخطاب .

ويذهب الآخذون بالعزيمة الى تأويل قوله تعالى [**فليس عليكم جناح**] بأن المسلمين لما ألفوا الاكمال كانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن القصر فى السفر نقصان ، فنفى الله عنهم الجناح ، لتطيب نفوسهم بالقصر .

والقصر فى هذه الآية الكريمة ثابت فى حال الخوف من الكفار ، وأما فى حالة الامن فانه ثابت بالسنة الكشاف ١ — ٢٩٤

وقال تعالى : « **وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** » سورة المزمل ٢٠ .

فالمراد بالضرب فى الارض السفر الى جهات شتى للتجارة

[٤] المساكن والمنازل

وهى تدل على المنازل والمساكن فى بعض الآيات، مثل قوله تعالى : « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** » سورة البقرة ٢١ — ٢٢

فالمقصود بالارض الفراش الاماكن الصالحة للاقامة والمسكن والراحة والاستقرار .

ومثل قوله سبحانه على لسان موسى يخاطب فرعون : « **الذى جعل لكم الارض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى** » سورة طه ٥٣

فقد ذكر موسى لفرعون وقومه من دلائل قدرة الله ، ومن مظاهر نعمه على عباده أنه جعل لهم الارض مستوية صالحة للاقامة والعمل والسكنى كأنها مهد الصبى ، وجعل فيها طرقا ، وأنزل المطر على الارض ، فأخرجت أصنافا من النبات شتى ، مختلفة النفع والطعم واللون والشكل والرائحة ، بعضها يصلح للناس والانعام جميعا ، وبعضها يصلح لنوع دون نوع .

وكذلك قوله تعالى : « **أم من جعل الارض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا ؟** » سورة النمل ٦١.

فان الله تعالى هو الذى خلق الارض ، وسواها ليتمكن العباد من العمل فيها والمعيشة عليها .

وقد تدل كلمة الأرض على الناس الذين يسكنون الأرض، قال تعالى : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين** » سورة البقرة ٢٥١

فيصح أن يكون تفسير الآية : لولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ، ويكف ببعض فساد بعض ، لغلب المفسدون ، وفسدت الارض ، وبطلت منافعها ، وتعطلت مصالحها ، من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض .

ويصح أن يكون التفسير : لولا أن الله ينصر المؤمنين على الكفار ، لعبث الكفار فى الارض ، وقتلوا المسلمين ، وعم الكفر ، ونزل سخط الله الذى يستأصل سكان الارض . الكشاف ١ — ١٥

بقية مقال : انا نحن نزلنا الذكر

٧ ـ وأروع موقف ليوسف عليه السلام : ما كان منه عندما انتظمه هو ووالديه واخوته جميعا مجلس واحد يعبق فيه عبير الصفاء ، واراد يوسف عليه السلام أن يتوجه بالشكر الى ربه صاحب الفضل عليه معددا بعض هذا الفضل فى انقاذه من أزمات مرت به ، ومن المعلوم ان اولها : وأخطرها نجاته من محاولة قتله كما فى آية ٩ من السورة ، وثانيها : انقاذه من الجب كما فى آية ١٠ من السورة أيضا . وثالثها : ابعاده عن الفحشاء عند مراودة امرأة العزيز بالفرار منها . كما فى آيتى ٢٤ ، ٢٥ . ورابعها : شهادة الشاهد ببراءته ٢٧ ، ٢٨ ، وخامسها أخراجه من السجن ، آية ٥٠ وسادسها : جمع شمل الاسرة بعدما تمزقت : آية ٩٩ وما بعدها .

تأمل أيها القارىء الكريم ، ما الذى صرح به يوسف من هذه الازمات التى نجاه الله منها وماء الذى أعرض عنه نهائيا ، وما الذى رمز اليه بلطف ، فاللذان صرح بهما اخراجه من السجن وجمع الشمل وذلك فى آية ١٠٠ واللذان أغفلهما ما تعلقا بامرة العزيز وهما الثالث والرابع مما تقدم لانهما امران يتعلقان بالاعراض ومن يمسه العارض فى هذا المقام موجود (هى وزوجها) فضلا عن أنها استغفرت ورجعت الى ربها كما فى آية ٥١ ، ٥٢ . ٥٣ فمن اللائق عدم المساس بالموضوع وأما الامران اللذان رمز ولم يصرح بهما وهما الاول والثانى فيما تقدم ، لأن المقام مقام صفاء ، فلا يجوز أن يذكر فيه ما يعكره لذلك اشار الى فضل الله فيهما اشارة مجملة بقوله (**من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى**) فتأمل كيف قدم نفسه أولا على اخوته فى سياق التعرض لوسوسة الشيطان . وهذا من سمو الادب ، فقد سلك هذا الطريق بدل أن يقول لعب الشيطان بعقول اخوتى . (وبعد) فهل يتعظ من يقرأون القرآن أو يسمعونه لهذه المبادىء الانسانية السامية ولامثالها مما زخر به القرآن . الذى يتأمل حال المسلمين الان وما هم عليه من الاستهانة بالكلام فى الاعراض ومن الغفلة عن المحافظة على حسن علاقات الناس بعضهم ببعض خصوصا الاقارب يدرك من أول وهلة أنهم ممن قال فيهم (**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) نسأل الله التوفيق والرشاد .

من أحكام الشريعة الإسلامية

فضيلة الشيخ محمد خاطر

انتهينا في مقالنا السابق الى بيان أجر الرضاع ومتى تستحقه أم الصغير كما بينا مقدار مدة الرضاع وانها حولان عند الاكثر وثلاثون شهرا عند أبى حنيفة وثلاث سنوات عند زفر من فقهاء الحنفية – وقد وعدنا بتفصيل دليل كل فى ذلك وبيان حكم ارضاع الكبير ثم بيان المقدار المحرم من الرضاع، وحكم لبن الرضاع المخلوط بغيره من السوائل او لبن مرضعة أخرى والحكمة من التحريم بالرضاع الى غير ذلك من الابحاث اللازمة لاستيفاء هذا الموضوع .

واليك ما وعدنا به من أبحاث :

لقد ذهب الامام الشافعى الى أن مدة الرضاع التى يثبت فيها التحريم به هى حولان والى ذلك ذهب ابو يوسف ومحمد من فقهاء الحنفية – واستدلوا لرأيهم هذا بقوله تعالى « **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة** » . فقد جعل الله جل شأنه الحولين الكاملين تمام مدة الرضاع وليس وراء التمام أى شىء آخر يزاد عليه .

كما استدلوا كذلك بقول الله تعالى فى سورة الاحقاف « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** » فقالوا ان أقل مدة الحمل ستة أشهر فيبقى للرضاع باقى المدة وهى حولان حينئذ وتكون مدة الفطام بتمامها .

هذا وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال **لا يحرم من الرضاع الا ما كان فى الحولين** ، كما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال « **لا يحرم من الرضاع الا ما كان فى الصغر !** » وفى رواية أخرى « **لا رضاع الا لمن ارضع فى الصغر** » .

وذهب الامام ابو حنيفة الى أن مدة الرضاع الذى يحصل به التحريم مقدارها **ثلاثون شهرا** اى ان الرضاع الموجب للتحريم لابد وأن يكون فى خلال الثلاثين شهرا الاولى من حياة الرضيع .

وقد استدل لمذهبه بان الله تعالى أثبت الحرمة بالرضاع مطلقا دون تعرض لزمن الارضاع . أذ يقول جل شأنه « **وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة** ، وقد قام الدليل على أن زمان ما بعد الثلاثين شهرا **ليس** مرادا منه تعالى فوجب العمل بالنص على اطلاقه فيما لا يزيد على هذه المدة .

كذلك يستدل بقول الله جل شأنه فى سورة البقرة ؟ **فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** . فهذه الاية تفيد أن للوالدين الخيار فى فطام الطفل عند تمام الحولين اللذين جاء ذكرهما فى صدر الاية (**والوالدات** يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة) – او الا يفطماه عن الرضاع أن وجدا الخير له فى ذلك – وهذا يكون بتأخير فطامه مدة أخرى يتدرج فيها النمو وليس هناك أقل حينئذ من ستة أشهر فهى مدة تكفى لحمله ثم يولد بعدها ويتغذى بغذاء خاص به بعد أن كان تابعا فى غذائه للام .

كما يستدل أيضا بقوله تعالى « **وحمله وفصاله** ثلاثون شهرا » فيقول أن هذه أقل مدة يفصل بعدها الابن ويبتدىء فى الاستقلال بغذاء مستقل ليس من لبن أمه . وان الله جل شأنه ذكر شيئين فى الاية الحمل والفصال وضرب لهما مدة قدرها بثلاثين شهرا فكانت

المدة لكلّ واحد من هذين الشيئين كاملة كالاجل المضروب للدينين على شخصين • كأن يقول الدائن أجلت الدين الذى لى على فلان والدين الذى لى على فلان سنة • فان الذى يفهم من ذلك ان السنة بكمالها أجل لكل من الدينين •

وقد قام الدليل على أن مدة الحمل أقل من ثلاثين شهرا ، ولم يقم الدليل على أن مدة الفصال **(الفطام)** اقل من ذلك فبقيت كاملة للفصال على النحو المبين بالاية • هذا ويرى الامام ابو حنيفة أن مدة الحولين الواردة فى آية « **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة** » ليس المقصود منها بيان مدة الرضاع وانما المراد منها بيان المدة التى تستحق فيها المرضعة الاجر على الارضاع والمراد بالوالدت المطلقات – ويكون معنى الاية أن **المطلقات يرضعن اولادهن حولين لمن اراد من الاباء ان يتم الرضاعة بالاجرة** • وهذا لا يقتضى ان انتهاء مدة الرضاع بالحولين •

ويرى الامام زفر من فقهاء الحنفية أن مدة الرضاع ثلاث سنوات – وهو يسير فى استدلاله على ذلك منتهجا نهج أبى حنيفة وفقط يخالفه فى المدة اللازمة لتعويد الطفل على ترك الرضاع اذ يقول أن المدة التى تلزم لتعويد الطفل على ترك الرضاع وتحويل غذائه من اللبن الى غيره هى سنة بعد الحولين يتقوى فيها الطفل ، وحجته فى ذلك انها تشتمل على الفصول الاربعة ولكل فصل طبيعته الخاصة بالنسبة للطفل وتعويده على ترك الرضاع •

وقدر الامام مالك مدة الرضاع المحرم بالحولين أو بزيادة شهرين عليهما الا أن يستغنى الصبى عن اللبن ولو فى الحولين استغناء بينا بحيث لا يغنيه اللبن عن الطعام لو عاد اليه •

وهناك بعض الفقهاء يرى أن الرضاع ليس له زمن محدد بل أنه يثبت به التحريم مطلقا سواء كان فى الصغر أم فى الكبر وهو رأى مردود تدحضه الادلة من الكتاب والسنة وما أوضحناه من أدلة للفقهاء بشأن تحديد مدته على نحو ما ذكرنا – فلا يكون الرضاع المحرم بعد الفطام كما لا يكون بعد الحولين اذ يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه **(لا رضاع بعد الفصال)** • أى بعد زمن الفطام كما يقول **(لارضاع الا ما كان من حولين)** « **وانما الرضاعة من المجاعة** » أى أن الرضاع المحرم هو الذى يدفع الجوع ويكتفى به صاحبه غذاء – وهذا لا يكون الا للطفل الصغير يؤكد هذا أيضا حديث ابن مسعود **(لا رضاع الا ما أنشز العظم وأنبت اللحم)** • وذلك لا يكون الا فى الصغير الذى لا يتغذى الا باللبن – يشير الى ذلك حديث أم سلمة **(لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء)** • وتفتق الامعاء لا يكون الا فى الصغير الذى ينبت لحمه وينشز عظمه بالرضاع فقط فيصير جزء من المرضعة

– **أما مقدار الرضاع** الذى يوجب التحريم فقد اختلفت آراء الفقهاء فيه •

قال أبو حنيفة وأصحابه ان قليلَ الرضاع وكثيره سواء فى التحريم وذلك لان النصوص الواردة بشأن التحريم بسبب الرضاع لم تذكر مقدارا قليلا أو كثيرا للرضاع أذ يقول الله جل شأنه « **وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة** » •وهو عطف على ما ورد فى صدر الاية من المحرمات • أى وحرمت عليكم أمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة • والنص فى الاية بشأن الرضاع مطلق • يشمل الرضاع القليل والكثير اذ علق الله جل شأنه التحريم باسم الرضاع فحيث وجد اسمه وجد حكمه • وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم **(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)** • النص فيه مطلق كذلك يفيد أن الرضاع القليل أو الكثير يوجب التحريم كالنسب •

– **ومذهب الحنفية** فى هذا هو مذهب الامام مالك والاوزاعى والثورى وحماد وطائفة كبيرة من التابعين والصحابة •

وقالت طائفة أخرى ان التحريم لا يثبت بأقل من ثلاث رضعات مستندين فى ذلك الى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « **لا تحرم الاملاجة والاملاجتان !** • وفى رواية أخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **لا تحرم المصة والمصتان • أخرجه مسلم** » • أذ قد دل الحديث على أن مص الصبى للثدى مرة أو مرتين لا يصير به رضيعا ومفهوم ذلك أن الثلاث فصاعدا تحرم والى هذا ذهب داود واتباعه وجماعة من العلماء بناء على أن الحديث أفاد بمفهومه تحريم ما فوق الاثنتين •

وذهب الامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل فى أظهر الروايات عنه الى أن الرضاع المحرم هو ما كان خمس رضعات متفرقات متيقنات وفى مدة الرضاع وهى السنتان على نحو ما أشرنا سابقا – وحجة هذا الرآى ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت « **كان فيما نزل عشر رضعات يحرمن حتى صرن الى خمس** ؛ وأن علة التحريم بالرضاع كونه منبتا للحم ومنشزا للعظم – وذلك لا يكون الا برضاع يوم كامل على الاقل ولا يكون بما دون خمس رضعات مشبعات •

وقد اختار ذلك الرآى أيضا ابن القيم وفسر المراد من الرضعة وقال انه متى التقم الصغير الثدى وامتص منه ثم تركه باختياره من غير عارض كان ذلك رضعة – أما القطع بعارض التنفس أو الاستراحة اليسيرة ثم يعود الى الثدى فى الحال فان ذلك لا يخرجها عن كونها رضعة واحدة •

وناقش فقهاء الحنفية أدلة مخالفيهم وقالوا ان قليلَ الرضاع ينبت اللحم وينشز العظم كذلك على قدر كميته •

– هذا وفى حديثنا المقبل سنبين ما اخترناه من آراء للافتاء فى أمر الرضاع مع تفصيل باقى الموضوعات التى أشرنا اليها فى صدر المقال •

التصوّر القرآنى للكون والحياة

من نماذج التصورات البشرية للكون التصور القديم للارض أنها مركز الكون ، وظل هذا التصور سائدا منذ أرسطو وبطليموس حتى القرن السادس عشر الميلادى حين جاء كوبر نيكوس فنشر كتابه عام ١٥٤٢ الذى أخرج فيه الارض من مركز الكون وأطلقها مع الشمس فى اجواز الفضاء ، كان الكتاب ثورة علمية على ما تعارف عليه العلماء والمفكرون والفلاسفة ورجال الدين فى اوروبا ، فحاربوه وأجمعوا على تحريمه وعدم تداوله.

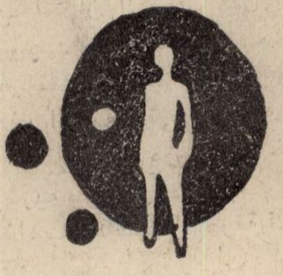

الأستاذ محمد رشيد

وقد ظلّ العقلّ البشرىَ يتخبط فى ظلمات ذلك التصور القديم للكون عشرات القرون ، واحتاج الى كل ذلك الزمن الطويل من عمر البشرية ليصل الى حقيقة علمية تعتبر جزئية فى التصور الشامل للوجود ، الا أنها كانت ثورة زلزلت كثيرامن الافكار والعقائد لدى العلماء والمفكرين ورجال الدين فى اوروبا .

« يصور الفيلسوف الامريكى جون آلوف بودين دواعى هذه الثورة فى كتابه : ديانة المستقبل فيقول :

كانت الارض مسرح درامةالتاريخ ،والانسان فيها ذروة الخليقة وغايتها ، وجاءت الكوميدية الالهية من نظم دانتى ختاما لعهد مدبر ، كان نظام الكون فيه كأنه عملية اخراج مسرحى لقصة الانسان . ففى ناحية من الارض كهف مطبق على دوائر جهنم ، وعلى جبل فى ناحية أخرى ترتفع دوائر الاعراف فوق هذا الجبل على مسافة منه وردة الفردوس التى يستوى على ورقاتها القديسون والابرار .

« ثم هبت ثورة كوبرنيكس وفتحت الاعين على نظرة علمية الى الوجود كله ، فليست الارض مركز الكون ، بل ذرة لا يؤبه لها فى احدى المنظومات الصغيرة ، وسأل السائلون : ما هو هذا الانسان الذى تتولاه بعنايتك ؟ وما هو ابن الانسان الذى تخصه بزو رتك ؟ أن الارض وعليها الانسان ضائعة فى آفاق ليس لها نهاية ، وهذه الافاق الكونية بما وسعت محكومة كلها بالقوانين الالية . ولم يقل لا بلاس غير المقال الذى يردده الجميع حين قال لنابليون انه لم يجد ضرورة لفرض اله فى نظام المكفة العلوية .

« واذا كانت كشوف كوبرنيكس قد ابدت لنا هذا الانسان ضائعا فى المكان ، لقد جاءت آراء دارون وأبدته لنا ضائعا فى الزمان .

فى دنيا العلم هذه يرى أن القلب الانسانى قد ضيع نفسه – مستسلما للعقل – بين يدى الله »

(من عقائد المفكرين فى القرن العشرين للعقاد)

فأذا سلمنا بأن تصور الوجود فطرة انسانية ، لا يستطيع الانسان بدونه أن يعيش حياته مطمئن النفس مستقر الضمير ، فلا بد له من فكرة كلية عن الكون والحياة ، واذا كانت هذه الفكرة الكلية هى الاساس لكل جوانب النشاط الانسانى ، واذا كان الانسان عاجزا عن الوصول الى التصور الواقعى الشامل للوجود ، عاجزا حتى عن معرفة نفسه وحقيقة تكوينه الروحى والعقلى ، فما سبيل الانسان الى هذا التصور ؟

ان منطق البداهة يقول انه لابد للوصول الى هذا التصور من أدراك أعظم و علم أوفر من ادراك علم البشر ، وذلك ما يحققه الوحى ورسالات السماء .

ومن هنا تتضح رحمة الله الواسعة بالانسان ، ويتضح فضله الكبير عليه بالتصور القرآنى للوجود ، فهو التصور الربانى الذى من به على البشر خالق الكون والحياة والانسان .

«الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ !» . (الملك ١٤) .

والاساس الذى يقوم عليه التصور القرآنى للوجود ، هو أن الله تعالى خالق الكون والحياة ، **وليس فى الكون الا خالق ومخلوق ، اله وعبيد** ، وهذه الحقيقة الكبرى هى التى جاءت بها كل رسالات السماء وقامت عليها عقيدة المؤمنين فى كل زمان : **«وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه : أنه لا اله الا أنا فاعبدون»** (الانبياء : ٢٥) .

وتصور القرآن لهذه الحقيقة تصور يتميز بالبساطة والوضوح واليسر فلا أحاجى ولا ألغاز ، فهو تعالى واحد فى ذاته متفرد فى صفاته : **«قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد»** (الاخلاص)

وهو سبحانه المالك المدبر للكون ولكل من فيه وما فيه : **«الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا»** ، (الفرقان ، ٢)

ولقد كان غرور العقل او غرور العلم سببا فى عدم ايمان البعض بالله لانهم زعموا أنهم لا يستطيعون ادراكه او الاحاطة به ، وغفل اولئك عن حقيقة أنهم انما يكلفون عقولهم ما لا تطيق ، فضلوا وأضلوا .. وأن عقولهم وقفت عاجزة تماما عن ادراك كثير من الحقائق ، وأن علمهم مازال قاصرا عن ادراك كنه الفيروسات قاصرا عن ادراك حقيقة أنفسهم .

وتقدم العلم فطامن العلماء من غرورهم ، وخطا بهم العلم خطوات واسعة نحو الايمان بالله ، من هؤلاء العلماء عالم فرنسى كان مديرا لمعهد الدراسات العليا بجامعة السربون ونال جائزة جامعة لوزان فى فلسفة العلوم ، هو الطبيب العالم ليكونت دى نوى نقل المرحوم العقاد فى كتابه عقائد المفكرين فى القرن العشرين قول ذلك العالم الفرنسى فى كتابه : قدر الانسان :

«كثير من الاذكياء وذوى النية الحسنة يتخيلون أنهم لا يستطيعون الايمان بالله لانهم لا يستطيعون أن يدركوه على أن الانسان الامين الذى تنطوى نفسه على الشوق العلمى لا يلزمه أن يتصور الله الا كما يلزم العالم الطبيعى أن يتصور الكهرب ، فان التصور فى كلتا الحالتين ناقص وباطل ، وليس الكهرب قابلا للتصور فى كيانه المادى ، وانه مع هذا لاثبت فى آثاره من قطعة الخشب ، ولو أننا استطعنا أن نتصور الله لما استطعنا ان نؤمن به لان تمثيلنا اياه ـ لاصطباغه بالصبغة الانسانية ـ يخامرنا بالشكوك .

«وليست الصورة التى نتمثلها للاله هى التى تثبت وجوده ، وانما يثبت وجوده ذلك الجهد الروحانى الذى نبذله لمعرفته ، وكذلك الفضائل انما يعول فيها على شعورنا بها لا على نتائجها» .

ولكى يبعد القرآن الكريم العقل البشرى عن الخوض فى امور ليست فى طاقته ولا من وظيفته ، ويجنبه المزالق والضلالات والانحراف ، فقد قرر أن هناك امورا لم يوهب العقل القدرة على ادراكها او الاحاطة بها لا من حيث الكيف ولا من حيث الماهية ، أول هذه الامور : الذات الالهية . وأكد هذه الحقيقة فى وضوح وجلاء : **«ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير»** (الشورى : ١١) .

«لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» (الانعام ١٠٣) .

وحكى فى قصة موسى عليه السلام :

«قال رب ارنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين» .
(الاعراف : ١٤٣) .

ومن هذه الامور مسألة الروح ، فما زال الانسان حتى الآن فى عصر العلم والكشوف لا يعلم عنها أكثر مما قاله القرآن منذ أربعة عشر قرنا : **«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا»** (الاسراء : ٨٥) .

ومنها مسألة الغيب المستور عن البشر : **«وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين»** .
(الانعام : ٥٩)

والغيب ومنه موعد الساعة لا يعلمه الا الله تعالى حتى الرسل والانبياء عليهم السلام :

«يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات والارض ، لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها ، قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون . قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون»
(الاعراف : ١٨٦ ـ ١٨٧)

وبهذا جنب القرآن الكريم العقل البشرى عناء لا طائل منه ، وجهدا فى غير ما خلق له ، وجنب الانسانية آثار تفكيره وتصوراته ، ولا يستطيع أن يدرك مدى هذه النعمة التى من الله بها على البشر بأنشاء هذه العقيدة الا من جاس خلال التيه الذى ضلت فيه البشرية طويلا وأحاط ببعض تلك التصورات والعقائد والمذاهب الفاسدة المنحرفة التى أضلت كثيرا من خلق الله .

ثم يطلق القرآن للعقل العنان ، ويحضه على النظر والتفكر فى سنن الله فى الكون والحياة ، ويغريه على التعرف اليه تعالى من صفاته وآثار تدبيره ورحمته فى الانفس والآفاق :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

(آل عمران : ١٩٠ ــ ١٩١)

بل ان القرآن لينزل باناس دون مستوى البهائم ، وجعل مصيرهم الى النار ، لانهم عطلوا منافذ المعرفة فى أنفسهم :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون »

(الاعراف : ١٧٩)

وأمر بالسير فى الارض والنظر والاعتبار :

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

(العنكبوت : ٢٠)

ويستمر القرآن فى انشاء التصور الربانى للوجود ، فيشغل من سوره مساحة واسعة جدا ، بحيث لا يمكن الاحاطة بآياته والاستشهاد بها فى مقال .. وحسبى ان أشير الى بعض الايات التى تعطى فكرة عن هذا التصور فى كتاب الله .

فليس فى الكون عبث ، ولا مجال للصدفة أو الفوضى ، فلكل ما فى الكون قانونه الثابت ، وناموسه الذى يسيره ، وفق تقدير الله وتدبيره :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

(يس ، ٣٧ ــ ٤٠)

ولله تعالى ملكوت السموات والارض ، وكل ما فيهما خاضع لامره ومشيئته :

« قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير . تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب » .

(آل عمران : ٢٦ ــ ٢٧)

وفى سر الحياة والنقلة الهائلة بين العدم والوجود يقول :

« انما قولنا لشىء ــ اذا أردناه ــ أن نقول له كن فيكون »

(النحل : ٤٠)

« ان الله فالق الحب والنوى يخــرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله ، فأنى تؤفكون ! فالق الاصباح ، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا . ذلك تقدير العزيز العليم »

(الانعام : ٩٥ ــ ٩٦)

وفى ظواهر الخلق والوجود يقول :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى ، أفلا يؤمنون » » .

(الانبياء : ٣٠) .

ويقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى فى كتابه : لماذا أنا مؤمن فى هذه الاية بعد أن أفاض فى عرض شتى الفروض والنظريات العلمية :

« ومهما يكن من شىء فان الاية الكريمة تقرر فى اعجاز علمى واضح أن السموات والارض كانتا شيئا منفصلا أو وحدة متجانسة ثم تم انفصالهما وظهورهما بمعالم خاصة ، وهو عين ما يقرره العلم ويحاول تفسيره بشتى النظريات .

ويقول فى تفسير الاية الكريمة :

« والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » .

(الذاريات : ٤٧)

ان بناء الكون المرئى أو المادى المترامى الاطراف بما فيه من بلايين المجرات التى تمثل وحدات الكون العظمى ، وما فى كل مجرة من بلايين الشموس أو النجوم ، وما قد يتبع كل شمس أو نجم من كواكب وأقمار ، كل ذلك الى جانب ما يعج به الفضاء من طاقات واشعاعات مختلفة القدر والصفات ، قد اتسعت له مقدرة الخالق عز وجل ولديه أكثر وأكثر ، ويعنى هذا انا لموسعون السماء حين خلقناها ، أى أننا خلقنا الكون ابتداء على اتساع لا نهاية له ، ولذلك فهو يتسع لكل المجرات مهما تباعدت عن بعضها البعض .

ويمكن أن نخرج من هذه الاية بما يتضمن الحديث عن اتساع حدود الكون بمضى الوقت ، فمن المشاهد أن المجرات تتباعد عنا بسرعات متزايدة ، وبذلك يتسع حجم الكون كما نراه ، وتؤيد بعض النظريات الرياضية ــ مثل النسبية ــ هذا القول :

كما يقول فى الايات الكريمة :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

(الرحمن : ٣٣ ــ ٣٥)

على الرغم من أن أغلب المفسرين ذهبوا الى أن معانى هذه الايات انما تشير الى اليوم الاخر ، الا أن منهم كذلك من رأى ان فيها ما يفيد الحض على طلب العلم والاستعانة به مثل ابن عباس .

ويرى المؤلف انها تشير الى عصر الفضاء بالنسبة للبشر ، وهو العصر الذى نعيش فى فجره اليوم .

والاعجاز ظاهر بين منْ حيث توقع هذا العصر • ثم ذكر المصاعب والاهوال التى ستصادف رواد الفضاء • اما السلطان الذى يحاولون به النفاذ الى السماء ويتغلبون بواسطته على جذب الارض وبصتها للاشياء فهو العلم الذى استخدم الصواريخ أو فى معنى أصح المحرك الصاروخى ، ونحن لا نعرف على وجه التحديد معنى أقطار السموات والارض التى يشملها التحدى • ولكن شواظ النار والنحاس قد تعنى فى هذه الدنيا رياح الشمس المستعرة واشعاعاتها الكونية الفتاكة •• وتبلغ حرارة السطح الخارجي المشع للشمس — السطح النارى — ستة آلاف درجة مطلقة ، وهى حقيقة علمية ثابتة ، أما درجة حرارة الشمس من الداخل ، فتبلغ عشرين مليونا من الدرجات •

ومهما يكن من شيء فالاية كلها اعجاز ظاهر بما تضمنت من معان وقررت من حقائق سبقت بها ركب العلم ، ولقد راحت هذه الحقائق تتكشف أمامنا اليوم وتبين فى سلسلة متتابعة كلما أجرى العلماء تجاربهم وتابعوا قياساتهم » • انتهى ••

● ● ●

وقوانين الكون ونواميسه وأسبابه الظاهرة هى بدورها من صنع الله ان شاء اجراها ، وان شاء خرقها وغيرها ، انى شاءو كيفما شاء :

« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال كذلك الله يخلق مايشاء ، أذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » •

(آل عمران : ٤٧)

« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم »

(الانبياء : ٦٨)

« فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون • قال كلا ان معى ربى سيهدين • فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم »

(الشعراء : ٦١ ـ ٦٣)

ثم يقوم القرآن بالتعريف بالله تعالى ، بصفاته وخصائصه المتفردة تعريفا كاملا شاملا ، ويتم هذا التعريف على نطاق واسع وبأسلوب يتفرد به القرآن ، بحيث يصبح الوجود الالهى فى الحس المؤمن وجودا أكيدا عميقا له آثاره فى النفس وفى واقع الحياة •• ثم يعرف بطبيعة الكون والحياة ، وارتباطات الخلق بالخالق ، وحقيقة العبودية لله وصفاتها ولوازمها ، ودلالة كل ما فى الكون على وجود الله وتدبيره وآثار رحمته •

ويدرك مدى آثار هذا التعريف كل من يعيش لحظات صفاء مع القرآن الكريم ، آثاره فى النفس والمجتمع ، وآثاره فى الخلق والسلوك ، وآثاره فى الفكر والشعور •

ويطول الحديث لو سرنا مع القرآن فى تتبع انشاء هذا التصور ويكفى أن نشير الى بعض الحقائق التى تتصل به من قريب •

ان هذا التصور يمنح العقل والقلب راحة وطمانينة ، ويملا النفس ويستقر به الضمير ، فهو يعطى الانسان التفسير الشامل للوجود ، تفسير الخلق وتفسير الحياة وتفسير النشأة والمصير ، بأسلوب يخاطب الوجدان البشرى بمنطق الفطرة ،ولا يدع للعقل مجالا لتساؤل أو شك أو حيرة ، ولا مجالا للقول بالصدفة فى الخلق أو القول بخلق الطبيعة أو الهرب من مواجهة مشكلة الحياة •

وأن التصور القرآنى يختلف اختلافا جذريا مع الفلسفة وعلم اللاهوت فى شتى العصور يختلف عنها منهجا وموضوعا وأسلوبا ، ومن هنا كانت حيرة علماء المسلمين الذين فتنوا بالفلسفة اليونانية وأخذوا يوفقون بينها وبين التصور القرآنى فجاء نتاجهم غريبا عن روح القرآن ومنهجه وأسلوبه ، ولم يخلف فى واقع المسلمين الا الفرق والمذاهب والخصومة والفرقة والمراء •

وأن هذا التصور جاء على أساس الحقائق الكونية الخالدة التى جاء بها القرآن وكلما تقدم العلم ازداد فهما لها وتفسيرا لبعضها ، وصدق الله العظيم :

سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟!

* * *

صلة الرحم فى الإسلام

الأستاذ عبد المنعم مغربي

صلة الرحم خلق شريف يدل على نفس سمحة وطبيعة رحبة ، وقد أمر الله الناس أن يحترموا صلة القرابة وأن يؤدوا حقوقها فقال جل شأنه «واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» وجعل هذه الصلة المرعية أبرز مظاهر المجتمع المتدين • المتحاب بروح الله ، المؤثر للصلاح والاستقامة •

ومن هنا عد – جل شأنه – النكوص عن الايمان بابا الى القطيعة والفساد فقال « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم » وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن صلة الارحام عبادة سريعة الثواب عاجلة البركة يرى أثرها فى الدنيا الى جانب ما يدخره الله لها فى الاخرة • روى الامام أحمد فى مسنده عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « « من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، وتدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه » وقد وردت آثار شتى تفيد أن صلة الرحم تثمر الغنى والعمران والتقدم ولو كان الواصل ضعيف العبادة ، على معنى أن هذه الصلة سريعة النفع على آية حال فقد روى الطبرانى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن الله ليعمر بالقوم الديار ، ويثمر لهم الاموال ، وما نظر اليهم منذ خلقهم بفضالهم !!! قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم بارحامهم ! » ونحن نعوذ بالله من أن تكون لنا الدنيا ونحرم الآخرة ولكننا نثبت هذا الحديث ليعرف القاصرون والمفرطون أن العاطفة الحارة على الاقارب والبر بهم والاحسان اليهم لو صدرت من عاص منحرف فانها تيسر له دنياه وترفه له حياته ، فكيف اذا تخلق بهذا الخلق العالى مؤمن محافظ على حقوق ربه ، ومعالم دينه ؟ روى البخارى ومسلم عن أبى أيوب الانصارى ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سفر ، فأخذ بخطام ناقته ، ثم قال : يا رسول الله أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى عن النار فكف النبى صلى الله عليه وسلم ثم نظر فى أصحابه ، ثم قال : لقد وفق أو لقد هدى • قال : – للاعرابى – كيف قلت ؟ فأعادها فقال له النبى : « تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم ... دع الناقة ! » فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان تمسك بما امرته به دخل الجنة »

وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله يقول : قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » • يعنى أن كلمة الرحم جزء من كلمة الرحمن ، وصلة الرحم توطيد للعلاقة

بالله واعتصام بحبله . وتتطلب هذه الصلة أمرين : الاول الا يجعلها المسلم مسلكا يتقدم به اليوم ليلقى نظيره غدا ، كما يفعل كثير من المتاجرين بالفضائل ، كلا فان الوصول حقا هو الذى يزور أقاربه ويتبرع بمعاونتهم ويسارع الى مصالحهم ويواسيهم فى متاعبهم سواء قدروا ذلك كله أو جحدوه : انه لا ينتظر عوضا على أداء حق الله والرحم ! انه يفعل الواجب وحسب : ولو كان أقاربه على حظ من البلادة وسوء التقدير ! وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى - « **ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها** » وروى مسلم عن أبى هريرة أن رجلا قال : **يارسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسيئون الى ، وأحلم عليهم ويجهلون على ، فقال له النبى : ان كنت كما قلت ، فكأنما تسقهم المل - الرماد الحار - ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك** » والاساس الذى تقيمه السنة الشريفة فى مثل هذه الاحوال ألا يتدلى المرء الى الدرك الذى هبط اليه غيره ، فأن المؤمن الناظر الى ربه المؤمل فى ثوابه ، يلقى الجفاء بالادب والعنف بالرفق والترفع ، وهذا ما دعا اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقد روى أحمد بن حنبل عن عقبة بن عامر - من حديث له - يقول « .... ثم **لقيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت : يارسول الله أخبرنى بفواضل الاعمال ، فقال : ياعقبة صل من قطعك ، واعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك .** ألا ومن أراد أن يمد فى عمره ويبسط فى رزقه فليصل رحمه » . وقد وردت سنن كثيرة فى أن صلة الرحم تغفر الذنوب ، ومن الرقائق المثيرة الداعية الى الدهشة أن عبد الله بن مسعود أراد مع أصحابه أن يتوجهوا الى الله بالدعاء ، فطلب ابن مسعود من جلسائه أن يخرج منهم من كان قاطع رحم ! ورواية الطبرانى لهذا الاثر عن الاعمش قال : « كان ابن مسعود جالسا بعد الصبح فى حلقة ، فقال : أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا ، فانا نريد أن ندعو ربنا .. وان أبواب السماء مرتجة دون قاطع رحم » !!

هذا هو الامر الاول فى مظاهر صلة الرحم ، أما الامر الثانى فيتصل بالنفقة التى تكون من الرجل على أهل بيته وأقاربه ، ان هذه النفقة فريضة تسبق أنواع التبرع وصنوف القربات التى قد يقوم بها المسلم ، نعم على رب البيت أن يتعرف المطالب المعقولة لاهله وولده وأن ينفق عن سعة فى قضائها ، فليس من الدين أن يدع المرء زوجته أو بنيه أو بناته فى حال مؤسفه من الحرمان ثم يضع ماله فى مصرف آخر مهما كان خطره ، فروابط الاسرة أولى بالحراسة والتوثيق من غيرها ، وفى ذلك يروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك** »

ويتبع النفقة على الاهل والاولاد الانفاق على الاقارب وذوى الارحام ، وقد عبر القرآن عن ذلك بأنه حق . فقال تعالى « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا** » أى لا تجعل الاسراف فى تحقيق رغباتك يستهلك كل ما تملك فلا يبقى منه ما تعين به الفقير وتواسى منه القريب ، واذا عرضت لك أزمة وطلب منك فى أثنائها أن تعطى محتاجا منهم فعده الغد بما لم تستطع عطاءه اليوم أو قل له أى شىء تطيب به خاطره « واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » .

ان أقرباء المسلم أجدر الناس بالافادة من فضول ماله ، وهذا أولى ما يتبادر الى الفهم السليم ، فانه اذا كان الى جنب الانسان محتاج فلا معنى لتجاوزه والذهاب بالخير المبذول الى آخر بعيد ، لان ذلك سيزرع الضغينة فى قلوب المحرومين ، ويشعرهم بأن اهمالهم متعمد للنكاية بهم ، فاذا كان هذا التنكيل بذوى القربى ما يقصده المعطى فان صدقته ترد عليه وتتحول وبالا ..

وفى الحديث « .... **يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم ! والذى نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة** » . وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قالت : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقن يامعشر النساء ولو من حليكن قالت : فرجعت الى عبد الله بن مسعود فقلت له : انك رجل خفيف ذات اليد . وان رسول الله قد أمرنا بالصدقة ، فأته فسله ! فان كان ذلك يجزى عنى ، والا صرفتها الى غيرك ! فقال عبد الله : بل أئته أنت .... ! قالت : فانطلقت فاذا امرأة من الانصار حاجتها حاجتى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد القيت عليه المهابة فخرج علينا بلال ، فقلت له : أئت رسول الله فأخبره أن امرأتين بالباب يسألانك : أتجزى الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن ؟ قالت : فدخل بلال على رسول الله فسأله : فقال رسول الله : من هما ؟ فقال : امرأة من الانصار وزينب ! فقال أى الزيانب ؟ قال : امرأة عبد الله بن مسعود ، فقال : « لهما اجر القرابة وأجر الصدقة »** . وقال عليه الصلاة والسلام : « **الصدقة على المسكين صدقة . وعلى القريب صدقتان ، صدقة وصلة** » .

أى أن الله يضاعف أجر المعطى عندما يكون عطاؤه لذوى رحمه ، لانه جمع بين صلة الرحم وبذل المال ، وبذلك أرضى ربه وأكرم أهله .....

هل شكا الرسول صلى الله عليه وسلم من سكرات الموت ؟!

فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى

جاءتنا رسالة من طلبة جامعيين فضلاء ؟ يقولون فيها انهم متدينون ومعنيون بدراسة السيرة النبوية وعيرها فى أوقات فراغهم ، وانهم يريدون أن يعرفوا هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو من سكرات الموت قرب موته وهل كان يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت، أم أنه كان يشكو من الحمى وآلامها ومن أثر السم الذى وضعته اليهودية فى طعامه فقط: ويقولون أن بعضهم شككهم فى صحة الحديث الذى يشكو فيه الرسول من سكرات الموت، وانهم يميلون الى عدم صحته ، لان الرسول كان شديد الشوق الى لقاء ربه الى آخر ما قالوا ونحن اذ يسرنا تدين هؤلاء الطلاب نشكرهم على غيرتهم الدينية وحبهم للرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ، ونجيبهم على أسئلتهم فيما يلى ، والله الموفق •

الجواب

اعلموا أيها الطلاب النجباء أن سكرات الموت هى غمراته وشدائده، وان الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان سيد ولد آدم وخاتم المرسلين ، ولكنه بشر يجرى عليه ما يجرى على جميع ذرية آدم ، من القوانين العامة التى كتبها الله تعالى على عباده •

ومن هذه القوانين السارية على جميع الادميين المرض والموت وسكرات الموت أى شدائده ، فلكل انسان حظه من ذلك وان كان من الانبياء ، بل أن نصيب الانبياء من ذلك أشد من نصيب أفراد الناس ، ليكونوا فى الصبر عليها قدوة لغيرهم ، ولكى يكون أجرهم على الصبر ومعاناة الشدائد مضاعفا ، نظرا لمكانتهم عند الله تعالى ، وكل أصحاب الاديان يعلمون ما أصاب أيوب من البلاء ، وما أصاب يونس من حبسه فى جوف الحوت يجوب به غياهب البحار ، وما أصاب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ، ومن كسر أسنانه وشج وجهه الشريف ورأسه وأدمائه ، كما يعلمون قتل بنى اسرائيل ليحيى وزكريا عليهما السلام ، ولغيرهما من الانبياء ، فأكثر الناس بلاء الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، أخرج النسائى عن فاطمة بنت اليمان قالت « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نساء نعوده فاذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال ، ان

أشد الناس بلاء الانبياء ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ويروى ابن ماجة وغيره عن أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم « **كانت عليه قطيفة ، فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها**) أى **كان يحس بحرارة الحمى فى جسده صلى الله عليه وسلم وهو يضع يده فوق القطيفة لشدتها عليه) فقيل له فى ذلك ، فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر** »

ومن هذا الحديث عرفنا الحكمة فى شدة بلاء الانبياء ، وفى هذا المعنى يروى البخارى عن عبد الله ابن مسعود قال « دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديدا ، فقلت يارسول الله · انك توعك وعكا شديدا فقال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم ، قلت ذلك أن لك أجرين ، قال أجل · ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها »

صب الماء عليه من سبع قرب

وكان لشدة الحمى عليه يطلب أن يصب الماء عليه من أفواه سبع قرب ، ففى البخارى قالت عائشة رضى الله عنها « **لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى واشتد وجعه ، قال أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن ، لعلى أعهد الى الناس ، فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب ، حتى طفق يشير الينا أن قد فعلتن** » [**المخضب اناء يغسل فيه**]

سكرات الموت جائزة على الانبياء

واذا كان أمر الحمى من الشدة الى هذا الحد الذى أصابه صلى الله عليه وسلم ، فانه من الامور الطبيعية المسلم بها أن يشعر بسكرات الموت أى شدائده ، فانها كانت مقدمة لوفاته صلى الله عليه وسلم ، ولهذا روى البخارى من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم « **كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله · ان للموت سكرات** » وهذا تقرير لحقيقة واقعة لا شك فيها وليس فى هذه العبارة شكوى من الله ، ولكنها حكاية منه لواقع حل بجسده الشريف ، وقد كان من شدة وجعه يغمى عليه مرة بعد أخرى ، ولا ينتقص ذلك من مقامه ولا من صبره ، فقد كان أشد جلدا لباساء المرض ، ويباح للانبياء أن يشكوا المحن الى الله ، امارغبة فى الفرج ، كما فعل يعقوب عليه السلام اذ قال « **انما أشكو بثى وحزنى الى الله** » وكما فعل ايوب عليه السلام قال تعالى « **وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين** » واما تنفيسا عن النفس وطلبا لتخفيف الالام او الصبر عليها ، كما فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يحب من عبده أن يشكو اليه بأساءه ويتضرع اليه فى شدته ، ويغضب منه ان لم يفعل ذلك ، قال تعالى « **فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا** » وشكوى العبد من الضر قصد الفرج أو التخفيف ، غير الشكوى من الله بسبب الضر الذى ابتلاه الله به ، فالاولى عبادة وتضرع ولا تخل بشوق نبى الى لقاء مولاه ، والثانية قنوط من رحمة الله وعصيان وافتيات على حق الله ، واعتراض على تدبيره ·

شعور النبى بدنو أجله

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بشر بقرب لقاء ربه فى حجة الوداع ، وذلك أن الله تعالى لما أنزل عليه فى حجة الوداع « **اذا جاء نصر الله والفتح · ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره · انه كان توابا** » دعا اليه فاطمة وقال « **نعيت الى نفسى** » فبكت ، قال « **لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى** » **فضحكت**) رواه الدرامى عن ابن عباس ، وروى الطبرانى عن ابن عباس أيضا قال « **لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا فى الاخرة** » ·

وقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى احساسه هذا ، فانه عاش بعدها واحدا وثمانين يوما ، ثم انتقل الى الرفيق الاعلى ، وسبب فهمه من السورة دنو أجله ، أنها أفادت بالاشارة أن مهمته فى تبليغ رسالة ربه قد انتهت ، لأنه جاءه نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأن عليه أن يتأهب للقاء ربه

وكان من مظاهر احساسه بدنو أجله ، ما رواه البخارى ومسلم من حديث عقبة بن عامر قال « **صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين ، كالمودع للاحياء والاموات ، ثم طلع المنبر فقال · انى بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وان موعدكم الحوض ، وانى لانظر اليه وأنا فى مقامى هذا ، وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض · وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها !·**

حبه للقاء ربه

جاء فى حبه للقاء ربه ما رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال « **ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ماعنده فاختار ما عنده أى اختار لقاء الله تعالى) فبكى أبو بكر رضى الله عنه ، وقال يارسول الله · فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال فعجبنا له وقال الناس ، انظروا الى هذا الشيخ · يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده ، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا** ،

قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به » الى آخر الحديث ومنه نعلم أنه صلى الله عليه وسلم هو العبد الذى خيره الله بين زهرة الدنيا ولقاء الله فاختار لقاء الله على زهره الدنيا ، وأن أبا بكر كان دقيق الفهم لقصد الرسول مما قاله .

وكانت خطبته هذه فى ابتداء مرض موته فانه خرج كما رواه الدارمى وهو معصوب الرأس بخرقة ، حتى أهوى الى المنبر ، ثم بعد الخطبة هبط عنه ، فما رؤى عليه حتى الساعة) أى حتى الساعة التى يحدث فيها الراوى بهذا الحديث وكان استعداده للقاء ربه وانتظاره له عقب حجة الوداع بصورة جلية ، ففى طريقه الى المدينة عائدا منها جمع الناس بماء يدعى ضما بين مكة والمدينة فخطبهم وقال « **أيها الناس انما أنا بشر مثلكم . يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب »** ثم حض الناس على التمسك بكتاب الله ، ووصى بأهل بيته ، والمشهور انمدة مرضه كانتثلاثة عشريوما .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن كل نبى يقبضه الله اليه ، يريه مقعده فى الجنة ويخيره بين الدنيا والاخرة قبل أن يقبضه وكان صلى الله عليه وسلم شديد الشوق الى الرفيق الاعلى ، وكان يطلب ذلك منه تعالى ، وفى ذلك يروى البخارى عن عائشة قالت « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول » انه لميقبض نبىقط حتىيرى مقعدهمن الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذى ، غشى عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم فى الرفيق الاعلى ، فقلت اذا لا يختارنا ، فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح »** وفى رواية أخرى للبخارى عنها « **أنها أصغت اليه قبل أن يموتوهو مستند الى ظهره يقول اللهم أغفرلى وارحمنى والحقنى بالرفيق الاعلى »** .

ومما سبق يعلم أنه حين أخبر عن سكرات الموت لم يكن جزعا ، بل كان يذكر حاله التى يشعر بها تنبيها للغافلين عن الموت ، واستلهاما للصبر على كربه وشدائده ، وأنه كان وهو فى هذه الغمرات شديد الشوق الى لقاء الله تعالى ، وأن يكون مع الرفيق الاعلى ، والمراد به اما الله تعالى ، واما الانبياء والصديقون والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

أكلة خيبر

غزا النبى صلى الله عليه وسلم مدينة خيبر الحصينة فىشهر المحرم منالسنة السابعة ففتحها، م قدمت له امرأة تسمى زينب بنت الحارث شاة شوية دست فيها السم،فأكل منها مضغه وأكل منها عض أصحابه ، وقال ارفعوا أيديكم ، وأرسل الى ذه المرأة يستدعيها ، فلما حضرت قال لها أنت سممت هذه الشاة ، قالت من أخبرك ، فقال أخبرتنى ذه الذراع التى فى يدى ، فقالت نعم ، قلت ان كان يا فلن يضره ، وان لم يكن نبيا استرحنا منه ، فعفا نبى صلى الله عليه وسلم عنها ، ولكن لما مات منها بعض أصحابه وفيهم بشر بن البراء اعتبرها قاتلة ، فدفع بها الى أولياء من قتلتهم بسمها ، فقتلوها قصاصا ، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كاهله

فلما مرض الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمى التى توفى عقبها ، عاوده أثر السم بسبب ضعف جسمه الشريف عن المقاومة لاشتداد الحمى عليه ، وفى ذلك يروى البخارى عنعروة أنه صلى اللهعليه وسلم قال « **مازال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم** » والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب ، فاذا انقطع مات صاحبه ، وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه مات شهيدا من السم .

تبرعة ببقية ماله

لما كان الانبياء مثلا فى الزهد فى الدنيا ، حتى يعلم الناس أنهم دعاة حق وليسوا طلاب دنيا ، فلهذا يتركون دنياهم دون أن يورثوا ذرياتهم درهما ولا دينارا ، وفى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « **نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة** »أى ماتركه يتصدق به ، ولا ترثه قرابتنا .

ولهذا يروى أنه صلى الله عليه وسلم كان عنده فى مرض موته سبعة دنانير ، فكان يأمرهم بالصدقة بها ، ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه ، فدعا بها صلى الله عليه وسلم فوضعها فى كفة وقال « **ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه ، ثم تصدق بها كلها ! رواه البيهقى** .

رباطة جأشه فى مرضه

يروع الناس من ذكرى الموت ، ويشتد روعهم منه اذا اشتد المرض عليهم ونزل الموت بساحتهم ينظر اليهم وهم منه فزعون ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كانمطمئنا الىأنه سيكون بعدالموت فىالرفيق الاعلى ، ولذا كان يدعو به كما مر بيانه ، وكان يتحامل على نفسه فى مرضه الشديد ليبلغ المؤمنين دنو أجله ، حتى لا يفتنوا بعده ، ومن ذلك أن الانصار لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس فأعلمه صلى الله عليه وسلم بمكانهم واشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه على بن أبى طالب كذلك ، فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على والفضل والعباس أمامه ، والنبى صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثار الناس اليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال « **أيها الناس : بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ، الا وانى لا حق بربى ، الا وانكم لاحقون به !**

وأوصى بالمهاجرين الاولين : وبالمهاجرين فيما بينهم : وأوصى بالانصار : وكانت خطبته من أروع الخطب ولا يتسع المقام لكتابتها كلها : فنكتفى منها بما تقدم

ومن رباطة جاشه صلى الله عليه وسلم أنه لما تغشاه الكرب قالت فاطمة أكرب ابتاه ، فقال صلى الله عليه وسلم لها « **لا كرب على أبيك بعد اليوم** » رواه البخارى ـ قال العلماء · ان ذلك الالم والاوجاع كانت لزيادة درجته عند ربه رفعة ·

ومن رباطة جاشه ايضا ما رواه البخارى عن أنس « أن المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر يوم الاثنين ، وأبو بكر يصلى بهم . لم يفاجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد كشف ستر حجرة عائشة ، ننظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج الى الصلاة ، قال أنس وهم المسلمون أن يفتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ، وأرخى الستر وتوفى صلى الله عليه وسلم من يومه ذاك »

انك ميت وانهم ميتون

وكما أن الامراض والاوجاع حق لله يبتلى بها عباده ليذكروه ولا يركنوا الى الدنيا وزينتها ، وان للانبياء من ذلك أو فى نصيب [فالثواب على قدر المشقة ، ولكى يقتدى بصبرهم عليها غيرهم) فكذلك حق الله فى اماتة عباده ثابت ولو كانوا أنبياء ، واذا كان للكوارث هجوم على النفس البشرية فان حسن العاقبة لمن اذكر وصبر ·

عن سالم بن عبيد الله الاشجعى قال . لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، فاخذ بقائم سيفه وقال ، لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى هذا ، قال فقالت الناس ياسالم · اطلب لنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا أنا بأبى بكر ، فلما رأيته أجهشت بالبكاء ، فقال ياسالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت أن هذا عمر بن الخطاب يقول · لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى هذا ، قال فاقبل أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى · فرفع البرد عن وجهه ، ووضع فاه على فيه ، واستنشى الـريح ثم سجاه والتفت الينا فقال « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » الاية · وقال تعالى « انك ميت وانهم ميتون » يأيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال عمر فوالله لكأنى لم أتل هذه الايات قط رواه الترمذى

الخاتمة

يتبين مما قدمناه أنه صلى الله عليه وسلم حدث له بمقتضى أنه بشر الامور الاتية :

١ ـ انه أصيب بالحمى وأنها كانت شديدة عليه لدرجة أنه كان يصب عليه من أفواه سبع قرب لتهدأ

٢ ـ أنه كانت تحدث له سكرات الموت أى شدائده وغمراته بنص الاحاديث الصحيحة ، وأن ذلك أمر لا يمكن أن يقدح فى شأنه صلى الله عليه ، فانه أثر من آثار الحمى ، وذلك أمر جبلى يشترك فيه جميع الخلائق

٣ ـ أنه كان يغمى عليه من شدة المرض من آن لاخر ·

٤ ـ أن السم الذى كان فى الشاة التى قدمتها له اليهودية فى خيبر أثر فيه فى مرض موته

٥ ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان شديد الشوق الى لقاء ربه ، وكان يدعو الله تعالى أن يلحقه بالرفيق الاعلى

٦ ـ أنه كان رابط الجاش فى هذه المحنة المختلفة الاسباب ، وكان يضحك ويخطب فى المسلمين يحثهم على التماسك ، وأن يحسن بعضهم الى بعض حتى اليوم الذى توفى فيه ولا يحل بعد هذا لمسلم أن يتشكك فى أمر مما ذكرنا ، ولا أن يكذب حديث سكرات الموت ، فانه ثابت فى كتب السنة كلها ، وأسأل الله تعالى لكم يا أبنائى طلبة الجامعة أن يديم عليكم نعمة الحب لرسوله ، ويوفقنا واياكم لما يحبه ويرضاه

رأس الحسين رضي الله عنه .. وقبره !!

الدكتورة سعاد ماهر

قرأنا فى مجلة (العربى) فى العدد (١٥١) ربيع الثانى سنه ١٣٩١ يونية سنة ١٩٧١) فى باب (أنت تسأل ونحن نجيب) سؤالا لاحد السادة القراء عن مكان استشهاد الحسين بن على بن ابى طالب رضوان الله عليهما ومكان دفنه • ولما كانت مجلة (العربى) من المجلات الاسلامية ذات الثقافة العالية والانتشار الواسع ، كما ان السؤال عن رأس الحسين وقبره من الموضوعات التى تهم جمهور المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، وكانت الاجابة عنه فى مجلة (العربى) قد اعتمدت على رأى واحد من المؤرخين فقط ، وهو ابن كثير فى نفى وجود الرأس الشريف بالقاهرة ، لذلك وجدت لزاما على ان أجمع ما استطعت من الاقوال والاراء لعلى استطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح •

> ففى أى مكان
> كان رأسه
> فهو ساكن
> فى القلوب
> والضمائر..
> قاطن فى الأسرار
> والخواطر

يكاد يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله فى كربلاء • وقد جاء فى كتاب الارشاد للشيخ مفيد ، أنه بعد ان اجتزت الرأس واخذت الى ابن زياد بالكوفة خرج قوم من بنى اسد ، كانوا نزولا بالفاضرية الى الحسين واصحابه، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الان بالحائر ، اى كربلاء ، ودفنوا ابنه عليا عند رجليه وحفروا للشهداء من اهل بيته واصحابه حوله ، ودفنوا العباس بن على فى موضعه الذى قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الان •

أما عن رأس الحسين فقد كثرت الاقوال وتضاربت الروايات ، واختلفت كتب السيرة فى تحديد مكان وجوده ، ولكن المراجع على اختلافها تكاد تتفق على ان عبد الله بن زياد عنى بتجهيز على بن الحسين ومع من كا معه من الحرم ، ووجهبهم الى يزيد بن معاوية مع زحر بـ نقيس وآخرين فساروا حتى قدموا الشام ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ومعهم رأس الحسين ، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات فى موطن الرأس الشريف فمنها أن الرأس أعيد الى الجسد بعد أربعين يوما ودفن معه فى كربلاء ومنها أنه دفن بالمدينة ومنها انه دفن عند باب الفراديس بدمشق ، **وفى رواية أن الرأس** دفن بمقابر المسلمين فى عهد سليمان بن عبد الملك ، ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل الى عسقلان ومنها نقل الى القاهرة فى آخر العصر الفاطمى • وتقول رواية انه نقل الى مدينة الرقة وأخرى الى حلب ، وقيل أن آبا مسلم الخراسانى لما استولى على دمشق نقل الرأس الى مرو • **وهكذا نرى ان الاماكن التى ذكرت موطنا للرأس ثمانية فى ثمان مدن هى كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان والرقة وحلب ومرو •**

فعن القول بوجود الرأس بالمدينة فهناك ما ينقضه بدليل مادى ذكره المسعودى فيما نقلناه عنه ، وهو انه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجرى رخامة مكتوب عليها العبارة الاتية «الحمد لله مبيد الامم ومحيى الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، والحسن بن على بن ابى طالب وعلى بن الحسين بن على ومحمد بن على وجعفر بن

محمد رضوان الله عليهم أجمعين . فلو ان الرأس كان مدفونا معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء .

أما قول غالبية الشيعة الامامية الاثنى عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد فى كربلاء فقول لا تؤيده مراجعة الحوادث فمن المستبعد عقلا أن يعيد يزيد الرأس الى كربلاء حتى لا يزيد النار اشتعالا ، وهو يعلم بأنها لا تزال مركزا لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه ، هذا بالاضافة الى ما جاء فى أحداث سنة ٢٣٦ هـ من أن الخليفة المتوكل أمر (الذيريج) بالمسيرة الى قبر الحسين بن على رضوان الله عليهما وهدمه . فتناول (الزيريج) مسحاة وهدم أعالى قبر الحسين وانتهى هو ومن معه الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا أثرا للرأس ، وبعيد أن نتصور أن الرأس قد بلى فى ذلك الوقت المبكر ، اذا لاحظنا أن أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لالاف السنين .

وكذلك القول بوجود الرأس برباط مدينة مرو بخرسان ، منقوض من أساسه ، لان أبا مسلم الخراسانى الذى قيل انه نقل الرأس من دمشق لما استولى عليها وبنى عليه الرباط بمرو ، لم يكن موجودا بالشام وقت فتحها ، ولانه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله بن على بن العباس لمولاه أبا مسلم بنقل الرأس الشريف لكى يدفنه بمرو ، ولان الخليفة نفسه لو ظفر بالرأس لاظهره للناس ليزدادوا — كما قيل بحق — غضبا على بنى أمية .

وأما القول بأن الرأس وضع أول الامر فى خزائن السلاح بمدينة دمشق نفى رأيى أنه أقرب الاقوال الى القبول ومسايرة الاحداث للاسباب الاتية :

أولا : ان مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده ، ولو طيف بالرأس فى البلاد بقصد التشفى كما ورد فى بعض المراجع ، لادى ذلك بغير شك الى فتنة بل وليس من المستبعد أن يؤدى الى خلع يزيد نفسه ، لان الناس جميعا ، حتى أولئك المناصرين ليزيد طمعا فى الكسب المادى ، كانوا يحترمون الحسين ، ويعظمونه فى حياته ويستعظمون ما حدث له ويأسفون على تفريطهم فى نصرته بعد وفاته . يضاف الى ذلك ان يزيد نفسه ندم على قتله ودمعت عيناه لما وضع الرأس بين يديه وقال : ويحكم ، قد كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله » فكيف مع ذلك يأمر بان يطاف بالرأس فى البلاد !

ثانيا : ومن المعقول والمرجح أيضا ان يكون الرأس قد ظل فى خزائن السلاح بدمشق حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ فحمل الرأس كما ورد فى بعض المراجع فى ثوث وعطره ثم صلى عليه ودفنه فى مقابر المسلمين اى بعد ان هدأت الفتنة ومضى عليها اكثر من ثلاثين عاما .

أما الرواية التى تقول بوجود الرأس بعسقلان ، فيؤخذ عليها أن مرجعا لم يحدد الوقت الذى نقل فيه الرأس اليها ، اللهم الا تلك الرواية التى تقول بأن الرأس قد طيف به فى البلاد بأمر يزيد ، فلما وصل الى عسقلان دفن هناك ، وقد بينا فيما تقدم منافاة هذه الرواية لواقع الحال واستبعدنا ان يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة . واذا اسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الرأس الى عسقلان ؟ هناك من يقول بأن القبر الذى بناه سليمان بن عبد الملك للرأس نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل فى وقت ما الى عسقلان . ونبش القبر قد يكون صحيحا ، لانه أمر متوقع ولا يبعد حدوثه ، ولكن ما السبب فى اختيار مدينة عسقلان بالذات لكى تكون مقر الرأس ، وهى مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزا من مراكز الشيعة ، اللهم الا اذ أريد ان يكون الرأس فى مكان قريب من بيت المقدس من جهة ومن جهة أخرى قريب من الساحل حتى يسهل اخراجها من المشرق حيث لاقى الشيعة الشىء الكثير من اضطهاد الامويين أولا ثم العباسيين ثانيا ، ونقلها فى يسر الى شمال افريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة .

ومهما يكن من امر فقد بان فى حكم المؤكد أنه لم يكن فى القرن الخامس الهجرى وجود للرأس فى دمشق بل كان فى مدينة عسقلان للاسباب الاتية : اولا يؤيد وجود الرأس بعسقلان فى العصر الفاطمى نص تاريخى منقوش على منبر المشهد الذى أعاد بناءه بدر الجمالى واكمله ابنه الافضل فى عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، ولما نقل الرأس الى مصر ، نقل المنبر الخليلى بالقدس والمنبر مازال موجودا هناك حتى الان لوحة رقم ٢ . ثانيا ، جاء فى المقريزى ان المؤرخ ابن المأمون ذكر فى حوادث سنة ٥١٦ هـ ان الخليفة الفاطمى الامر باحكام الله أمر بأهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة الى مشهد الحسين بعسقلان واهدى اليه الوزير المأمون البطائحى قنديلا ذهبيا له سلسلة فضية . ثالثا لو كان الرأس موجودا فى مكان غير عسقلان سواء فى الشام أو خارجها لما عز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول اليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الاسماعيلية ، وقوتهم الدينية تعتمد فى اكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة

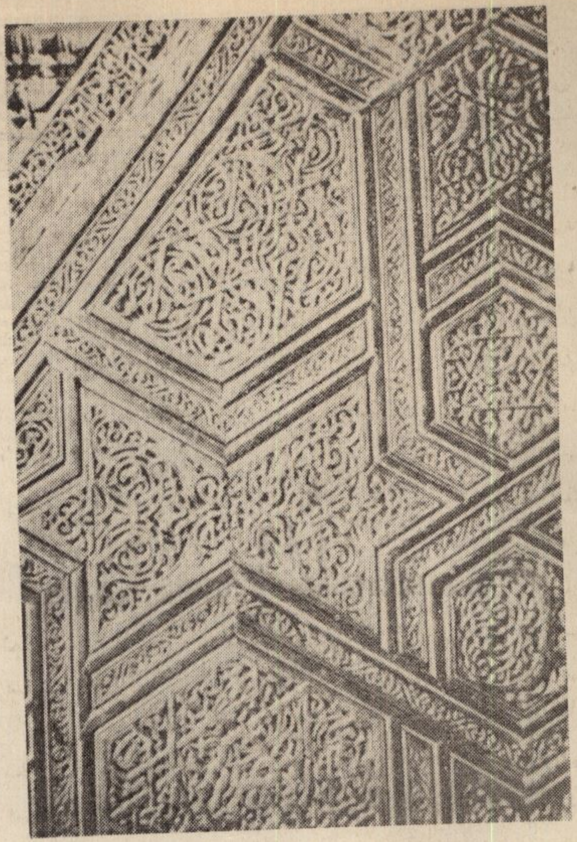

جزء من منبر مشهد الحسين الذى بناه بدر الجمالة بعسقلان ونقله صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ الى منبر الخليل بعد نقل الرأس الى القاهرة

الزهراء . أما قوتهم السياسية فقد فاقت قوة الدولة العباسية ، اذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقا الى شمال افريقيا وبلاد المغرب غربا ، بل انه حدث فى عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيرى أحد اعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية فى بغداد والبصرة وواسط وجميع الاعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمى على منابرها فى خطبة الجمعة وفى هذا اكبر شاهد على تلك القوة .

رابعا : ذكر عثمان مدوخ فى كتاب العدل الشاهد فى القرن (١٩ م انه عثر بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد انه مشهد الحسين ، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن مما يؤيد نقل الرأس منها . خامسا ، جاء فى المقريزى ، ان الصالح طلائع بنى مسجدا لرأس الحسين بعد نقلها من عسقلان خشية استيلاء الفرنجة عليه ، وهو المسجد المعروف بجامع الصالح طلائع خارج باب زويله (بوابة المتولى الان) . سادسا ، جاء فى كتاب العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد أن المرحوم عبد الرحمن كتخذا القزدغلى ، **لما اراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسينى ، قيل له ان هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فاراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الاستاذ الجوهرى الشافعى والاستاذ الشيخ الملوى المالكى وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه وهو كرسى من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستار من الحرير الاخضر تحتها كيس من الحرير الاخضر الرقيق داخله الرأس الشريف ، فانبنى على اخبارهم تحقيق هذا المشهد وبنى المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافا يصرف على المسجد من ريعها (•)**

مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه ، ونستطيع ان نؤكد فى ثقة واطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل الى مشهد الحسين بالقاهرة

هذا ولا اجد فى هذا المقام خيرا من العبارة التى جاءت فى المقريزى اختم بها موضوع الرأس الشريف ولحفظة الاثار وأصحاب الحديث ونقلة الاخبار ، ما اذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ماهو غير المشهور ، وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى مليه والعمل بالنية « أو كما قال سبط الجوزى ، ففى اى مكان كان رأس الحسين او جسده فهو ساكن فى القلوب والضمائر قاطن فى الاسرار والخواطر .

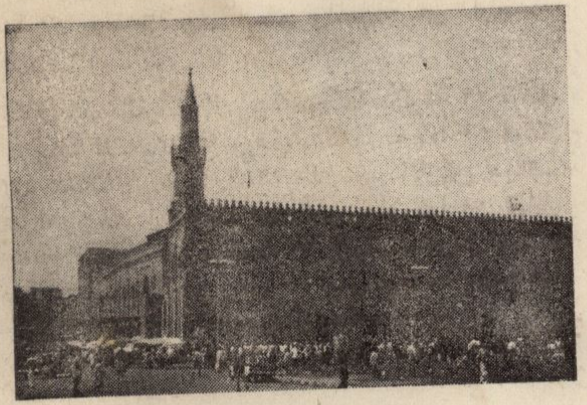

قبة المشهد والمئذنة القديمة

الطريق الى الله

المؤمن الحقيقى هو أقوى البشر .. ان الايمان يعطيك قوة هائلة .. تتغلب بها على كل العقبات .. وتتخطى بها كل القيود .. والمؤمن يموت مرفوع الرأس .. ولا يعيش راكعا ذليلا .. والعزة تورث القوة . والرضا بالذل يقود الى مزيد من الذل .

وأمامنا مثل واضح ينبض : صدر الاسلام ..هل قاد الطريق الى الله المسلمين الى الذل .. أم الى العزة ؟

ان الاسلام قد وحد بين القبائل العربية المتفرقة المتناحرة .. وجعل منها أمة عظيمة .. تهزم الامبراطوريات .. وتقيم الحضارات .. وتدين لها الدنيا .. وتنشر نور العلم والمعرفة فى أرجاء المعمورة .

كانت هذه القبائل العربية مختلفة متفرقة .. قبائل تشتد بينها الاحقاد .. ويقتل بعضها بعضا .. قبائل بسبب الخلافات بينها استضعفت فى الارض بجانب الامبراطوريات والحضارات التى جاورتها .. قبائل لم يمنع الغزو عن أرضها الا أنها صحراء جرداء قاحلة .. سكانها بدو رحل .. ليس فيها ما يطمع فيه الغزاة .. ولا ما يستطيعون أن يحكموه

ومن هؤلاء الناس .. الذين يكره بعضهم بعضا .. نشأت أضخم حضارة عرفها التاريخ .. ومن هؤلاء البدو الرحل الذين لم يصلوا الى حضارات الامبراطوريات المجاورة لهم من الفرس والروم .. نشأت قوة هزمت هذه الامبراطوريات .. وزعزعتها .. ومحتها .. من هذه المجموعة من البدو خرجت طلائع وصلت الى أوربا .

كيف حدث ذلك ؟! .. حدث بقوة الدين الجديد .. وماهو الدين الجديد .. هل هو صلاة ؟ .. هل هو تسبيح وتكبير ؟ .. نعم ولكن أكثر من ذلك هو حياة .. هو رسم لطريقة الحياة .. رسم من خيوط صلبة قوية تبنى الانسان من الداخل .. تبنى الانسان الذى يستطيع أن يسود الارض .. هو بناء داخلى صلب فى قلب النفس البشرية ذاتها .. يضع لها الخيوط .. ويفسرها لها .. ويوضحها أمامها .. ليمحو الضعف ويضع بدله القوة .. ويمحو الخوف ويملأ النفس بالشجاعة .. ويقضى على التردد ويضع بدلا منه الاقدام .. ويخلق من أمة مستضعفة أمة يدين لها العالم .

ان البناء الداخلى الصلب الذى وضعه الدين الاسلامى للانسان فيه سر كبير من أسرار الحياة

ان مقومات الانسان الحضارى .. منصوص عليها

الإيمان

الأستاذ أحمد زين

كلها فى القرآن الكريم •• الصدق •• الامانة •• أتقان العمل •• الشجاعة الفائقة •• الرحمة من غير ضعف ولا استكانة •• الاباء والتواضع •• الصبر وعدم الانفعال •• الحرية بأكبر معانيها وأقدسها ••

ان الخوف يفسد الايمان •• بل ان الله منع الاكراه حتى فى الدين •• أى فى عبادته سبحانه وتعالى •• اذ يقول وهو أصدق القائلين « **لا اكراه فى الدين** » •

ان الوصول الى الايمان الحقيقى ليس مجرد تمن •• ولا مجرد أقوال •• ولكنه أفعال تحتاج الى مثابرة حقيقية •• والى جهاد ضد النفس أولا ••

الايمان الحقيقى هو الذى يزلزل الجبال •• ويخلق الرجال •• ويحيى الامم والحضارات

الايمان معناه يقين لا يتسرب اليه الشك أبدا •• لا يستطيع شىء أن يزحزحه من مكانه •• مهما تكن قوته •• انه يهزم كل شىء •• ولا يهزم أبدا

انه هو الذى يقهر كل صعب •• ولا يقهره شىء أبدا •• ذلك هو الايمان •• لا تهزه العواصف ولا تزحزحه الشكوك •• ولا يتسرب اليه اليأس

ان كل فرد منا اذا آمن فعلا أن الله يراه فى كل صغيرة وكبيرة •• وأحس وهو يؤدى العمل •• احساسا داخليا عميقا بأن الله معه •• اذا أحس بهذا فى قلبه •• فانه لن يفقد خطواته أبدا فى الطريق الى الله

اذا أحس أنه لا يوجد مكان •• يستطيع أن يختبىء ويبتعد أو يهرب فيه من عين الله •• فانه سيمضى فى الطريق يملؤه النور والامل •• وتحوطه عناية الله

ان الطريق الى الله يطالبنا بالسعى والعمل •• ولا يامرنا بأن نستسلم •• ولكن يأمرنا بأن نعمل ونجاهد •• ونمضى فى حياتنا الدنيا •• وأن نتسلح بالعمل •• وأن نتعلم ونزداد علما •• وأن نتقدم وننتزع حقنا •• وأن نخلص أنفسنا من ذل الدنيا متوكلين عليه •• هو يفتح ويبارك ويحقق ويوفق وييسر ويجيب •

ان هذا هو الطريق •• وتلك خطواته واضحة بلا لبس ولا ابهام ولا طلاسم •• طريق يدفعنا الى الامام •• لا يشغلنا عن السعى •• ولكن يحررنا من القيود كلها •• يحررنا من كل ما يعوق •• ويهدم أمامنا كل العقبات •

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** »

والى لقاء قادم ان شاء الله

مصدر القراءات الوحى لا الرسم

فضيلة الشيخ
عبد الفتاح القاضى

وأزيد هذه المسألة ايضاحا فأقول : « فى القرآن الكريم كلمات تكررت فى مواضع كثيرة ، ورسمت برسم واحد فى جميع المواضع ، ولكنها فى بعض المواضع وردت فيها القراءات التى يحتملها رسمها فاختلف فيها القراء ، وتنوعت فيها قراءاتهم ، وفى بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بقراءة واحدة ، لان غيرها لم يصح به النقل . ولم تثبت به الرواية مع أن الرسم يحتمله .

وهاك بعض الامثلة : ١ ـ كلمة « مالك » ذكرت فى القرآن وصفا أو فى حكم الوصف فى ثلاثة مواضع « مالك يوم الدين » فى الفاتحة « قل اللهم مالك الملك » فى آل عمران « ملك الناس » فى سورة الناس ، ورسمت برسم واحد فى المواضع الثلاثة ، وهو حذف الالف بعد الميم ، ولكن القراء اختلفوا فيها فى موضع الفاتحة فقط فمنهم من قرأها فيه بحذف الالف ، ومنهم من قرأ باثباتها . أما موضع آل عمران فقد اتفق القراء على قراءتها فيه باثبات الالف ، مع انه لو قرىء بحذف الالف فى هذا الموضع لكان ذلك سائغا لغة ومعنى ولكن لم يقرأ فيه بالحذف لعدم ثبوت النقل فيه بالحذف . وأما موضع الناس فقد اتفقوا على قراءتها فيه بحذف الالف مع انه لو قرىء باثبات الالف فى هذا الموضع لكان ذلك سائغا لغة ومعنى ولكن لم يقرأ فيه بالاثبات لعدم ثبوت النقل فيه بالاثبات ، فلو كانت القراءات بالرأى والاختيار لا بالتلقى والتوقيف وكان تنوع القراءات تابعا للرسم لم يكن اختلاف القراء مقصورا على موضع الفاتحة بل كان يتناول الموضعين الاخرين ، لكنهم اختلفوا فى موضع الفاتحة واتفقوا فى موضعى آل عمران والناس فدل هذا على أن القراءات لم تكن بالاجتهاد والاختيار ، ولم يكن تنوعها تابعا للخط والرسم وانما هو تابع للسند والرواية والنقل .

٢ ـ وردت كلمة (غشاوة) فى موضعين فى القرآن الكريم . الاول فى سورة البقرة فى قوله تعالى « **وعلى أبصارهم غشاوة** » الثانى فى سورة الجاثية فى قوله تعالى « **أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة** » وهذه الكلمة مرسومة فى جميع المصاحف العثمانية بحذف الالف بعد الشين فى الموضعين معا ومع ذلك اتفق القراء على قراءتها فى موضع البقرة بكسر الغين وفتح الشين واثبات ألف بعدها واختلفوا فى قراءتها فى موضع الجاثية فقرأها بعضهم بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها ، وقرأها بعضهم بفتح الغين وسكون الشين مع حذف الالف ، ولو قرىء موضع البقرة بفتح الغين وسكون الشين لكان ذلك صحيحا لغة ومعنى ولكن لم يقرأ أحد بهذه القراءة فى هذا الموضع لعدم ثبوتها فيه .

وهذا يدل على أن القراءة انما تؤخذ بالمشافهة والسماع ولا تؤخذ من خط المصحف ورسمه .

٣ ـ **الصاعقة** ـ ذكرت هذه الكلمة معرفة ومنكرة فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع

الاول : فى سورة البقرة فى قوله تعالى « **واذ قلتم**

يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون »

الثاني : فى سورة النساء فى قوله تعالى « **فقالوا أرنا الله جهره فأخذتهم الصاعقه بظلمهم »**

الثالث والرابع : فى سورة فصلت فى قوله تعالى « **فأن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »**

الخامس : فى سورة الذاريات فى قوله تعالى « **فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون »**

وهذه الكلمة مرسومة فى جميع المصاحف العثمانية فى المواضع الخمسة بدون ألف بعد الصاد ، ولكن القراء أجمعوا على قراءتها فى المواضع الاربعة الاولى باثبات الالف بعد الصاد مع كسر العين ، واختلفوا فى الموضع الخامس ، فقرأها بعضهم فيه باثبات الالف بعد الصاد مع كسر العين وقرأها بعضهم بحذف الالف مع سكون العين • ومعنى القراءتين واحد • فلو كان تنوع القراءات تابعا للرسم لاختلف القراء فى المواضع الاربعة كما اختلفوا فى الموضع الخامس ، ولكنهم اتفقوا فى المواضع الاربعة واختلفوا فى الخامس فكان ذلك دليلا على أن العمدة فى ثبوت القراءة التوقيف والرواية لا الرسم والكتابة .

٤ـ كرها ـ ورد هذا اللفظ فى القرآن فى ستة مواضع :

١ ـ « وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها » فى آل عمران

٢ ـ « يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها » فى النساء

٣ ـ « قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم » فى التوبة

٤ ـ « ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها » فى الرعد

٥ ـ « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها » فى فصلت

٦ ـ « حملته أمه كرها ووضعته كرها » فى الاحقاف •

وقد اختلف القراء فى الموضع الثانى والثالث والسادس فمنهم من قرأ بضم الكاف ومنهم من قرأ بفتحها ، والضم والفتح لغتان بمعنى واحد •

واتفقوا على القراءة بفتح الكاف فى الموضع الاول والرابع والخامس •

وتجريد المصاحف من شكل الحروف يجعل كل موضع من المواضع الستة محتملا لقراءتى الضم والفتح ، ولكن لم يقرا بالضم قارىء فى أى موضع من هذه المواضع الثلاثة (الاول والرابع والخامس) •

فلو كان اختلاف القراءات نتيجة لخلو المصاحف من الشكل لاختلف القراء فى هذه المواضع كما اختلفوا فى المواضع الثلاثة الاولى ، لكنهم اتفقوا فى هذه المواضع واختلفوا فى تلك فحينئذ لا يكون لخلو المصاحف من الشكل دخل ما فى اختلاف القراءات •

٥ ـ ثبت أن الامام نافعا قرأ لفظ « **يحزن** » فى القرآن الكريم كيف ورد بضم الياء وكسر الزاى نحو « **و لايحزنك قولهم** » ، « **قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون** » « **ليحزن الذين آمنوا** » الا قوله تعالى فى سورة الانبياء « **لا يحزنهم الفزع الاكبر** » فقرأه بفتح الياء وضم الزاى•

وثبت أن الامام أبا جعفر قرأ هذا اللفظ فى جميع مواضعه بفتح الياء وضم الزاى الا موضع الانبياء فقرأه بضم الياء وكسر الزاى وكلا الامامين مقتف للاثر متبع للرواية

فلو صح أن منشأ القراءات تجريد المصاحف من شكل الحروف وحركاتها لثبتت هاتان القراءتان فى هذا اللفظ فى جميع مواضعه واللغة تسيغ كلتا القراءتين يقال فى اللغة حزنه الامر وأحزنه اذا أهمه •

٦ ـ اختلف القراء فى قراءة لفظ « **مدخلا** » فى قوله تعالى فى سورة النساء « **وندخلكم مدخلا كريما** » وفى قوله تعالى فى سورة الحج « **ليدخلنهم مدخلا يرضونه** » فقرأه بعضهم بضم الميم ، وقرأه بعضهم بفتحها • واتفقوا على قراءة لفظ « **مدخل** » فى قوله تعالى فى سورة الاسراء « **وقل رب أدخلنى مدخل صدق** » بضم الميم • واللغة تجيز فى هذا الموضع فتح الميم كما تجيزه فى الموضعين السابقين ، ولكن لم يقرأ قارىء فى هذا الموضع بفتح الميم • فلو كان مرجع القراءات رسم المصحف لقرىء لفظ « **مدخل** » بقراءتين ضم الميم وفتحها كما قرىء لفظ مدخلا ولكن لم يرد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتح الميم فى هذا اللفظ فاتفق القراء على قراءته بالضم •

٧ ـ أختلف القراء فى قراءة لفظ « **تخرجون** » فى سورة الاعراف فى قوله تعالى « **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** » وفى الموضع الاول من سورة الروم وهو «ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون» وفى سورة الزخرف فى قوله تعالى « **فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون** » وفى سورة الشريعة (الجاثية) فى قوله تعالى « **فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون** »

اختلف القراء فى هذه المواضع فمنهم من قرأ بضم الحرف الاول منها وفتح الحرف الثالث على البناء

للمفعولَ ، ومنهم من قرأ بفتح الاولَ وضم الثالثَ على البناء للفاعل واتفقوا على قراءة الموضع الثانى من سورة الروم وهو « **ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون** » بفتح التاء وضم الراء على البناء للفاعل ، ولاشك أن خلو المصاحف من شكل الحروف يجعل هذا الموضع محتملا للقراءتين الثابتتين فى المواضع السابقة ، واللغة تجيز فيه البناء للمفعول ومعنى الاية يسيغه ، ولكن قراءته بالبناء للمفعول لم تأت بها رواية ، ولم يثبت بها سند فلم يقرأ بها أحد وهذا أيضا من البراهين على أن مصدر القراءات وتنوعها انما هو التوقيف والتلقين ، والاخذ والسماع ، ولا دخل لخلو المصاحف من الشكل فى هذا البتة ·

٨ ـ اختلف القراء فى قراءة لفظ « **الرشد** » فى قوله تعالى فى سورة الاعراف « **وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** » وفى قراءة لفظ « **رشدا** » فى قوله تعالى فى سورة الكهف « **هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا** » وخلاف القراء فى هذين اللفظين دائر بين ضم الراء وسكون الشين وفتح الراء والشين ، وهما لغتان فى هذا اللفظ كالبخل بضم الباء وسكون الخاء وبفتحهما والحزن بضم الحاء وسكون الزاى وبفتحهما والسقم بضم السين وسكون القاف وبفتحهما

واتفق القراء على قراءة لفظ رشدا فى « وهيىء لنا من أمرنا رشدا » وفى « **لاقرب من هذا رشدا** » وكلاهما بالكهف ، وفى « **أم أراد بهم ربهم رشدا** » وفى « **فأولئك تحروا رشدا** » وفى « **لا أملك لكم ضرا ولا رشدا** » والثلاثة فى سورة الجن فاتفقوا على قراءة هذا اللفظ فى المواضع المذكورة بفتح الراء والشين

كما اتفقوا على قراءة « **يهدى الى الرشد** » فى سورة الجن بضم الراء وسكون الشين ·

وهذا اللفظ فى جميع المواضع المذكورة ـ سواء كان معرفا أو منكرا ـ المختلف فيها ، والمتفق عليها معناه واحد ، وهو الحق والخير والصلاح والصواب ، فلو كان اختلاف القراءات وليد خلو المصاحف من ضبط الحروف بالحركات والسكنات لقرىء هذا اللفظ فى جميع مواقعه بقراءتين أذ أن اللغة تجيز كلتا القراءتين ، ومعنى اللفظ لا يختلف عليهما ·

أما وقد اتفق القراء على قراءته بوجه واحد فى بعض المواضع ، واختلفوا فى قراءته فى بعض المواضع فقرأوه بوجهين فلا يكون ذلك راجعا الا الى اتفاق النقل فى المواضع المتفق عليها ، واختلافه فى المواضع المختلف فيها وليس لرسم المصاحف دخل فى هذا البتة

علمانية

والمحافظة على صحة الانسان

لعلم الطب غايتان مرسومتان لتحقيق المحافظة على صحة الانسان ضد الامراض الميكروبية أوسع الامراض فى الناس انتشارا ، واسرعها فتكا بهم :

اولاهما : منع « المكروب » من اقتحام جسم الانسان والتسلط عليه ·

وثانيتهما : معالجة « المكروب » ـ اذا أفلت من وسائل المنع ، او اجتاز طريقه الى الجسم حيث لا تنازعه موانع الوقاية ـ وذلك بقتله داخل الجسم بالعقاقير المختلفة التى من أشهرها مضادات الحيوية ، ـ او بتقدير ذلك « الحلم » الذى نحلمه · الا وهو تنشيط الجسم بالدرجة التى يستطيع ان يقتل فيها كل « مكروب » ،او « فيروس » يتسلل الى الجسم ليعيث فيه فسادا · بتقدير اكتشاف « عقار » عملاق يمنح الجسم هذه الدرجة من النشاط والحيوية اليقظى لرد هجوم أعداء الجسم المتربصين به دائما ·

وعلينا ان نبين فى هذا الصدد حكم الاسلام واسلوبه فيما يؤدى لتحقيق الغاية الاولى · وهى التوقى من دخول الامراض الى الجسم : وفيما يؤدى لتحقيق الغاية الثانية : وهى العمل على قتل أسباب المرض فى الجسم قبل أن تقتل « ميكروباته الجسم » ·

ويحتاج ذلك الى ذكر مقدمة وجيزة جدا عن حقيقة نظر الاسلام الى الجسم « وتقييمه » : تذهب بعض الديانات التى تنبنى أصولها الاعتقادية على رفض الاعتقاد بوجود الانبياء المرسلين ، وجواز ارسال الرسل على رب العالمين ـ الى بخس تقييم الجسد الانسانى ـ فى مقابلة تقوية الروح · ومن ثم كانت رياضاتهم المعروفة فى تعذيب أجسادهم بالصوم الطويل ، واهمال النظافة ، ومزاولة المشقات البدنية التى تسقط حظ الجسم · وقيمته وحظ غرائزه الفطرية ·

النظرة الإسلامية

الدكتور محمد سعاد جلال

ولقد ترتب على خطأ هذا المنظر الذى يشرع هضم الجسد بزعم اعلاء الروح ، وتصفيتها وتقويتها • أن شاعت فى العامة فكرة ارخاص الجسد واهماله ، ولقد كان ذلك شديد الوضوح فى اوروبا فى العصور الوسطى حيث لم يكن لشعار النظافة وتطهير الجسم من الاخباث • والانجاس ، بين الاوروبيين فى ذلك الوقت مكان ملحوظ ـ كما تسرب بعض ذلك الى قلة منحرفة ممن تسموا بالفقراء • والدراويش من المسلمين ونضحوا رذاذا منه على حياة بعض العامة . وترتب على هذا الخطأ خطأ آخر هو قلة العناية بالطب والتداوى ـ استنادا لفكرة التوكل على الله ـ كما سنبين خطأ ذلك بعد •

وفى مقابل هذا النظر الضال فى تقييم الجسد الانسانى ظهر فى الفكر المادى الثورى فى أوروبا من بعد عصر النهضة ـ ارتدادا لفلسفة الاغريق القدماء ـ التقديس العظيم للجسد ، وما يمكن ان يسمى من خلال هذا التقديس عند نيتشه عبادة الجسد ويتزايد انتشار الفلسفات المادية فى العالم حتى اليوم بنشر عبادة الجسد وتوسيع اقطان مملكته ، والمبالغة فى الحفاظ عليه والاسلام له بصورة لا تقل فى الخطأ والضلال ومعاكسة الفطرة • عما كان عليه اصحاب فلسفة « اهمال الجسد » كلا الطرفين مخطىء : بين غال ، ومقصر •

ويجىء الاسلام فى تصويب هذه القضية الاعظم خطورة وأهمية دينا وسطا : يحل للناس الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم آصار التقاليد ، والافكار ، والاعمال الباطلةالثقيلة ، ويدعوهم الى التجمل ، وحب الجمال ، والتعبير عن رغبات الجسد فى نطاق الشرعية والحكمة •كما سنبين بعض ذلك من بعد •

وهذا النظر الاسلامى الصحيح فى « تقييم الجسد الانسانى هو أساس موقف الاسلام من موضوع المحافظة على صحة الانسان ، وتقرير جميع الوسائل التى تؤدى الى تحقيق هذه المصلحة الدينية الاساسية المؤكدة : ولذلك يقرر جميع فقهاء المسلمين ـ كما يقرر « الشاطبى » فى « الموافقات » : ان مقاصد الشريعة الاساسية التى تتفرع عنها جميع المقاصد الشرعية الاخرى هى خمس وتسمى المقاصد الضرورية ـ وهى المحافظة على • « النفس ، والدين ، والنسل ، والعرض ، والمال » • وهى أمور معتبرة فى كل ملة •

ومن هذا الموقف العام للاسلام تنبع جميع التشريعات الاسلامية المطالبة بالاحسان فى « تقييم » الجسد ، والعناية به ، وتتجدد تشريعات أخرى ـ اجتهادا على هذا الاصل كما تجددت الدواعى لمزيد المحافظة على صحة الناس • وتمام الرعاية لسلامة اجسادهم •

قلنا ان حكم الاسلام يدعم علم الطب ـ فيما تطب به الافات الميكروبية » فى غايتيه الاساسيتين : الوقاية من « الميكروب » وقتل المكروب ـ اذا اتيح له دخول الجسد :

فأما عن الغاية الاولى فقد قرر الاسلام ما يأتى

أ ـ قرر الاسلام ثبوت العدوى ـ وانتقال المرض من المريض الى الصحيح ـ وفى صيغ التعبير عن ذلك الاح بوجود أشياء خفية ـ جن ! تنقل المرض من السقيم للصحيح ، فقد ثبت فى صحيح مسلم من طريق جابر ابن عبد الله • انه كان فى وفد ثقيف « رجل مجذوم ، يريد ان يقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له ـ عليه السلام ـ « ارجع فقد بايعناك •

وفى الصحيحين : من حديث ابى هريرة « لا يوردن ممرض على مصح » أى لا يختلط مريض بصحيح • اتقاء لعدواه •

وفى حديث آخر : « فر من المجذوم فرارك من الاسد » .

كما يذكر عنه – عليه السلام – انه قال : « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح او رمحين » .

فهذه الاحاديث الصحيحة دليل واضح على اعتراف الاسلام بحقيقة العدوى ووجوب التحرز منها على الانسان الصحيح تجاه المرضى : بعكس حكم بعض الثقافات الدينية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى ، فى اوروبا » ، وكانت لا تعترف بحقيقة « العدوى » : وتحارب الباحثين فى اسباب المرض الموضوعية ، وتتهمهم بالزندقة . وهى الثقافة المتعصبة العمياء التى حكمت على الطبيب اللاهوتى : « ميخائيل سرفينوس » بالهرطقة ، وساقته ليحرق بالنار من أجل أبحاثه الطبية الموضوعية بمدينة ليون بفرنسا فى ٤ أبريل سنة ١٥٥٣ : ليعرف الغافلون فى هذا الموضع مدى تقدمية الاسلام فى العلم والتحضر ، وسبقها على غيرها :

ب – جعل الاسلام مبدأ النظافة الشاملة : نظافة البدن ، والثياب والمياه والامكنة ركنا اساسيا من تعاليمه ، وتكليفاته .

غسل اليدين قبل الاكل وبعده : قال عليه السلام : غسل اليدين قبل الاكل بركة ، وبعده ينفى اللمم اى مس الشيطان وهو « الميكروب »

الوضوء فى اليوم خمس مرات غالبا : وهو غسلُ اجزاء الجسم المكشوفة المتعرضة اكثر من غيرها لوقوع الميكروبات » عليها قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » :**

الاغتسال بعد العمل الجنسى : قال تعالى : « **وان كنتم جنبا فاطهروا** » ويطلب فى كل أسبوع : قال عليه السلام « **غسل الجمعة واجب على كل محتلم** » .

حرم الشارع على المسلم : البول والتبرز فى موارد المياه وفى الطريق العام ، وفى اماكن الظل التى يأوى اليها الناس كالمظلات والاشجار : لان فى ذلك تكاثر الميكروبات . وانتشار العدوى فى الناس بانتشار القذارة فى الاماكن المطروقة وموارد المياه التى يستعملها الناس فى شربهم ومغتسلهم : قال عليه السلام – « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل » . رواه ابو داود .

وروى مسلم عن جابر : « نهى رسول الله عن أن يبال فى الماء الراكد » كما ورد نهيه عن البول فى الماء الجارى – ايضا .

والحديث الجامع فى هذا الشأن قوله – عليه السلام – « ان الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة . كريم يحب الكرم . جواد يحب الجود . فنظفوا افناءكم . وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود : يجمعون « الاكب » فى دورهم : « الاكب » الزبالة » .

واذا اكتشفنا أن المعنى الجامع فى هذه النصوص فى باب الطلب . أو فى باب الحظر : انما هو حفظ صحة الناس من أسباب انتقال المرض اليهم اثبتنا بالقياس الشرعى » الحكم بتحريم مباشرة كل الاطعمة ، والاشربة والمجالس ، والمخالطات ، والاماكن التى يترجح فيها وجود « المكروبات » بشهادة أهل الخبرة الموثوق بهم على المكلف المسلم ، حفظا لصحته ، ومنعا له من القاء نفسه بيديه الى التهلكة .

ان النظافة الشاملة فى كل ما يماس بدن الانسان ويتصل به – وفى كل ما يحتمل دخوله الى جوفه من طعام وشراب هو السلاح الوحيد فى تقييم الاطباء والمعالجين الذى يمكن الاعتماد عليه فى كسب الحرب الوقائية ضد الامراض « المكروبية » وانه فى الوقت نفسه شرعة الاسلام المؤكدة الطلب ، اللازمة على كل مسلم فى اسلوب حياته .

ج – ومن أعظم أسباب الوقاية من الامراض « المكروبية » وغير « المكروبية » الاعتدال فى تناول الطعام وعدم الاسراف فيه: ذلك ان السرف فى تناول مقادير اكبر من حاجة الجسم للطعام . وادخال الطعام على الطعام قبل هضم الاول : من شأنه ان يحدث فى المعدة تخمرات ضارة تهيىء مناخامناسبا لتكاثر « الجراثيم » المختلفة ، ومساعدتها على العمل وتخريب الجسم وتسميمه ومن اجل ذلك حظر تعليم الاسلام على المكلف الزيادة فى طعامه وشرابه على قدر الحاجة المطلوبة وفى ذلك يقول – عليه السلام – « حسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه . فان كان لابد فاعلا . فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

وعن أبى جحيفة قال : اكلت ثريدة من لحم وخبز فأتيت النبى – صلى الله عليه وسلم – فجعلت اتجشأ ، فقال : يا هذا : كف عنا من جشائك ، فان اكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » .

ويشير الحديث الى استقباح الزيادة فى الاكل بالمقدار الذى يجعل صاحبه يتجشأ فى المجالس فيخرج من معدته بجشائه روائح الطعام المستكرهة . كما يشير الى ان الشره فى تناول الطعام اشتغال معيب

بالوجه المادى للحياة ينمى الانانية فى الشخص ، ويغفله عن ذكر الله والاعداد للاخرة : فاذا جاء يوم القيامة – جاء من الحسنات بمالا يكفى من ذلك لنجاته ، وظفره برضوان الله عنه – فكان فى هذه الصورة بمنزلة الجائع الى الطعام المنقذ له من شر الجوع وعذابه ·

تكلمنا عن الغاية الاولى للطب فى المحافظة على صحة بدن الانسان – اعنى تقرير التوقى من مسببات الامراض « المكروبية » · ونصل الان لتقرير الغاية الثانية له – وهى : معالجة « المكروبات » المسببة للامراض · وقتلها فى داخل الجسم وأصل ذلك تقرير مبدأ التداوى من المرض ·

يظن بعض « الاسطوريين » و « المشعوذين » : أن التداوى ينافى التوكل على الله وان مقتضى التسليم لله رفض معالجة الجسم – اذا دخله مرض ، ومنهم من يرفض معالجة المريض بالطرق العلمية – ليلتمس الشفاء من « المشعوذين » – كل ذلك باطل بعيد عن تعاليم الاسلام وافتئات عليه : ذلك أن الاسلام دين يتمشى فى تقرير أحكامه مع مقتضيات الفكر العلمى · والعمل العلمى · فى تنظيم حياة الناس ، وأعمالهم – كما بينا – وكان من أظهر ما قررته تعاليم الاسلام الاعتراف بموضوعية الاشياء · وربط الاسباب بمسبباتها · وان معنى التوكل على الله : انما هو اعتماد القلب على الله فى استجلاب النفع ، ودفع الضر عن النفس – مع حتمية الشروع فى الاسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها : فالتوكل على الله لا يصح شرعا الا بعد اخذ المكلف فى الاسباب المرتبطة بمقصوده · ولهذا وردت عن النبى – صلى الله عليه وسلم الاحاديث الصحاح فى الامر بالتداوى · والمعالجة للامراض العارضة لبدن الانسان :

قال صلى الله عليه وسلم – « لكل داء دواء ، فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن الله » ·

وقال : ما أنزل الله من داء الا أنزل له شفاء ·

وعن اسامةبن شريك » قال : « كنت عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجاءت الاعراب فقالوا : **يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال نعم : ياعباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يصنع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد » : قالوا ما هو : قال : « الهرم » ·**

وفى لفظ : « ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله » ·

وعن ابى خزامة – قال : قلت يا رسول الله : ارأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به ، هل ترد من قدر الله شيئا : فقال : هى من قدر الله » ·

وجملة هذه الاحاديث مبينة لامرين عظيمين فى باب تقرير السنة المطهرة لتعليم الاسلام فى المحافظة على صحة الابدان ·

اولهما : اثبات مبدأ التداوى » والمعالجة لدفع الامراض العارضة للجسم : وان الله جعل لكل داء ، دواء يستطب به : مما يفتح امام الباحثين بابا واسعا للنشاط العلمى فى طلب الادوية ، وأسباب العلاج : ويفتح املا واسعا امام المرضى فى انتظار الشفاء وطلبه : وهذا ، وهذا من أكبر اسباب دفع الامراض من الوجود والتغلب عليها وتقليل نسبة ظهورها فى الناس ·

وثانيهما : النص على أن المرض – اذا كان حصوله فى البدن بقدر الله – فان دفعه بالعلاج والدواء من قدر الله كذلك : مما ينفى تلك الافكار « الخرافية » – التى تشيع على ألسنة نفر من أدعياء الدين » او ، التدين – أن التوكل على الله – يصلح ان يكون رخصة – للاعراض عن التداوى »اذا حل بالجسم مرض ·

* * *

من توجيهات الإسلام للشباب

م جلوة

فى الحديث الشريف (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) •

أن اعداد الفرد لحياة مستقيمة صالحة ، سالمةمن الاعوجاج والانحراف ــ يجب أن يبدأ منذ الصغر •• وكلما صلحت البيئة صلح الفرد والمجتمع • وأسس الاصلاح يجب أن تبدأ فى البيئة الاولى ــ بيئة المنزل ــ على أن يكون رائد الاصلاح فيها هو القدوة الحسنة ، والمعاملة الطيبة من الوالدين الى الاولاد ورحم الله من حمل ولده على بره • وبئس الصنيع الذى يحمل على العقوق والبغض •

ومرحلة الشباب مرحلة من أخطر وأدق مراحل العمر ، احتاط الاسلام لها بما قدمه من نصح الى الاباء قبل أن يصل الاطفال الى سن المسئولية والتكليف : (**مروا أولادكم بالصلاة لسبع وأضربوهم عليها لعشر**) واذا ارتبط الطفل من أول حياته بربه ــ عرف حق مجتمعه عليه ونشأ فى طاعة الله •

ولم يكن الاسلام بتعاليمه بعيدا عن واقع حياة الشباب •• فهو لا يستبعد أن تقع منهم صغائر الذنوب ، كما لم يستبعد أن تقع منهم كبرياتها • فقد فتح الله سبحانه باب التوبة والاستغفار والانابة الى الله ، قال تعالى (**والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) •

ومن الانحراف ما يأخذ طبيعة المرض الملازم ، ويجعل صاحبه فى اعداد المارقين • وقد يكون هذا النوع سلوكيا يتمثل فى تصرف الفرد وأعماله ، وقد يكون فكريا يتمثل فى استهتار الفرد بالقيم الاساسية فى دينه وفى حياة مجتمعه •• ويرجع هذا اما الى جهل وتربية خاطئة ، واما الى زيغ فى التفكير وفساد فى القلب •

والتنشئة الصالحة والاساليب التربوية الصحيحة ــ كفيلتان بالسلامة من مزالق عديدة •

أما الانحراف الفكرى ــ فلا منجى منه الا بتصحيح الاعتقاد وسلامة البرهان •

ومما يمتاز به الاسلام أنه دين الفطرة ــ فلا يجافيها ولا يتنكر لها فى أى مطلب من مطالبها المستقيمة النافعة (**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**] •

واستجابة الجمهرة الكثيرة من ناشئتنا لتعاليم الدين ، ومحافظتها على فروضه ، ووقوفها عند حدوده ، أمر مشاهد فى كثير من المواقف ، وخصوصا اذا وفق الداعية الى عرض الدين عرضا سليما •

ومن أبرز الانحرافات التى تدعو الى التساؤل امور ثلاثة :

١ ــ المشكلة الجنسية ٢ ــ الاعتداء على ممتلكات الاخرين ٣ ــ اليأس من الحياة والتخلص منها بالانتحار •

وهذه الانحرافات تنبعث من مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية المتشابكة • ومن بين تلك العوامل طغيان بعض الغرائز الفردية وجموحها ، وفى مقدمتها غرائز العدوان والسيطرة والتملك والجنس •

وقد جاء الاسلام بتعاليمه التى تتعهد تلك الغرائز بالتربية وتعصمها من الاعوجاج والانحراف • لم يدع الاسلام الى التنكر من تلك الغرائز ، وانما دعا الى وضعها فى موضعها الصحيح من حياة الفرد والامة •• دعا الاسلام الى الحياء ــ فالحياء خير كله ، وحذر من البذاء وهو شر كله •• وما كان الحياء فى شىء الا زانه ، وما وجد البذاء فى شىء الا شأنه ، والحياء من الايمان . قال تعالى [**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون**) •

ومن أهداف الاسلام الواضحة تكوين الشخصية المسلمة تكوينا سليما من آفات التقليد ، قائما على الاستقلال الفكرى والعاطفى • وليست الانحرافات بأقل من المرض العضوى الذى تعمل الامم جادة لتحاشى عدواه •

والانسان فى نظر الاسلام كائن مسئول ولا مسئولية ولا ثواب ولا عقاب الا فى عالم فيه الخير والشر • وقد أمرنا الله بالعمل المثمر لنشبع من ورائه غريزة التملك ، وحملنا سبحانه أمانة التكاليف ، وأمرنا بالصبر على تحمل المشاق ومواصلة الطاعات ، وبصرنا أن اعتداء الانسان على نفسه جريمة لا تخلصه كما يظن من مشاكل الحياة • قال تعالى (**ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدواناوظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك**

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

على الله يسيرا) .

والاسلام هو نظام يجمع بين نور المعرفة وسلطان العقيدة وحرارة الايمان « **أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أاله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله من الله قليلا ما تذكرون** » .

وان الاسلام هو العامل الاكبر الذى يعطى الشخصية الانسانية تكاملا والعواطف تماسكا ، ويحفظ الروح المعنوية فى الجماعة . واذا أحسن الناس فهم الاسلام وعملوا به كان دعامة وسندا وتوجيها للعلم وللاحساس الاجتماعى ، وهو فى نظامه الكامل يفيض من روحه على قوانين الاخلاق الانسانية كل خير وسعادة .

ولا شك أن الشباب الان فى حاجة الى احياء دينى يبنى نفوسهم ويقوى شخصياتهم ويقوم اعوجاجهم « **هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرءوف رحيم** » .

ومن الخطأ أن نخدع أنفسنا بقشور من الدين وألوان زائفة تبهت قبل أن يمتد اليها بصر الناظر وبصيرة المتدبر .. فجوهر التوجيه الدينى هو الوصول الى وجدان الانسان ، وتنمية عاطفته الدينية ، وربط جوانب شخصيته بحبل العقيدة والتعاليم الروحية ، واحكام صلته بخالقه من طريق اتصاله بكتاب الله حفظا وفهما ودراسة ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وسيرة أصحابه وخلفائه والصالحين من امته . وكل هذا يجب أن يكون فى بيئة ملائمة ، يعنى فيها المجتمع برعاية الاداب العامة ، ومحاربة العوامل الضارة ، والعمل على ازالة أسباب الفساد الخلقى والاجتماعى . وفى معنى الحديث « **والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليبعثن الله عليكم عذابا ثم تدعونه فلا يستجيب لكم !** .

ومن الواضح أن الركن الاساسى هو تعهد الشباب منذ بواكير صباه بالتربية الدينية ، واحاطته بجو من الثقافة الروحية التى تغذى عاطفة التدين فيه ، وتنمى فى ضميره ركائز التقوى ورياضة النفس .

ويجب أن يعتمد الموجهون للشباب وهم الدعاة ـ يجب أن يعتمدوا فى توجيههم على أساس من التحليل النفسى للشباب ، وأزمات نموه ، ومزالق تفكيره حتى يكون للدين أثره وتأثيره .

ولا يغيب عن الذهن اننا مع شباب أفصح القرآن عن أوصافهم بقوله جل شأنه « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا** » .

ومن أبرز ما تشير اليه الايات من صفات يتحلى بها الشباب المسلم وتعود على الفرد والمجتمع بالخير العميم التواضع فى غير مذلة ، والاعتزاز من غير غرور ، والتسامح من غير ضعف ، والطاعة المستنيرة ، والارتفاع الى مستوى المسئولية ، والاعتدال فى السلوك ، ومجاهدة النفس والهوى ، وامتلاء القلب والفكر والوجدان بأصح عقيدة خلت من التعقيد والتشويه ، واحترام حقوق الاخرين ، وعدم التعدى عليها ، ومحاسبة النفس وتذكيرها بالثواب والعقاب لترهب سلطان باريها وتسعى للحصول على رضاه ، وتجنب السلبية والمسارعة الى اصلاح المعوج ، والثقة بالنفس فلا يتصدع كيانها بالمغريات ، وتقبل النصح ، والعمل على اسعاد الاخرين .. وتلك الصفات خليقة بنشر الفضيلة فى ربوع المجتمع لو أن الشباب عمل لاكتسابها والتخلق بها .

ولو أننا دعوناه الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وآثرنا أسلوب الترغيب فيما عند الله بجوامع كلم النبى صلى الله عليه وسلم فقد قال : « **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله** » من بينهم شاب نشأ فى عبادة الله تعالى .. وفى الحديث القدسى عن الله عز وجل : « **أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد . أحب أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد ، وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد ، وأحب التائبين وحبى للشاب التائب أشد** » .

وجاء فى حديث آخر : « **عجب ربك من شاب ليس له صبوة** » .

ومن الخير لنا ولامتنا أن نمسك بشبابنا ولا نفرط فى توجيهه ، فهو ثروتنا ورجاؤنا فى مستقبلنا . ولقد كان الشباب المسلم يقوم بأعظم المهام . وعمل اسامة ابن زيد وعتاب بن أسيد فى صدر الاسلام لا يخفى على بصير بالتاريخ . والله نسأل أن يعصم شبابنا وأن يرزقه العون والسداد .

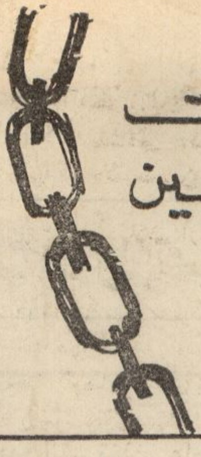

تهافت المستشرقين

لهج كثير من المستشرقين والمبشرين وذوى النزعات الصليبية ، والاهواء الاستعمارية ، بموضوع الرق فى الإسلام ، فانتقدوا موقف الاسلام منه ، واتخذوا من ذلك الموضوع نافذة يتهجمون منها على الاسلام ، وينالون من عظيم تشريعاته وحكيم تقنيناته ومجمل ما قالوه فى ذلك السبيل ان الاسلام دين همجى لا انسانى ، يبيح الرق ، ويجيز استعباد الانسان لاخيه الانسان وبذلك يجرد طائفة من الناس من حرياته المدنية ، وحقوقهم الطبيعية ، ويسلكهم فى عداد السوائم والعجماوات •

موقف الإسلام من الرق

للدكتور
مروحة

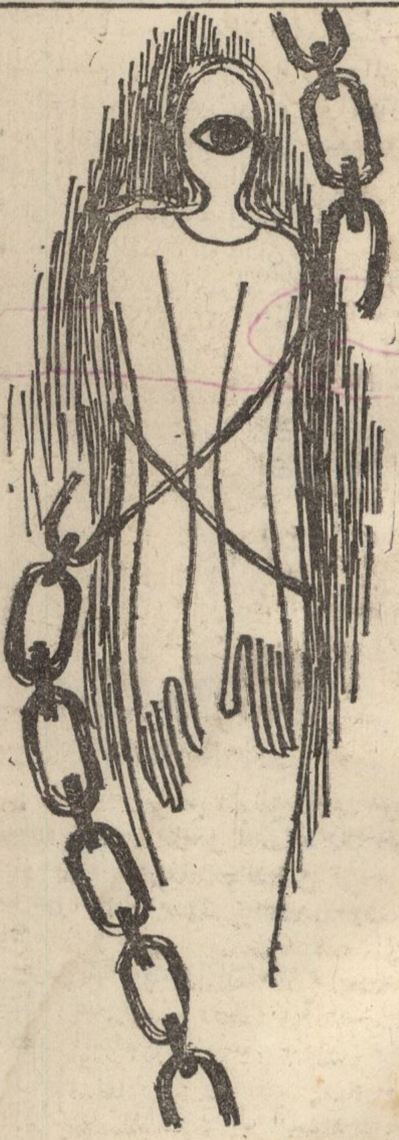

ولما كان ذلك افتئاتا على الاسلام ، وافتراء على الحق ، ومغالطة خطيرة تنال من عدالة الاسلام وانسانياته وسماحته ، فسنرى فيما يلى ردا على هذه الافتراءات ، وتوضيحا لموقف الاسلام من هذا الموضوع •

والرق صفة قانونية تجرد الانسان من حريته المدنية ، وتسلبه أهلية التملك ، وتجعله هو نفسه ملكا لغيره ، يجرى عليه ما يجرى على كثير من السلع فيباع ويشترى ويوهب ويؤجر ٠٠ الخ •

والرق صورة من صور قهر الانسان لاخيه الانسان ، واعتدائه عليه ، واستغلاله له ، ولكنه قمة الاعتداء ، وذروة القهر والاستغلال •

فالانسان قد يعتدى على أخيه الانسان فيسلبه ماله ، وقد يعتدى عليه فيسلبه أرضه ، وقد يعتدى عليه فيسلبه شيئا أثيرا عنده أيا كان ذلك الشىء • ولكن قمة الاعتداء كله ، والامر الذى يهون عنده كل اعتداء ، هو اعتداء الانسان على أخيه الانسان ليسلبه انسانيته ، وليحوله من بعد ذلك الى سائمة انسانية يتصرف فيها كما يتعرف فى البهائم والعجماوات •

والرقيق بهذه الصفة وصمة فى جبين الانسانية ، لان الانسان ليس انسانا الا بحرية عقله وقلبه وضميره وحرية التصرف التى أدناها تصرفه هو فى نفسه •

فاذا مافقد حرية التصرف حتى فى نفسه فانه يستحيل الى كائن فى منتصف الطريق • فلا هو انسان كالناس • ولا هو سائمة كالسوائم ، وانما هو كائن خلقه الله انسانا فمسخته يد أخيه الانسان الى كائن آخر ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء •

ولقد جاء الاسلام فوجد الرق منتشرا فى أنحاء العالم كله • بل وجده دعامة من الدعائم الاقتصادية

والاجتماعية فى العالم كله شرقه وغربه على السواء •

كان الرق موجودا فى مصر ، وكان دعامة من دعامات المجتمع المصرى فى الاقتصاد والاجتماع فكان الرقيق هم آلات العمل فى الحقل وفى البيت ، وكانت كثرة الرقيق علامة على العظمة ودليلا على المكانة الاجتماعية •

وكذلك كان الرقيق عند الرومان ، وعند اليونان ، ومازلنا نسمع عن ثورات العبيد عند الرومان نتيجة للمكانة المهينة التى كانوا يضعون فيها الرقيق ، والتى ما كانت تفترق عن مكانة البهائم والعجماوات • واذا كان ذلك رق أفراد وأشخاص فلقد كان هناك رق هو رق طبقات بأكملها ، كذلك الذى عند الهنود فالمجتمع عندهم مقسم الى طبقات أدناها طبقة الارقاء الذين حكم عليهم بالرق ضربة لازب ، بمقتضى الطبقة الاجتماعية التى ولدوا منها وانتموا اليها • فهو رق جماعى لا فكاك منه •

ولقد جاء الدين اليهودى والمسيحى فلم يلغيا الرق ، ولم يخففا منه ، بل حبذاه وأكداه •

أما فى اليهودية فقد كان فيها أنواع عديدة من الرق • منها رق الخطيئة ، فكان اليهودى الذى يرتكب خطيئة من الخطايا الكبيرة كالقتل والزنا يحكم عليه فى أحيان كثيرة بالرق والعبودية لصالح الدولة أو لصالح المجنى عليه أو أسرته ومنها كذلك رق الدين • فكان الذى يقترض مالا ثم لا يستطيع رده فى الميعاد المتفق عليه يحكم عليه بالرق لصالح صاحب الدين • ومنها رق الاسر فى الحروب ، ورق الخطف والقرصنة • كل ذلك وغيره كثير كان موجودا عند اليهود • وكانت معاملة اليهود للرقيق مضرب المثل فى القسوة والقهر •

وأما المسيحية التى يدين بها المستشرقون والمبشرون الذين يهاجمون الاسلام ، فانها لم تلغ الرق ، ولم تعمل على فك أسر الرقيق ، وحتى الكلمات الطيبة التى وردت فى الاناجيل والتى من مقتضاها أن الناس جميعا اخوة ، وعليهم أن يتحابوا ويتراحموا ، حتى هذه الكلمات لم يكن لها من أثر ، لانها لم تجد التشريعات العملية التى تلزم الناس بتطبيقها والاخذ بها • ولذلك ظلت عبارات انشائية لا فائدة لها ، ولا غناء فيها •

وبالجملة فلقد كان نظام الرق واستعمال الرقيق وضعا قانونيا وعرفيا سائدا فى كل المجتمعات فى الشرق والغرب ، وعند اليهود والمسيحيين على حد سواء • ولم يبد أن هناك بارقة أمل تؤذن بقرب انتهاء ذلك الوضع ، أو التخفيف منه • ورد الانسانية الى من فقدوها ، واعادة الكرامة الى من سلبوها •

كان ذلك شأن الرق والارقاء حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسلام فالاسلام اذن لم يشرع الرق ، لانه جاء فوجده منتشرا على الحالة التى أوضحناها • ولكن الاسلام شرع العتق ، وعمل على انهاء الرق ، والقضاء عليه ، ورد الحرية والانسانية الى الرقيق •

ولقد سلك الاسلام فى سبيل ذلك طريقين :

الطريق الاول ، أن الاسلام عمل على تخفيف نير العبودية على أعناق الرقيق ، فرد اليهم كثيرا من حقوقهم الاساسية ، وحريتهم المدنية • ولم يبق فى يد السيد الا على النزر اليسير من الحقوق المطلقة التى كانت للسيد على العبد قبل الاسلام •

وبذلك استشعر الارقاء نسائم الانسانية لاول مرة منذ عرف نظام الرق والفضل فى ذلك للاسلام الذى يرميه المستشرقون بالهمجية واللاانسانية ولقد كان من المسلم به أن الرق مناف لجميع الحقوق المدنية • وأن الرقيق ليس أهلا لاية مسئولية أو التزام • وما كان يجوز للرقيق أن يمتلك شيئا ، أو يكون أسرة ، أو يحتفظ بزوجة أو ولد • وكان السيد يجيز التناسل بين الرقيق كما يحدث تماما بين الانعام رغبة فى تكثير عدد الرقيق • دون رعاية لانسانيتهم أو اعتراف بعواطفهم ولكن الاسلام جاء فمنح الارقاء حقوقا كثيرة نذكر منها :

١ ــ أن الاسلام جعل للعبد الحق فى أن يكون أسرة قائمة على الدعائم الصحيحة التى تقوم عليها الاسرة فى الاسلام • ولم يجعل للسيد دخلا فى ذلك ماعدا الرضا • ولقد جاء القرآن الكريم حاثا المسلمين على أن يساعدوا الرقيق على نيل ذلك الحق الطبعى وهو الزواج وتكوين الاسر • يقول تبارك وتعالى :

« وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » (النور : ٣٢)

٢ ــ أن الاسلام كما جعل الزواج حقا من حقوق الرقيق ــ كذلك جعل الطلاق حقا فى يد الزوج الرقيق • وليس للسيد حق التفريق بين العبد وزوجته • ولقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ان سيدى زوجنى أمته ويريد أن يفرق بينى وبينها ، ونحن لا نريد ذلك فغضب الرسول لذلك • ثم صعد المنبر فقال : « مابال أحدكم يزوج عبده أمته ثم يريد أن يفرق بينهما • انما الطلاق لمن أخذ بالساق » • أى أن الطلاق من حق الزوج وحده • وليس من حق السيد •

٣ ــ ان الاسلام جعل من حق المكاتب ــ وهو العبد الذى يتفق معه سيده على أن يعتقه مقابل قدر من المال يؤديه العبد اليه ــ أن يزاول عقود البيع والشراء والتجارة والهبة والرهن والايجار ••• الخ •

٤ ــ ان الاسلام جعل للعبد الرقيق الحق فى ان يسعى بذمة المسلمين ، وأن يعطى الامان فى الحروب لمن يشاء وأن يجير من يشاء ، وأوجب على جماعة المسلمين أن ينفذوا أمانة ، وأن يرعوا حماه ، وألا يخفروا ذمته • وذلك تحقيقا لقول الرسول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » •

٥ ــ أن الاسلام قد جعل القصاص بين الحر والعبد نفسا بنفس ، فالسيد اذا قتل عبده يقتل قصاصا فيه • وذلك لقول الله « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم

القصاص فى القتلى • الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى البقرة : (١٧٨) وذلك بناء على أن التنصيص فى الاية لا يفيد التخصيص ، وتوفيقا بينها وبين آية المائدة : « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس** ••• »الاية ٤٥) وبناء على قاعدة أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد دليل على خلافة •

هذه صور من الحقوق التى جاء الاسلام فمنحها للرقيق ، وبذلك رد اليهم جانبا كبيرا من انسانيتهم المهدرة • فهل اكتفى الاسلام بذلك ؟!

كلا • ان الاسلام دين الانسانية والعدالة والرحمة لم يكتف بهذه الحقوق التى تعتبر ثورة فى عالم الرق والارقاء ولكن الاسلام عمل على القضاء على الرق وتصفيته وقد وضع لذلك كثيرا من التشريعات التى تضمن القضاء على هذه الوصمة فى جبين الانسانية والاسلام لم يمنح الرقيق هذه الحقوق التى أشرنا اليها تحت بند (**الطريق الاول**) الا كحل مؤقت يخفف من نير الرق ، حتى يقضى بتشريعاته الحكيمة على الرق قضاء مبرما • وذلك ما سنبينه فى البند الاتى •

الطريق الثانى : أن الاسلام عمل على تصفية الرق والقضاء عليه • وقد اتبع الاسلام – لتحقيق ذلك – منهجين متعاونين • فى المنهج الاول عمل على تضييق المصادر التى يأتى منها الرقيق • وفى المنهج الثانى عمل على توسيع الابواب التى ينفذ منها الارقاء الى الحرية •وسنلقى الضوء فيما يلى على كل من المنهجين فى ايجاز •

أولا : تضييق الاسلام لمصادر الرق •

لقد جاء الاسلام فوجد مصادر الرق كثيرة وعديدة وأهم هذه المصادر ما يلى :

١ – رق الحرب • فالاسرى فى الحرب كانوا يسترقون • وكانت الحرب مصدرا واسعا من مصادر الرق

٢ – رق التناسل فالاولاد الذين يولدون من أمة كانوا يعتبرون رقيقا حتى ولو كان والدهم هو السيد نفسه •

٣ – رق الدين • فالمدين الذى يعجز عن رد دينه فى الموعد المحدد كان يحكم عليه بالرق لصالح الدائن •

٤ – رق الطبقات وذلك كما فى الهند حيث يحكم على الطبقة الدنيا بالرق • وكل من يولد فى هذه الطبقة يأخذ نفس الحكم •

٥ – رق الجريمة فكان من يرتكب جريمة خطيرة كالقتل أو الزنا يحكم عليه بالرق لصالح المجنى عليه •

٦ – رق القرصنة والخطف فكان تجار الرقيق يغيرون على الامنين فيخطفونهم ثم يبيعونهم رقيقا بعد ذلك •

هذه أهم مصادر الرق – وليست كلها – التى جاء الاسلام فوجدها مفتحة الابواب تدفع كل يوم الى أسواق الرقيق بالالاف ممن تضعهم ظروفهم التعسة تحت أى مصدر من تلك المصادر المتقدمة •

ولما جاء الاسلام أبطلها كلها • ولم يبق منها الا على رق الحرب – مع شدة ترغيبه المسلمين فى المن والفداء – وعلى رق التناسل فى بعض صوره وليس فى كلها – كما سيأتى بيانه –

وأما رق الدين فقد ألغاه وأقام مكانه قانون الرحمة والتسامح : « **وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة** » (**سورة البقرة :٢٨٠**) وأما رق الطبقات فقد رفضه الاسلام وأقام مكانه قانون العدالة والمساواة : « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (**الحجرات : ١٣**) وأما رق الجريمة فقد رفضه الاسلام أيضا ولم يقبل الاسلام أن يهدر انسانية الانسان كعقاب على جريمة ارتكبها ورأى أن قتل القاتل أو رجم الزانى عقابا على ارتكاب هذه الجريمة أو تلك هو عقاب عادل • وهو فى نفس الوقت أرحم بكثير من الابقاء على المجرم حيا مع تجريده عن انسانيته والحكم عليه بالرق كما كان يوجد فى بعض الشرائع السابقة • وهكذا رفض الاسلام كل مصادر الرق التى كانت موجودة قبله • ولم يبق منها الا على مصدرين اثنين هما رق الحرب ، ورق التناسل مع تفصيل فيهما سنشرحه فى البند الاتى :

ثانيا : توسيع الاسلام للمنافذ التى ينطلق منها الارقاء الى الحرية •

ولقد كانت هذه المنافذ قبل الاسلام معدومة تماما • فالرقيق لم يكن أمامه منفذ واحد يخرج منه الى دنيا الحرية أو عالم الاحرار • وكان الارقاء يظلون كذلك ارقاء مدى الحياة ومن بعدهم نسلهم لا أمل لهم فى منفذ واحد تدخل اليهم من خلاله نسائم الحرية • حتى جاء الاسلام ففتح أبواب الحرية أمام الارقاء على مصاريعها وأخذ يدفع الارقاء من خلالها الى الحرية • حتى أصبح الوضع بعد الاسلام مناقضا تماما لما كان قبله • فقبل الاسلام كانت مصادر الرقيق العديدة تقذف بالاحرار الى دنيا الرق ثم تسد أمامهم كل منفذ الى الحرية • وبعد الاسلام أوصدت هذه المصادر وفتحت أبواب الحرية على سعتها أمام الارقاء وقد شرع الاسلام أبوابا كثيرة لتحرير الارقاء أهمها :

١ – أن يستولد السيد جاريته • أى أن يعاشر السيد جاريته ثم تلد الجارية من سيدها فهذا يؤدى تلقائيا الى تحرير الجارية وكل من تأتى به من بنين وبنات • ولقد رغب الاسلام السادة فى اقتناء الجوارى والاكثار منهن والتسرى بهن أو معاشرتهن رغبة من الاسلام فى أن يكون ذلك سببا من أسباب تحريرهن يحملن من السيد ويلدن له • والاسلام يطلق على مثل هذه الجارية اسم : (**أم الولد**)

٢ ـ أن يتفق السيد مع عبده على أن يدفع العبد للسيد مبلغا معينا من المال فى مقابل أن يعتقه السيد فكأن العبد هنا يشترى حريته • ويسمى العبد حينئذ بالمكاتب ويوجب الاسلام على السيد حينئذ أن يطلق العبد لكى يرتزق أو يتاجر أو يبحث له عن أى عمل يأتى منه بالمال الذى كاتب سيده عليه •

٣ ـ جعل الاسلام تحرير الارقاء عقابا وكفارة لكثير من الجرائم والمآتم التى يقع فيها المسلم • ويسهل هنا المقارنة بين الاسلام والشرائع السابقة فبينما كانت الجرائم فى الشرائع السابقة تؤدى الى استعباد الاحرار ، اذ هى فى الاسلام تنقلب الى النقيض تماما فتكون بابا واسعا من أبواب تحرير الارقاء • ففى القتل الخطأ جعل الاسلام تحرير الرقيق كفارة وعقابا يقول تعالى : « **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله** » (سورة النساء : ٩٢) •

وجعل الاسلام تحرير الرقيق كفارة أيضا لخطأ الرجل فى مظاهرته من امرأته ووسيلته لارجاعها اليه • وذلك اذا ظاهر منها بأن قال لها : « أنت على كظهر أمى » • **يقول تعالى** : « **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** » (**المجادلة : ٣**) •

وجعل الاسلام تحرير الرقيق أيضا كفارة للحنث فى اليمين • **يقول تعالى : لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** : فكفارته **اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة** » (**المائدة : ٨٩**)

٤ ـ جعل الاسلام سهما من أسهم الزكاة التى كانت بمثابة مال الدولة أو ميزانية الدولة ـ لمساعدة الارقاء على التحرر • يقول تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب** •• » (التوبة : ٦٠) والمقصود بمن فى الرقاب هم الارقاء •

٥ ـ أن يعتق السيد عبده فى الحال • أو أن يعتقه على شرط ألا يتم ذلك العتق الا بعد وفاة السيد • فاذا مات السيد أصبح العبد حرا • وفى هذه الحالة يسمى العبد (مدبرا) • وفى هاتين الصورتين وهما عتق السيد عبده فى الحال ، أو (تدبيره) أى عتقة بعد وفاته ، يظهر جليا حرص الاسلام على تحرير الرقيق حرصا شديدا • فقد جعل الاسلام العبد حرا بمجرد أن يلفظ السيد بكلمة العتق أو ما يؤدى معناها حتى ولو لم يكن يقصد فلو أن السيد نطق بلفظ يدل على عتق عبده فان العبد يصبح حرا ، سواء كان السيد جادا أو هازلا مختارا أو مكرها ، فى كامل وعيه أو ناقص الوعى فاقد الرشد كالسكران مثلا • فى كل هذه الصور ما أن ينطق السيد بلفظة تدل على عتق عبده حتى يفتح الاسلام بهذه اللفظة باب الحرية للعبد • وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد ••• » وذكر الرسول عليه السلام ضمن هذه الثلاثة العتق •

٦ ـ وفوق هذه الابواب التى فتحها الاسلام أمام العبيد الى عالم الحرية فان الاسلام قد رغب فى عتق الرقيق ، وفك رقاب العبيد من ذل العبودية • وجعل الاسلام ذلك من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد الى ربه ففك الرقاب وعتق الارقاء من أفضل الاعمال الصالحة التى ينال بها العبد رضاء الله فى الدنيا والاخرة •

٧ ـ ولقد رغب الله تعالى فى فك رقاب أسرى الحرب منا عليهم وانعاما بالحرية فان لم يكن فلنطلق سراحهم فى مقابل الفداء • وقد جعل الله هذين الامرين من امساك الاسير رقيقا ولذلك نرى الاية الكريمة قد ذكرت المن والفداء ، ولم تذكر الرق فى قوله **تعالى** : « **فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** » (محمد : ٤)

هذه هى خطة الاسلام فى عتق الرقيق والغاء الرق وتصفيته نهائيا • ولعل هناك سؤالا يدور فى خلد القارىء : لماذا لم يلغ الاسلام الرق نهائيا مادام يحرص ذلك الحرص على تحرير الرقيق ورد الانسانية اليهم ؟

والجواب : أن الاسلام جاء فوجد الرق نظاما أساسيا ودعامة قوية من الدعائم التى تقوم عليها المجتمعات آنذاك فالرقيق كانوا يكونون الدعامة الاساسية عند الزراع والتجار سواء فى الحقول أو الاسواق أو المراعى أو البيوت وكان المجتمع يقوم على أساس من نظام الرق فلو أن الاسلام حرمه دفعة واحده لكلف الناس من أمرهم شططا ، ولحدث انهيار فى المجتمع من كل جوانبه الاقتصادية والاجتماعية ولاستحال على الناس التجاوب مع الاسلام آنئذ ومن ثم نرى أن تحريم الرق دفعة واحدة لم يكن فى صالح المجتمع ولا فى صالح الاسلام بل ولا فى صالح الرقيق أنفسهم • لذلك أبقى الاسلام على النظام نفسه ، مع وضع التشريعات التى تكفل مع مضى الزمن ـ القضاء على ذلك النظام وانهاء الرق تماما •

بعد هذا العرض الموجز لموقف الاسلام من الرق • وبعد أن تبين لنا فضل الاسلام على الارقاء نستطيع أن نتبين مقدار الزيف والبهتان فى موقف المستشرقين وبخاصة ذلك المستشرق المدعو الاب « لامانس » الذى كان يحترق حقدا وتعصبا ضد الاسلام والمسلمين والذى ملا الدنيا تشنيعا على الاسلام بحجة انه دين همجى لا انسانى يقف من الرقيق موقفا ظالما قاسيا • ولو أنصف هؤلاء لا تخذوا من الاسلام عكس موقفهم تماما • ولادركوا أن الاسلام فى هذا العالم هو نفحة الانسانية ونسيم الحرية ، وقانون العدالة والمساواة وينبوع الرحمة والرأفة والاحسان •

متاع الحياة الدنيا

بين

الحلال والحرام

الأستاذ أحمد وافى

ـ ٤ ـ

مضى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ربه ، ودنيا المسلمين تموج موجا بالفتوح والانتصارات ، والموارد الدرارة ، وتوسد أمر البلاد والاقطار المفتوحة رجال غير رجاله ممن لم يتأثروا بسياسته ٠

وفى تصوير هذا التحول الكبير فى الحياة العربية الاسلامية حينذاك يقول الدكتور طه حسين ٠

(ولم يمض وقت طويل حتى استحال الحجاز الى جنة من أجمل جنات الارض ، واخصبها وأحسنها ثمرا ، وأعودها على أهلها بالغنى ، وما يستتبع الغنى من الترف والفراغ ، وماهى الا أن تنشأ فى الحجاز نفسه ، فى مكة والمدينة والطائف ، طبقة من هذه الارستقراطية الفارغة التى لا تعمل شيئا ، وانما يعمل لها ما جلبت من الرقيق ، والتى تنفق وقتها فى فنون اللهو والعبث والمجون ، ونشأ عن هذا بعد ذلك أن جلبت الحضارة جلبا الى الحجاز وغيره من بلاد العرب

ولم يكن هذا شأن الحجاز وحده ، وانما كانت اقطار الدولة كلها قد أصبحت على هذه الشاكلة ، ولا يعنى ذلك أن المسلمين جميعا ، هنا وهناك ، قد اصابهم من الغنى والسعة ، فالواقع ان الذين كانوا كذلك هم (أعيان) وشباب (البيوتات) الكبيرة فى الحرمين ، وكانت الخلافة قد صارت بأيدى الامويين بعد خطوب وأهوال ، وفى المدينة ومكة من ينكر ومن يصانع ، من يسخط ومن يرضى **فأخذ الامويون يبذلون الاموال والهدايا بذلا سخيا ومتواصلا لهؤلاء فمنهم من عف واتقى الفتنة فاعتزل ، ومنهم من فتن واستجاب اذن « طبقة » بعينها وليسوا الامة كلها ، وهذه الطبقة كانت فى الامصار المختلفة أيضا فالعرب الكبار كانوا هنالك حكاما أو أصحاب مراكز ، وثروات وقد استقرت لهم الامور : واغضت عنهم العيون فاستكانوا الى الدعة : وخالطوا غير العرب من البلاد المتحضرة فنزعوا منازعهم فى الرفاهية والترف ؟ ٠**

اختلف الامر تمام الاختلاف عما كان عليه فى خلافتى الشيخين أبى بكر وعمر ٠٠

فقد كان مناط الحكم وأساس العدل والحق عندهما : صلاحية العمال والولاة وطهارة أعمالهم ونفوسهم وكبح جماح الطامحين من الاشراف والعلية ، وتذويب الطبقية والفوارق الاجتماعيية ، وجمع الامة على الاخوة والمساواة وتحقيق الاصلاح العام على حكم الكتاب وسنة الرسول ، وكان رأيهما أن العمال والولاة هم من الناس بموضع الائمة والقادة فمنهم تؤخذ الاسوة ، ومن أعمالهم تكون القدوة ، ولهذا رأينا الشيخين الجليلين يؤثران الزهد والتبتل ويعزفان عن ملذات الدنيا والى حد كبير كان لذلك أثره فى الناس بعامة وفى عمال الامصار بخاصة ، ومما يذكره المسعودى بكتابه « مروج الذهب » فى الدلالة على قوة تأثير القدوة الصالحة : انه « قدم على أبى بكر زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل والحبر وبرود الوشى المثقل بالذهب والتيجان ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد ، والتواضع والنسك ، وماهو عليه من الوقار والهيبة ، ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم ٠٠٠ »

وكذلك كان التأسى بزهد عمر وورعه ، دستورا مقررا وفضيلة ينبغى أن يتجمل بها الولاة والعمال، حتى بلغ الامر بواحد منهم ، هو عامل حمص أن يتورع عن استعمال خادم يخدم زوجته وبيته فكان هو الذى يقوم بمعاونتها فى (عجن العجين وتخميره وخبزه) ولم يكن له سوى رداء واحد كان يحتجب عن الناس يوما فى الشهر ليغسله ويجففه الخ · وهذا ورع شديد ينتمى الى ورع عمر بشىء من الغلو والمبالغة ، فما يستغرب على أحد عماله (وهو بمنصب الامير الحاكم) أن يسوس أمور الناس بمثل هذا الزهد المتجرد **وهو يرى الخليفة أمير المؤمنين (يلبس الجبة الصوف المرقعة ويحمل القربة على كتفه)** ويتزهد فى طعامه وشرابه كأنه واحد من عامة الفقراء ··

وفى الحديث عن الشدة واللين فى سياسة الدولة ومراقبة العمال ومحاسبتهم ، تمر باذهاننا صور عمرية كثيرة ورائعة لعل أغناها بيانا ومعنى موقفه من القائد العظيم : خالد بن الوليد ، ذلك أنه فى أروع انتصاراته على الروم يقرر عزله ومقاسمته أمواله ، لانه عاد بغنائم واسلاب ، فقصده الاشعث بن قيس الشاعر فمدحه واطراه (فأجازه بعشرة آلاف درهم ، وأجاز آخرين من ذوى البأس وذوى الشرف وذوى اللسان) فرأى عمر رضى الله عنه أن القائد المظفر قد جنح الى الافتتان بالبطولة والنصر ، وأخذ يوزع الجوائز مسرفا على مادحيه ومقاربيه ، ويخشى أن يفشو ذلك بين قادة الجيوش ، وليس الامر ، أمر فرد واحد يفعل ما يشاء منفصلا عن الاخرين ، وانما هو أمر الدولة ، والمصلحة العامة ، والمسئولية المشتركة ، ومن اجل هذا لم يتردد فى اتخاذ قراره وتنفيذه فى علانية رادعة :؟:

وقد كان هذا التغيير الكبير فى مظاهر الحياة بعد عمر ، يواجه مواجهة سافرة الاثار الروحية والقائدية التى كانت ما زالت قائمة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، ومازالت كذلك تنبض نبضها القوى فى قلوب الناس وأرواحهم .

وغير بعيد من هذا ، وفى قلب المدينة كانت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم مابرحت على حالها وفيها زوجاته أمهات المؤمنين ، وكانت من اللبن لها حجر من جريد النخل مطرور بالطين وعلى أبوابها المسوح من شعر أسود ، وقد ظلت هذه البيوت على حالها تلك لم يتغير منها قط شىء ، كانها انكار صامت بليغ لما يحدث **الى عهد الوليد بن عبد الملك (سنة ٨٧هـ)** حيث أمر (بازالتها) وادخالها فى مسجد رسول الله يومئذ اجتمع الناس يبكون لزوال هذا الاثر المحمدى الجليل ويقول عطاء الخراسانى : **(حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك ، يأمر بادخال حجر ازواج النبى فى المسجد ، فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم)** وقال سعيد بن المسيب : **(والله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشىء من أهل المدينة ويقدم القادم من الافق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر)** وقال أبو أمامة بن سهل ، وكان ممن شهدوا هدمها : « **ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون مارضى الله لنبيه عليه السلام ومفاتيح خزائن الدنيا بيده ·· »**

فلاشك فى أن هذا التيار من الترف لم يفتن المسلمين جميعا فى دينهم ولم يذهب بما قد استقر من ايمانهم فكانت المساجد وبيوت العلم ، ومجامع الفقه فى كل مكان من الدولة الكبيرة ، عامرة دائما ، حافلة أبدا ، بالمصلين والفقهاء وعلماء الدين ، والمسلمون فى معاملاتهم وأسواقهم يتحرون الصدق والحق والامانة ، وعلى صلة وثيقة بالمساجد والفقهاء والعلماء والهداة الراشدين ، يدارسونهم ويأخذون عنهم ؟ ·

ولكن لا شك ايضا فى ان هذا التيار من الترف قد أحدث فى حياة الدولة ككل ، أحداثا كان لابد ان تحدث بالممارسة والمحاكاة والتأثر، فكان لها اثرها غير المتكرر فيما أصاب الدولة من تفكك وضعف

وقصارى القول هنا ان هذه هى الدنيا التى كان يخشاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ويحذرهم الوقوع فى حبالها والتنافس عليها ···

ومما يتصل بموضوعنا كذلك ان هذا المتاع « المحرم » قد أثقل الامة بمطالبه ونفقاته فاسرف

اصحابها فى اقتضائها وتجميعها بالوسائل التى تفتقد العدل وقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته حديثا عن « الظلم المؤذن بخراب العمران » قال فيه :

« واعلم أن الداعى لذلك كله – انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف فى الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفى به الدخل على القوانين المعتادة ، فيستحدثون القابا ووجوها يوسعون بها الجباية ليفى لهم الدخل بالخرج ، ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال الناس تشتد الخ ... »

ثم يقول :

« ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحل الملك فيدعو الى الترف ، ويكثر الانفاق بسببه ، فتعظم نفقات السلطان واهل الدولة على العموم ، بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ، ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف فى النفقات وينتشر ذلك فى الرعية لان الناس على دين ملوكها »

والمرجع فى رأينا أن الفيلسوف ابن خلدون كان وهو يرسل حديثه على هذا النحو ، مستحضرا فى ذهنه ما يعلم ان الدولة الاسلامية قد منيت به بعد أن دب اليها الترف والتنافس على حب الدنيا : لابد انه وقد شهد بنفسه انهيار الدولة فى اغارات الصليبيين والتتار – كان يذكر جيدا كيف ذهب يزيد بن عبد الملك الى المدينة فيتزوج منها فى وقت واحد بامراتين أمهر كل واحدة منهما عشرين الف دينار ، ولا يكتفى بذلك فيشترى لهما « طيبا » باربعة آلاف دينار ، ثم يشترى سلامة القس المغنية بعشرين الف دينار .. كل هذا وهو لم يكن قد صار خليفة بعد : وقد جاء ابنه الوليد بعده شرا من الشر

ولا بد أن يكون ابن خلدون قد استحضر فى ذهنه كذلك حفلات الترف والسرف التى جاوزت كل حد ولا يعرف لها سابقة فى التاريخ ، حفلات زواج الخليفة المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل ، وزواج المعتضد الخليفة العباسى من قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون ، وكيف كانت الاموال فيها تبذر بذر الرمال ، الى آخر ما يزدحم به تاريخ الامويين والعباسيين من أمثلة البذخ والانحراف والاعنة المطلقة للشهوات مما كان له أشد الاثر وافعله فى ضعف الدولة وتفتتها وطمع الطامعين فيها ..

انها أيام خلت ، وذهبت فى التاريخ ولكنها بقيت باثارها وذكراها ، وبالعبر التى يجب الا ننساها ..

* * *

ساعات أخيرة في المدينة المنورة

الأستاذ محمد دياب

فجر ليلة عمرنا في الروضة النبوية الشريفة يصحو نديا

مآذن الحرم النبوى الاشرف تتجاوب كلها تسبيحا وتكبيرا وابتهالا وكأنها أصوات ملائكة الجنة تحدو الارواح الى بلاد الافراح . ·الحرم يفتح أبوابه جميعا ليستقبل فى حبات قلبه مواكب المؤمنين الذاكرين العائذين العائدين الى الله ·· ألوف الحجيج فى مغدى تقى بهى تهزها الاشواق لزيارة صاحب الروضة والصلاة فى حرمه الامين والمثول بين يديه الحانيتين توبة وانابة ·· تعلما وتزكية بالمثال والقدوة والتأسى .

على صحوة الفجر افقنا وليتنا ما افقنا ·· فمن ذا الذى يشبع من رحيق الحب وسلاف نجوى الحبيب ؟!

ذلك ياقلب هو النعيم . ·من ذاقه ملك الاذواق ·· ومن عرفه كابد الاشواق !

لم نعد وحدنا ياقلب فى حضرة الحبيب ·· انتهت مأدبة امام الانبياء والمرسلين لنا فى داره وحرمه ·· مرت ليلة عمرنا كله مع النبى وصاحبيه أبى بكر وعمر وكأنها لحظات ·· أليست لحظة يقينية واحدة فى هذا الرحاب الانور كفيلة باضاءة عمر ·· واثراء حياة ؟!

فلتنفتح ياقلب من انفتاح قلب محمد صلى الله عليه وسلم على الناس جميعا رحمة وسماحة وحبا .

فلتنسكب من انسكاب هذا الصباح الجديد فى رحابه نورا وزهرا وعطرا

فلتنصهر شجونك ذوبا فى مواكب الطائفين والمحبين ·· منذ بدأوا قبل ألف وثلاثمائة عام يحبون ويطوفون ·· والى آخر حياة الحب والطواف .

الله اكبر ·· الله اكبر ··

تلك هى النداءات البلالية بعد الاذان تقيم الصلاة وبعد الصلاة ·· ها هو الحرم كله طوفان دعاء واستغفار ·· ونهر محبة وصفاء .

حول القبر الشريف وقفنا خاشعين دامعين على نشيد سلام ونشيج وداع !

لقد كان هذا الصباح هو خاتمة أيامنا الثلاثة فى المدينة المنورة ·· وبعد ساعات نغادر هذا الخير كله ·· فهل يغادرنا هذا الخير ؟ هل يودعنا كما نودعه ؟!

اللهم انا نغادر مسجد رسولك ·· ولكنا لا نغادر نسكنا وصلاتنا .

نودع قبر رسولك ·· ولكنا معه وعلى طريقه أبدا .

اللهم أن هذه آخر ساعاتنا فى طيبة الجابرة الحبيبة دار الهجرة والايمان ·· ولكنا سنظل الى آخر الحياة على طيب ذكرك ومحبتك ·· على هجرة دائمة اليك وايمان غامر بك

اللهم لا تجعله آخر العهد بنبيك ·· وحط أوزارنا بزيارته ياأرحم الراحمين

اللهم عهدا ولقاء لا فراق بعده الى يوم الدين

سلمنا على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما ·· وصلينا ركعتى وداع فى الروضة ·· وغادرنا الحرم النبوى الشريف الى مزارات مدينة الرسول

وقبل المزارات ·· أستأذن قارئى لحظات مع المدينة وأهل المدينة .

يقول صاحب المدينة المنورة عليه صلوات الله وسلامه :

« من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت ، فانه لن يموت بها أحد الا كنت شفيعه يوم القيامة » .

ويقول أيضا :

« ان المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ·· لا يدعها أحد رغبة عنها الابدل الله فيها من هو خير منه ·· ولا يثبت أحد على لاوائها الا كنت له شفيعا يوم القيامة » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه :هلم الى الرخاء ·· هلم الى الرخاء ·· والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . والذى نفسى بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها الا أخلف الله فيها خيرا

منه ·· الا أن المدينة كالكير تخرج الخبيث ·· لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد »

ولقد روى عن امام المدينة مالك رضى الله عنه ·· أنه كان لا يركب دابة في المدينة ·· فقيل له فى ذلك ·· فقال :

« لا أطأ – راكبا – مكانا وطئه رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· وحرمة الرسول حيا وميتا سواء ·· وقد قال الله تعالى : **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** »

ويقول رسول الله عليه أزكى صلاة وسلام :

« ان على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ·

ولقد دعا الرسول لاهل المدينة أبرك الدعوات :

« اللهم بارك لهم فى مكيالهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، وبارك لهم فى مدهم » ·

« اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة »

« اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وانى عبدك ونبيك ·· وأنه دعاك لمكة ، وأنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ، ومثله معه » ·

ولقد استجاب الله دعاء صفيه وحبيبه للمدينة وأهلها ·· فالرخاء والنماء والبركة والخير تغمر أرض المدينة زرعا وثمرا ·· تجارة وصناعة ·· معرفة وعلما ·· وأهل المدينة أهل وداعة وسلام وكرم وسخاء ومروءة ونجدة ·

لم نسمع خلال أيام الحج كلها عن حادث سرقة ·· لم يقع أى حادث شجار ·· لم تحدث اصابة بمرض أو حادث ·· وكلمة أهل المدينة واحدة ·· لا يغشون ·· لا يكذبون · لا يحبون مساومة على الثمن فى بيع ولا شراء ·· البائع فى السوق يعرض بضاعته ناصحا للمشترى ·· يقول له هذه بضاعة جيدة وتلك غير جيدة ·· ولهذه ثمنها ولتلك ثمنها ·· وللمشترى بعد ذلك حرية الخيار !

وأنت فى المدينة لا تسأل عن مكان الا وجدت من يصحبك اليه مرشدا متطوعا ·· ولا يكتفى بمجرد وصف الطريق !

وفى أوقات الصلاة تجد المحال والمتاجر والبضائع والنقود كلها متروكة مفتوحة ولا أحد فيها ·· فالكل يترك عمله الى المسجد ولا سطو ولا خيانة !

وفى داخل الحرم النبوى كان المصلون من أهل المدينة يتركون لنا أماكنهم فى الروضة الشريفة ويتخذون أماكنهم فى الصفوف الخلفية ·· ايثارا وافساحا لنا كضيوف عليهم فى المكان !

وفى مكة ومنى على سبيل المثال ·· لم تكن النظرة تخطىء المعوزين والمحتاجين الى الصدقات ·· أما فى المدينة فان النظرة كثيرا ما تخطىء هؤلاء ·· وهناك فى أزقة المدينة بيوت أوصد أصحابها على أنفسهم الابواب رغم ما بهم من خصاصة ·· لا يمدون الايدى ولا يستجدون ·· اذا رأيتهم تحسبهم أغنياء من التعفف ·· ولابد لغير الجاهلين من أن يطرقوا أبواب هؤلاء ليمدوا اليهم الايدى بما تجود !

أى خلق هذا ؟ أى عفة وأمانة ؟ أى صدق واخلاص ؟ اى دين ؟

أليسوا جيرة المبعوث بالرحمة ليتمم مكارم الاخلاق ؟ !

أليسوا جيرة سيد الاخلاق الذى يقول

« ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وان الله يبغض الفاحش البذىء »

أليسوا على نهج من سعدوا بجيرته صدقا واخلاصا وحديثا :

« الا ان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة

« ان اول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمة فعرفها

« قال : فما عملت فيها ؟

« قال : قاتلت فيك حتى استشهدت !

« قال : كذبت ·· ولكنك قاتلت لان يقال : جرىء فقد قيل ·· ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ·

« ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها

« قال : فما عملت فيها ؟

« قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن !

« قال : كذبت ·· ولكنك تعلمت ليقال : عالم ·· وقرأت القرآن ليقال : قارىء ·· فقد قيل ·· ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ·

« ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ·

« قال : فما عملت فيها ؟

« قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك !

« قال : كذبت ·· ولكنك فعلت ليقال : جواد ·· فقد قيل ·· ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » ·

······

···

وبعد ··

فهذه قطرة من بحر اخلاص أهل المدينة وصدق أهل المدينة وأخلاق أهل المدينة ·· ولو كان فى الجهد متسع لفاضت بأخبارهم وأمجادهم كتب وأسفار ·· ولكنه جهد المقل واعتراف العاجز ·

فاللهم أرزقنا مثل رزق أهل المدينة ·· وامنحنا يارب كما منحتهم نعمة الاتباع ولسان الصدق ومتعة جوار الحبيب الاعظم ·

والى لقاء قادم باذن الله مع أغلى مزارات المدينة المنورة بعد الحرم النبوى الشريف ·

إن الله لا ينظر إلى صوركم

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

عن سهل بن سعد الانصارى رضى الله عنه قال : مر رجل غنى على النبى صلى الله عليه وسم فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى ان خطب أن ينكح وان شفع أن يشفع وأن قال أن يستمع له . قال : ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ماتقولون فى هذا ؟ قالوا حرى أن خطب الا ينكح وأن شفع الا يشفع وان قال الا يسمع له . فقال صلى الله عليه وسلم : « هذا خير من ملء الارض مثل هذا » رواه البخارى .

بالتجربة والحس يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الرائد تلاميذه وامته بحيث لا يضيع الوقت الا فى حسن التوجيه وتصحيح المفاهيم وتحديدها وهو كذلك لا يحشو اذهانهم انما يسألهم عن الحقيقة فاذا تاهوا فيها اماط لهم اللثام فاذا الحقيقة أمامهم بيضاء ناصعة مزهوة مجلوة وهاهى واقعة يشاهدها الصحابة وهم بشر تغرهم الظواهر وتزهوهم المناظر اذ يمر أمامهم انسان غنى فيسألهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن رأيهم فيه فيجيبونه برأيهم وفق الطبيعة البشرية قائلين له أنه جدير وهذا سمته ومنظره — انه ان خطب أن يزوج وأن شفع أن يشفع وان قال ان يسمع له وتلك نظرة الناس دائما الى الاشخاص فان طبيعة الناس الاصغاء للغنى والاعراض عن قول الفقير لا لذاته ولكن لفقره والتفضيل انما هو بالنسبة لهذين فقط ولا يلزم من تفضيل هذا الفقير على هذا الغنى تفضيل كل فقير على كل غنى انما ذلك راجع الى دين الشخص وعمقه فى عقيدته وخلقه الكريم فحيثما وجد الفقه والعلم والدين والصلاح والعمق فى العقيدة وجدت الافضلية .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد لهم الامر ويصحح لهم المفهوم قائلا ليس مقياس البشر بحسن الهيئة ولا بجمال البزة ولا بقوة البدن ولا بكمال الاجسام وليس بالقوة ولا بالفتوة وانما بعفاف النفس وغنائها وطهارة القلب وصفاء الايمان بالله والقدرة على تحقيق أكبر قسط من الاعمال الصالحة المرضية فان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم والاسلام يحرص على صفاء القلوب بالحب ليتحقق لها الترابط بالحب ويقوم التعاون بين الناس ، **لقد بشر النبى صلى الله عليه وسلم سعد ابن مالك بالجنة فلما سئل عما يظنه سببا ؟ قال ما أجد شيئا الا أننى كنت أبيت وليس فى قلبى حقد على أحد .** ذلك لان أسس الحياة النظيفة التحاب والتواد وبهذا يقاس الرجال بالحقيقة والمخبر لا بالشكل والصورة وحسن المظهر وهو ما وجه اليه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال عن الفقير الذى قارنه بهذا الغنى فان هذا الفقير يحمد الله فعاله ويستجيب لسؤاله فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لابره ذلك بشرط الا يكون فقيرا متغطرسا انما ان يتوفر فيه ان يكون ذلولا هينا متواضعا فمن تواضع لله رفعه والذين يكبرهم الله ويعزهم ويعلى شأنهم انما هم الحافظون لله الواقفون عند حدوده المؤتمرون بأوامره المنتهون عن نواهيه ، الذى لا يعتمد الا على خالقه ولا يتقى الا ربه ورازقه فأمثال هؤلاء لهم وزن كبير عند ربهم لا ينقص من شأنهم فقر ولا رقة فى البدن ولا رثاثة فى الحالة وبذلك تسمو درجتهم عند الله : « **الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون** » والله جل من قائل يقول : « **ان أولياؤه الا المتقون** » ان الميزان الذى أقامه الله جلت قدرته لمعرفة معادن الناس وأوزانهم الحقيقية انما هو مرسوخ فى القرآن الكريم ومركوز فى السنة أن الله يقول : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » واما ركائزه فى السنة ففى قوله صلى الله عليه وسلم « **لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى** » فتلك هى المقاييس التى يعتمد عليها الاسلام فى تقدير الرجال ووزنهم ، وأما الناس فقد جبلوا فى تقدير الرجال على أن يضعوا الفقير موضع الذلة وموضع المهانة فلا يقيمون له وزنا فما يسمعون له قولا ولايقبلونه زوجا لبناتهم ولا يقبلون منه شفاعة فى أى أمر من أمور الحياة بينما الاسلام يضع المواصفات الدقيقة لاعتبارات الرجال ولحياة الايمان الرفيعة ولا يحسب لقوانين الغنى حسابا فلا يقيم حسابا لغنى المال وانما المعتبر هو غنى النفس فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس** » انه يعنى بالقلوب وطهارتها وتلك نعمة لا يمنحها الله الا لمن صدق فى ايمانه والقلب هو العماد وهو الاساس الذى يتغير به حال الفرد وتستقيم حياته بل هو الفيصل الذى ينبغى أن نعتمد عليه ، يقول صلى الله عليه وسلم « **الا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب** » .

ان الحديث يوجه الى أن الخير يوجد حيث يوجد الايمان وحيث توجد العقيدة الصحيحة ولا عبرة بالمظاهر والظواهر ومن ثم دعاهم الرسول الى أن العبرة فى التقدير الى الاعمال وان المقياس الصحيح فى الاحترام والاجلال انما هو الخلق ..

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فانْ همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وانه ليبين لهم انه لا تكون الاصابة نفاذة الا اذا هدمت الاخلاق فانها الاصابة القاتلة .

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم   فأقم عليهم مأتما وعويلا

ان الرجال يقاسون دائما بمدى نفعهم وافادتهم للمجتمع وللانسانية والبشرية فكلما نفعوا وأفادوا كان لهم وزنهم وكان لهم تقديرهم . ان خير الناس انفعهم للناس والناس عيال الله واحسنهم انفعهم لعياله وأن الحديث لدعوة بناءة الى تربية سلوك الناس على التواضع وعلى التعاون الذى يجعل من الناس أمة واحدة فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **ان الله أوحى الى أن تواضعوا** » فانك لتراه يهدم معيار الغنى الظاهر والمظاهر الخداعة ويجعل الفقر مع الايمان الصحيح والعمل الجاد وكسب العيش بالكدح انما يجعل ذلك كله خيرا وابقى من مال يدفع الى غطرسة وتكبر ولامر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله : « **اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا** » ولما سئل عن ذلك قال : « **ان رحمة الله لا تفارقهم طرفة عين** » . وذلك كله مع أن الرسول كان يتعوذ من الفقر وتعوذه كان من الفقر المذل الذى تكسل معه حتى تسأل الناس وتمد يدك وتحتاج الى غيرك وليس الفقر الذى تعمل معه لتغنى نفسك عن الحاجة انه صلى الله عليه وسلم قد عرض عليه أن تكون جبال مكة كلها ذهبا فقال : « **يارب : أجوع يوما فأتضرع اليك وأشبع يوما فأشكرك** » والانسان اذا عاش بين التضرع الى ربه والشكر له كان انسانا تقيا وبشرا سويا واستطاع أن يكون مؤمنا كيسا فطنا ويكون من عباد الله الذين وصفهم بقوله تعالى : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** . والعبرة انما هى ان يكون الانسان متساويا مع اخوته فى الانسانية اجتماعيا منسجما مع أمثاله فى المجتمع دون ترفع ولا تغطرس متساندا مع عشيرته فى الحياة والذين يترفعون ولا يشاطرون الناس احاسيسهم ومشاعرهم قوم جبارون وهم آفة المجتمع نشاز فى دربه لايستحقون أن يلتصقوا بشجرة المجتمع ولا أن يمتعوا لغذائها ومن العدل أن يجتثوا منها لانهم نشأوا طفيليات على لحائها وأمثال هؤلاء يجب أن يسقطوا من حساب المجتمع ان امثال هؤلاء المتعالين بأموالهم يجب الا يقام لهم وزن ولا يقدر لهم اعتبار فاقل ما يجب علينا الا نتخذ من نعم الله علينا وسيلة الى عصيانه انه لكى تدوم نعم الله علينا يجب أن نعرف حق الله علينا فيها فقلب كل انسان انما خلقه الله ليكون وعاء خير وحب وكما يجد الانسان لذة كبرى اذا كان موضع تقدير الغير له فمن حق الغير بل من واجبه عليه أن يؤديه من حق نفسه على نفسه ان يحس لذة اكبر عندما يحس انه يعطف على فلان أو أن يمد يد العون لفلان من النـاس .

وقد يكون الرجل غنيا بعقله فيقدره الناس ولكنه ينحط فى نظرهم وفى نظر الاسلام اذا لم يخرج عليهم باختراع يزيد رفاهية الشعب ويملأ الحياة بهجة وجمالا . أما أن يتحول العقل الوضاء الى معول هدام بما يحمل من مبادىء هادمة تهدم الجماعة او تقضى على الامة أو تتحول العين الباصرة الى جاسوس يتجسس عورات المسلمين ان هذا لا وزن له ولا فائدة فيه ولذلك كان الرجل المفيد لجماعته الذى يسعدها مهما كان فقيرا يزن ملء الارض ذهبا من أمثال هذا الغنى الذى لا يفيد ولا ينفع وليس كل الغنى مذموما او مكروها مهما كان مقدار نفعه هو الذى يقيم له الاسلام وزنا يقول صلى الله عليه وسلم : « **ايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وايما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم وايما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة** » والرسول يقول : « **افضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له** » كما قال يسأل العبد يوم القيامة عن جاهه كما يسأل عن عمره فيقول الله له : « **جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو دفعت به ظالما او اغثت به مكروبا** » وهكذا ينبغى أن يكون المسلم فى الامة يدا قوية لترتفع رايتها خفاقة وتعلوا كلمتها ويخشاها أعداؤها وتظللها السعادة والرفاهية فالامة كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضا والرسول يقول : « **المؤمن كله منفعة ان شاورته نفعك وان شاركته نفعك وان ماشيته نفعك فامره كله منفعة** » . وهكذا ليس الجمال بأثواب تزيننا وان الجمال جمال العلم والادب والجمال هنا فى العقيدة وعمقها والصلاح وسمته فى مثل ذلك وماروآه سويد الازدى اذ قال : « **وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كلمناه اعجبه ما رآه من سمتنا وزينا فقال** : « من أنتم ؟ **فقلنا مؤمنون فقال : ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وصدق ايمانكم فقلنا خمس عشرة خصلة ، خمس آمنا بها وخمس عملنا بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية ونحن عليها للان فان كرهتها تركناها فقال عليه الصلاة والسلام فاذكروا ماعندكم فقالوا** فأما خمس الايمان فهى أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت واما خمس العمل فهى أن نشهد الا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأن نقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا وأما خمس الجاهلية فهى الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق والثبات عند الحرب واللقاء وترك الشماتة بالاعداء « **وفرح بهم الرسول حتى قال لهم انتم حكماء علماء فقهاء كدتم أن تكونوا انبياء وأنا أزيدكم خمسا ليتم لكم عشرون ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا ما لاتسكنون ولا تتنافسوا فى شىء انتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون** » فانصرفوا وقد حفظوا وصيته ليس فقط ولكنهم عملوا بها وترجموها فى أنفسهم اخلاقا وسلوكا رضى الله عنهم اجمعين .

وأمثال هؤلاء الذين عمق الايمان فى قلوبهم وخدموا النـاس بأفكارهم وحرصوا على ألا يعنوا بصورهم وانما كان همهم أن يكونوا لاخوانهم وأن يكون علمهم للبشرية بل للانسانية تصور أن هؤلاء يوم كانوا عز على الناس منالهم وركبوا الاخطار وواصلوا الاسفار ليقولوا كلمة الحق مدوية مطمئنة لينصحوا العباد وليحملوا اليهم مشاعل الهداية ومنافذ الحرية واسباب الخير بل ان الذين عمقوا فى ايمانهم ولم يشغلهم امر مظهرهم تحملوا فى سبيل اعلاء كلمة الدين كلمة الحق المبين ما ينوء بالعصبة أولى القوة من الرجال الاشداء وهل كان عاصم يعصمهم او زاد يمدهم من ثراء أو غنى أو كثرة مال .. لا .. انما كانت ثروتهم فى قلوبهم بايمانهم بربهم ورسالتهم . ان المرء اذا انقدحت الفكرة فى نفسه وعمقت العقيدة فى قلبه قالها كلمة صريحة وفكرة صحيحة يبلغ بها كل قلب ويسمعها كل اذن ويدخل بها الى كل بيت ويعمقها فى قلب كل صغير وكبير وبهذا تستطيع ان تصنع الجيل الذى يصل بأمته الى الخير بعد ان يطعن العدو الخاسىء فى قلبه وان يرد السهم الى نحره . ان الرسول صحح بهذا الحديث العظيم موازين الفضيلة وقيم الاخلاق . وبهذا ينبغى أن تعمق الايمان غير مبالين بالقشور ولا الترهات ولقد قال ابن مسعود رضى الله عنه : « **أوتينا الايمان قبل القرآن** » واننا لحريصون باذن الله أن تكون دعوتنا دائما تقديرا لهذه الامة وحرصا عليها أن نوجه نصيبنا من الاسهام فى الدعوة المحمدية الى الدعوة الى التربية على عقيدة الاسلام والايمان ليعيش ابناؤنا فى جو ايمانى فتثبت فيهم الفضيلة ويزكو فيهم الخلق وتقوم بينهم المثل فكم من مبادىء تقال وكم من فكر يوجه من غير ان يجد المناخ الصالح ليحيا فيموت ولا يشب والتربية دائما لابد أن تسبق التعليم وأن ما تعانيه الاجيال المتعاقبة من فساد خلقى انما هو اننا أولا نعنى بتحديد المفاهيم واننا نعلم كثيرا ولا نربى الا قليلا وبذا نحرم أولادنا وشبيبتنا من صمام الامن والامان وهكذا صلح الاولون بالايمان وتعميقه والفهم الصحيح وتنسيقه واتباع الايمان فالكتاب والسنة ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها وهكذا ينبغى أن نعى مفهوم الحق فى قوله تعالى : **انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** » . « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » ◙

عظمة السماء ومافيها من أسرار

أقباس
من النور
ولمحات
من المعرفة

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

ان عظمة السماوات فى ليلة صافية تملأ النفس بالرهبة الى حد أننا لا نستطيع أن نتصور ماهو أعظم أو أروع من ذلك ، ومع هذا فمنذ عهد التلسكوب الذى صنعه جاليليو الى العصر الحالى الذى أنشىء فيه تلسكوب بالومار الجبار قد كشف الفلكيون بوسائلهم عن صور جوية أكثر ضخامة وأشد روعة بمراحل بما نراه فى قبة السماء بأعيننا المجردة . فهل من سبيل الى كشف ستار الحقائق لا دراك ما يختفى وراء الكائنات المنظورة من عوالم ؟ نعم يمكن الدخول الى هذا العالم الغير المنظور ، ولكن يجب ان نفتح عقولنا كما تقدم بدلا من ابصارنا حتى تتسع عقولنا لقبول كل مالم نكن نعرفه من قبل عن تلك العوالم الهائلة الخفية وحينذاك نرى منها اعدادا هائلا لاجرام غير منظورة للعين المجردة ونرى ضمنا مجموعات نجمية تكاد أن تكون خيالية فى تصورها ومتنوعات من حركات تفوق كل ماكنا نتصوره فى تلك العوالم الاخرى الغير المنظور من حقائق فضلا عما وراء ذلك كله من عوالم روحية ، ويجب هنا أن نرمى وراء ظهورنا بالسرعات المألوفة لنا فى حياتنا الارضية وأن نلقى أيضا بما كنا نعرفه من قياس للزمن ، ويجب أن نفكر بدلا من ذلك فيما كان قبل ٤٠٠٠ مليون سنة وهى الفترة الزمنية التى احتاجها الكون ليبنى مسرحيته الكونية الكبرى ، ويجب أن نسمح لافكارنا أن تذهب صعدا مع النور وتمرق مروق السهم الذى يسير بسرعة الضوء ، ولندع عقولنا وحدها تسافر لتصل الى المدى الذى وصلت اليه العين الجبارة لاكبر تلسكوبات العالم فى مرصد بالومار .

ان هذا التلسكوب يستطيع أن يحلق بالنظر فى الفضاء فيرى على بعد قدره ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية أى [الاطياف الضوئية لتلك العوالم وليس نفس أجرامها] .

فاذا سمحنا لعقولنا أن تذهب الى أبعد مما تستطيع التلسكوبات الوصول اليه فاننا عندئذ نبدأ فى أن نتصور المشهد المجسم الهائل الذى نسميه الكون كأنه نور على نور .. نور روحى ينعكس على نور ذرى .

والان لندع ستار الجو يرتفع لكى نتمكن من مشاهدة المسرحية الكونية .. فان أول ما يلفت النظر هناك .. انه بالرغم من بلايين وبلايين النجوم المتلالئة وبالرغم من الفضاء المترامى الذى يبدو لنا بغير نهاية فان أعظم مايأخذ بمجامع النفس يجىء على غير ماكنا نتوقع من التنوع الشديد والاتساع الهائل فى الدوامة الكونية . فكل شىء فى دوران والتفاف وفرار يقرب أحيانا ويبعد أحيانا كما لو كنا أمام مشاهد متتابعة من ألوان النور وأطيافه وهناك فسرعان ماتألف عقولنا الدوران الكونى بعد النظرة الاولى فتأخذ فى تلمس بعض النظام وبعض التناسق المشهود للعقول فى الوجود .

فمن الممكن أن نلاحظ حركات المجموعة الشمسية المعقدة التى كانت تبدو لنا أهم ممثل فى هذا المشهد ، وكان يظهر لنا أنها تسود الموقف اذا نظرنا الى ما يدور حولها من توابعها بينما تبدو لنا الشمس [شمسنا] وفى هذا المشهد واحدة من شموس أكبر منها .

واذا انتقلت عقولنا الى ماوراء ذلك ندرك أن المجموعه الشمسية كلها ليست سوى جزء صغير من مجموعه أوسع لمعانا وأكبر حجما ، وتلك الجموع الغفيرة من النجوم ترى هى الاخرى دائرة حول محاورها ومندفعة [بقدرة قادر] تلف وتدور فى حلقات منحية أو قل مدارات حلزونية كأنها الكترونات كهربية ، وهنا ترى أن الشمس وتوابعها تمثل جزءا صغيرا من تلك المجموعة النجمية الواسعة تدور حول قطب لها هو المجرة .. وتلك المجرة تحوى مجموعات أخرى أكبر من الشمس فبعضها على شكل قرص بيضى وبعضها على أشكال أخرى وتلك المجرات فى دورانها حول محاور لمجرات أوسع وهكذا الى مجموعة من المجرات الكثيرة العدد .

واذا أمعنا النظر العقلى نرى جميع المجموعات النجمية الكبيرة أو المجرات تبدو فى حركاتها فى فضاء يسوده النظام المحكم ، ويبعد بعضها عن البعض الاخر ، وبمسافات عظيمة ، فالتلسكوب وحده لا يمكن أن يعطينا صورة كاملة عن هذا الكون العظيم ، وقد يستعين الفلكيون حينئذ بالمعادلات الرياضية فيبينون الصور الكونية خطوة فخطوة ، فهم يمسحون السموات بأقوى تسلكوباتهم ويلتقطون الاشعة النجمية فى أجهزة الطياف [السبكترسكوب] بل أن أجهزة الراديو التلسكوبى تتلقى الامواج القصيرة الاتية من الفضاء البعيد ، كما أن أنواعا من الاجهزة الكهروضوئية والكهروحرارية والفوتوغرافية وبقية أنواع الاشعة التى ما تحت الحمراء كل هذه الوسائل تستخدم فى سبر أغوار السموات فضلا عن تبادل المعلومات بين المراصد الفلكية فى سائر أنحاء الارض وفى الوقت الذى يشمل الكون اعدادا هائلة من المجرات والسدم أصبح من الممكن مع تقدم العلم تصنيفها الى أنواع متميزة .

فالارض والقمر والشمس تمثل الكواكب والتوابع والنجوم وبتحليل أضواء تلك الكواكب المعروفة يستطيع الفلكيون أن يجدوا أساسا هناك لفهم غيرها والاكبر منها والواقع فى مسافات شاسعة البعد عنها فضلا عن ماهناك من الشهب والنيازك وغير ذلك .

وأعظم المعلومات الفلكية عن الاجسام السماوية قد جمعت من طريق الكشف عن العالم الغير المنظور وحتى دورة الارض حول الشمس لا يمكن اثباتها الا بالدليل غير المباشر ، أما شكل الارض ودورانها حول محورها من الغرب الى الشرق فيمكن ملاحظته بسهولة كاختفاء الجزء السفلى أولا من سفينة سائرة نحو الافق والظل الدائرى الذى تكونه الارض على القمر أثناء الخسوف الجزئى ، وكلاهما دليل ظاهر على كروية الارض وحركات الهواء وفلطحة الارض فى القطبين وانبعاجها فى الوسط تشهد هذه كلها بدوران الارض حول نفسها ، ومع ذلك فليس هناك دليل محسوس على أنها تدور حول الشمس ولا يفهم من دورانها حول الشمس الا بعمليات رياضية مبينة للحركة والسرعة وتقطع الارض السنوية حول الشمس بسرعة ١٠٠٠ ميلٌ فى الدقيقةوعندما تقرب الارض من الشمس فى مدارها البيضى تزيد سرعتها لازدياد جاذبية الشمس لها وتقل سرعة الارض عند ابتعادها عنها .

وعندما تسير الارض خلال الجو يلازمها تابع ثابت هو القمر ونسبة حجم القمر الى الارض تجعله من أحسن الاجسام العاكسة لضوء الشمس وقطر القمر يبلغ ٢١٦٠ ميلا .

وكل من الارض والقمر يتحركان حول الشمس تحت تأثير فعل قوى الجاذبية التى يقعان فى مجالها ، وفى نفس الوقت فان الارض والقمر يجذب بعضهما بعضا .

وهناك تسعة أجرام شبيهة بالارض تدور فى مدارات بيضية متنقلة حول الشمس فى مستويات مختلفة .

ويمكن تقسيم الكواكب التى هى من توابع الشمس وضمنها الارض الى مجموعتين : فالمجموعة الاولى هى الكواكب الاربعة الداخلة — عطارد والزهرة والارض والمريخ ونلاحظ أنها صغيرة وكثيفة وهى مكونة غالبا من الصخور والمعادن .

واما المجموعة الثانيه التى تشتمل على الكواكب الاربعة الخارجيةوهى المشترى وزحل وأورانوس وبنتون فهى كبيرة وكثافتها قليلة وأنها غالبا مكونة من السوائل والغازات ، ومع أن بلوتو المكتشف حديثا من الكواكب الخارجية قطعا بحكم موقعه ولكنه يبدو لنا أنه يشبه الكواكب الداخلية فى تركيبه ولو أنه يختلف عنها فى أن له درجة حرارة منخفضة جدا .

ويقول السير جيمس جنز فى آخر كتابه « الكون الغامض » « يلوح لنا أننا على حق اذا قلنا : ان نهر المعرفة تعرج تعرجا شديدا الى الرقى فى السنوات القليلة الماضية ، فقد كنا نظن أو نفترض منذ ثلاثين عاما أننا سائرونصوب حقيقة نهائيةمن النوع الالى أو المادى وأن هذه الحقيقة تتكون من خليط عارض مهوش من الذرات الجامدة قدر عليها أن تقوم زمنا برقصات خالية من المعنى ، طوعا لتأثير قوى عمياء ليس لها غرض معين ، ثم ترتد ليتكون منها عالم ميت لا حياة فيه وفى هذا العالم الالى المحض ظهرت الحياة مصادفة بتأثير هذه القوى العمياء نفسها كما كانوا يدعون » وهو يريد بقوله هذا الماديين والواقعيين » .

أما الان وفى عصرنا الحاضر فان الاراء متفقة الى حد كبير يكاد يقرب من الاجماع على أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية بل قل روحية وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة ضخمة ، ولم يعد العقل بعد دخيلا على الطبيعة ذات الثقل الذى ألقى به الماديون الى الخارج عن عالم الطبيعة المادية بل زعموا أكثر من ذلك فقالوا انه نتيجة لوجود المادة وان كان يخال لنا كأنه [العقل] خالق العالم المادى والمسيطر عليه ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية ، بل نعنى بذلك العقل . العقل الكلى أو قل العقلى الالهى الذى منه تلك الومضات التى نسميها عقولنا .

وتلك المعرفة الجديدة تضطرنا الى ان نعدل عن رأى العلم السابق النظير وهو الرأى الذى يقول اننا قد القى بنا مصادفة فى كون لا يعنى بالحياة ولا بالنظام فيه ويلوح لنا أن من المحتمل أيضا أن يختفى من الوجود مذهب ثنائية العقل والمادة القديم الذى كان من أكبر أسباب هذه العداوة بين الروحية والمادية ، وليس معنى هذا أن المادة ستصبح بطريقة ما أقرب الى الوهم بل ستكون موجودة فى شكل ذرى كهرنورى كما لم نكن نتصوره فى أى وقت آخر .

ونحن واثقون كل الثقة من ان فى الكون دلائل واضحة على وجود قوة كلية مدبرة ومسيطرة وان صلة وثيقة توحد بين تلك الحقيقة الكلية وبين عقولنا الفردية فلسنا اذن غرباء بعقولنا أو دخلاء فى الكون بالقدر الذى كان يظن أول الامر تحت سلطان المادة ولقد كانت تلك الذرات الخاملة التى تحتويها الطينة اللينة الاولى نائمة ثم بدأت تظهر فيها صفات الحياة وصارت تلك الذرات تعمل على أن يزيد انسجامها مع الروح ومع طبيعة الكون الاساسية التى هى [النظام والتعقل] . وذلك على الاقل ما يمكن رؤيته الان علميا وقد أصبح من واجب العلم أن يمتنع عن اصدار الاحكام بالنفى على مالايعرف بعد ذلك لان نهر المعرفة كثيرا ما التوى على نفسه فانساب الى آفاق من الروحية أوسع واسمى .

ويؤكد ذلك ما أوردناه هنا للسير جيمس جنز من قول علمى يدل على تغير وجهة النظر العلمية الى آفاق بعيدة روحية تقرب من ادراك الحقيقة المكونة لهذا الوجود »

أيها الولد

تحفة الأولياء

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

مر

(٢)

اليك سيدى القارىء الحلقة الثالثة منَ وصية الامام الغزالى — رضى الله تعالى عنه — لتلميذه ، يسدى اليه النصيحة ، قال :

« أيها الولد » .. والباقى من مسائلك بعضها مسطور فى مصنفاتى فاطلبه ثمة وكتابة بعضها حرام ، أعمل انت بما تعلم ، لينكشف لك مالم تعلم .

« أيها الولد » .. بعد اليوم لا تسألنى ما أشكل عليك الا بلسان الجنان قوله تعالى : « ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم » ، واقبل نصيحة الخضر — عليه السلام — حين قال : فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا .. ولا تستعجل حتى تبلغ أوانه يكشف لك وتراه ، سأريكم آياتى فلا تستعجلون ، فلا تسألنى قبل الوقت وتيقن انك لا تصل الا بالسير لقوله تعالى : « أولم يسيروا فى الارض فينظروا » .

« أيها الولد » .. بالله ان تسر ترى العجائب فى كل منزل ، وابذل روحك ، فان رأس هذا الامر بذل الروح كما قال ذو النون المصرى — رحمه الله تعالى — لاحد من تلامذته .. ان قدرت على بذل الروح فتعال والا فلا تشتغل [بترهات الصوفية] .
« أيها الولد » .. انى أنصحك بثمانية أشياء اقبلها منى لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيامة ، تعمل منها أربعة وتدع منها أربعة .

أما اللواتى تدع [أحدها] ان لا تناظر أحدا فى مسألة ما استطعت ، لان فيها آفات كثيرة فاثمها أكثر من نفعها ، اذ هى منبع كل خلق ذميم ، كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها .. نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم وكانت ارادتك فيها ان تظهر الحق ولا يضيع ، جاز البحث ، لكن لتلك الارادة علامتان [الاولى] الا تفرق بين ان ينكشف الحق على لسانك او على لسان غيرك .. [الثانية] ان يكون البحث فى الخلاء احب اليك من ان يكون فى الملأ ، واسمع انى أذكر لك ههنا فائدة [واعلم] ان السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب الى الطبيب ، والجواب له تسعى لاصلاح مرضه [واعلم] ان الجاهلين المرضى قلوبهم والعلماء الاطباء والعالم الناقص لا يحسن المعالجة ، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض ، بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح ، واذا كانت العلة مزمنة أو عقيما ، لا تقبل العلاج ، فحذاقة الطبيب فيه ان يقول هذا لا يقبل العلاج ، فلا تشتغل فيه بمداواته ، لان فيه تضييع العمر [ثم اعلم] ان مرض الجهل على أربعة أنواع [أولها] يقبل العلاج والباقى لا يقبل ، أما الذى لا يقبل [أحدها] من كان سؤاله واعتراضه عن حسده وبغضه فكلما تجيبه بأحسن الجواب وأفصحه وأوضحه فلا يزيد له ذلك الا بغضا وعداوة وحسدا ، فالطريق ان لا تشتغل بجوابه .. فقد قيل :

كل العداوة قد ترجى ازالتها
الا عداوة من عاداك عن حسد

فينبغى أن تعرض عنه وتتركه مع مرضه ، قال الله تعالى : « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » . والحسود ، بكل ما يقول ويفعل ، يوقد النار فى زرع علمه ، الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، [الثانى] ان تكون علته من الحماقة ، وهو أيضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى — عليه السلام — انى ما عجزت عن احياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الاحمق ، وذلك رجل يشتغل بطلب زمنا قليلا ، ويتعلم شيئا من العلوم العقلى والشرعى فيسأل ويعترض من حماقته على العالم الكبير الذى مضى عمره فى العلوم العقلى والشرعى ، وهذا الاحمق لا يعلم ، ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير ، فاذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة ، فينبغى الا يشتغل بجوابه ، [والثالث] ان يكون مسترشدا وكل ما لا يفهم من كلام الاكابر يحمل على قصور فهمه وكان سؤاله للاستفادة لكن يكون بليدا لا يدرك الحقائق فلا ينبغى الاشتغال بجوابه أيضا كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — [نحن معشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم] ، وأما المرض الذى يقبل العلاج فهو ان يكون مسترشدا عاقلا فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال ، ويكون طالب طريق المستقيم ، ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنت وامتحان ، وهذا يقبل العلاج فيجوز ان تشتغل بجواب سؤاله ، بل يجب عليك اجابته ، والثانى مما تدع وهو ان تحذر وتحرز من ان تكون واعظا ومذكرا ، لان فيه آفات كثيرة ، الا ان تعمل بما تقول أولا ثم تعظ به الناس ، فتفكر فيما قيل لعيسى — عليه السلام — يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى ربك وأن ابتليت بهذا العمل فاحترز عن خصلتين [الاولى] عن التكلف فى الكلام بالعبارات والاشارات والطامات والابيات والاشعار ، لان الله تعالى يبغض المستكلفين والمستكلف المتجاوز عن الحد يدل على خراب الباطن وغفلة القلب ، ومعنى التذكير ان يذكر العبد نار الاخرة وتقصير نفسه فى خدمة الخالق ويتفكر فى عمره الماضى الذى أفناه فيما لا يعنيه ، ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الايمان فى الخاتمة وكيفية حاله فى قبض ملك الموت : وهل يقدر على جواب منكر ونكير ويهتم بحاله فى القيامة ومواقفها ، وهل يعبر عن الصراط سالما أم يقع فى الهاوية ويستمر ذكر هذه الاشياء فى قلبه فيزعجه عن قراره فغليان هذه النيران ونوحة هذه المصائب يسمى تذكيرا واعلام الخلق واطلاعهم على هذه الاشياء وتنبيههم على تقصيرهم وتفريطهم وتبصيرهم بعيوبهم لتحس حرارة هذه النيران اهل المجلس وتجزعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضى بقدر الطاقة ويتحسروا على الايام الخالية فى غير طاعة الله تعالى ، هذه الجملة على هذا الطريق تسمى وعظا كما لو رأيت أن السيل قد هجم على دار أحد وكان هو وأهله فيها فتقول الحذر الحذر فروا من السيل ، وهل يشتهى قلبك فى هذه الحالة ان تخبر

أنظر

صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات والنكت والاشارات فلا تشتهى البتة ، فكذلك حال الواعظ ، فينبغى ان يجتنبها ، [الخصلة الثانية] الا تكون همتك فى وعظك ان ينفر الخلق فى مجلسك ويظهروا الوجد ويشقوا الثياب ليقال نعم المجلس ، لان هذا كله ميل للدنيا وهو يتولد من الغفلة ، بل ينبغى أن يكون عزمك وهمتك ان تدعو الناس من الدنيا الى الاخرة ومن المعصية الى الطاعة ، ومن الحرص الى الزهد ومن البخل الى السخاء ومن الغرور الى التقوى وتحبب اليهم الاخرة وتبغض لهم الدنيا وتعلمهم علم العبادة والزهد ، لان الغالب فى طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعى فيما لا يرضى الله تعالى به والاستعثار بالاخلاق الرديئة ، فالق فى قلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف ، ولعل صفات باطنهم تتغير ومعاملة ظاهرهم تتبدل ويتظهروا الحرص والرغبة فى الطاعة والرجوع عن المعصية ، وهذا طريق الوعظ والنصيحة ، وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع بل قيل انه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم فيجب عليهم ان يفروا منه ، لان ما يفيد هذا القائل من دينهم لا يستطيع بمثله الشيطان ومن كانت له يد وقدرة يجب عليه ان ينزله عن منابر المواعظ ويمنعه عما باشر ، فانه من جملة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر [والثالث] مما تدع انه لا تخالط الامراء والسلاطين ولا تراهم لان رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة ، ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم لان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق والظالم ومن دعا لطول بقائهم فقد أحب ان يعصى الله فى أرضه [والرابع] مما تدع الا تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم ، وان علمت انها من الحلال ، لان الطمع منهم يفسد الدين ، لانه يتولد منه المداهنة ومراعاة جانبهم والموافقة فى ظلمهم وهذا كله فساد فى الدين ، وأقل مضرته انك اذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنياهم احببتهم ، ومن أحب أحدا يحب طول عمره وبقائه بالضرورة وفى محبة بقاء الظالم ارادة فى الظلم على عباد الله تعالى ، وارادة خراب العالم ، فأى شىء يكون أضر من هذا الدين والعاقبة ، واياك .. أياك أن يخدعك استهواء الشياطين أو قول بعض الناس لك بأن الافضل والاولى ان تأخذ الدينار والدرهم منهم وتفرقها بين الفقراء والمساكين ، فانهم ينفقون فى الفسق والمعصية ، وانفاقك على ضعفاء الناس خير من انفاقهم ، فان اللعين قد قطع اعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة ، وقد ذكرناه فى احياء العلوم فاطلبه ثم ، وأما الاربعة التى ينبغى لك ان تفعلها : [الاول] ان تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث لو عامل معك بها عبدك ترضى بها منه ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب ، والذى لا ترضى لنفسك من عبدك المجازى فلا ترضى أيضا لله تعالى وهو سيدك الحقيقى .. [الثانى] كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم ، لانه لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه .. [الثالث] اذا قرأت العلم او طالعته ينبغى ان يكون علمك يصلح قلبك ويزكى نفسك كما لو علمت ان عمرك ما يبقى غير أسبوع فبالضرورة لا تشتغل فيها بعلم الفقه والاخلاق والاصول والكلام وأمثالها ، لانك تعلم ان هذه العلوم لا تغنيك ، بل تشتغل بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس والاعراض عن علائق الدنيا وتزكى نفسك عن الاخلاق الذميمة ، وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته ، والاتصاف بالاوصاف الحسنة ، ولا يمر على عبد يوم وليلة الا ويمكن أن يكون موته فيه .

والى اللقاء فى العدد القادم لنتمم معك باقى هذه الرسالة .. وفقنا الله وإياك للعمل بما جاء فيها من نصائح عالية .

من أخلاق القرآن

« الحنيف » فى أصل اللغة هو المائل الى الشىء ، وقيل : الحنيف هو المستقيم ، فالمادة اللغوية للكلمة من قبيل الاضداد ، ثم أطلقت كلمة « الحنيف » على المائل من الاديان الباطلة الى الدين الحق ، وعلى الثابت على الدين المستقيم ، ويقال : تحنف الرجل، أى تحرى طريق السلامة ، وسمت العرب كل من حج واختتن حنيفا ، تنبيها الى أنه على دين ابراهيم عليه السلام ، وبعض الناس يسمون البنت « حنيفة » راجين أن يكون ذلك بشارة بطهارتها واستقامتها .

و « الحنف » - بفتح الحاء والنون - هو الميل عن الضلال الى الهدى ، ويقابله « الجنف » بفتح الجيم والنون - وهو الميل عن الهدى الى ضلال ، ومن ذلك قول الله تعالى : « **فمن خاف من موص جنفا** » أى ميلا ظاهرا فى الحكم من العدل الى الظلم ، وقوله تعالى : « **غير متجانف لاثم** » أى غير مائل اليه . وجاء فى الحديث : « **انا نرد من جنف الظالم ما نرد من جنف الموصى** » .

واذا كان الاصل فى « الحنيف » انه المائل الى الدين الصحيح المستقيم ، فقد توسعوا فى معناه ، فأطلقوا الحنيف على الناسك والمخلص والمتعبد والمتحرر من العيوب والمآثم . و « التحنف » هو أن يتحرى الانسان أقوم السبل وأعدل الطرق ليسلكها ويلتزمها ، ومن هذا المعنى يلوح المفهوم الاخلاقى الذى يجعلنا نحس بأن « التحنف » بمعناه العام يدخل ضمن الفضائل الاسلامية القرآنية المجيدة التى تستحق البحث والتنويه . لان المتحنف يصور لنا قيمة سامية من القيم الاخلاقية ، فهو الرجل الذى يرى الناس أو

التحنف

الدكتور أحمد الشرباصى

كثرتهم تسير على طريقة باطلة ومعتقد فاسد ، فلا يتابعهم ولا ينساق وراءهم ، بل يخالفهم جميعا مادام على الحق المبين ، ويتنكب طريقتهم ، ويمضى على طريقته ، وقد يشير الى هذا المعنى قول الحق جل جلاله : « **قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون** » .

والمتحنف هو الذى تدفعه مبادئه وقيمه الى الميل الى الحق عن الباطل : فى القلب والنفس ، فى الجهر والحس ، فى الافعال والاحوال والاقوال ، كما يشير القشيرى فى « لطائف الاشارات » . فليس التحنف مجرد مخالفة أو معارضة للتظاهر أو التفاخر ، وانما هو ادراك للحق ، واعتزاز به ، واصرار عليه ، وان خالف المخالفون .

ولقد نوه القرآن الكريم بفضيلة التحنف ومكانة الحنيف حين قال فى سورة يونس : « **قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين** » . وقوله : «**وأن أقم وجهك للدين حنيفا**» أى اخلص نفسك وقلبك للدين ، وكن مائلا عن الزيغ والبدع ، داخلا فى جملة من أخلص ، ولا تلتفت الى هؤلاء الضالين المنحرفين ، فانك على الحق المبين .

ويعود القرآن الكريم الى ذكر التحنف منوها بفضله ومكانته فيقول فى سورة الحج : « **فاجتنبوا الرجس من الاوثان ، واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** » . وقوله : « **حنفاء لله** » أى مخلصين له الطاعة والعبادة

ويعود القرآن الكريم فى موطن ثالث ليقول فى سورة الروم : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون** » .

وقوله : « **فأقم وجهك للدين حنيفا** » أى أخلص نفسك للاسلام ولعقيدة التوحيد ، واستقم بدينك نحو الجهة التى وجهك الله اليها ، مائلا عن كل ما عدا هذا الدين من دين أو ملة ، ولا يمكن فى قلبك شىء آخر سواه ، فهذه هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، أى ما ركز فيهم من قوة على معرفة الايمان بالله جل جلاله .

ولقد روى البخارى ومسلم قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة** » وفى رواية : « **بعثت بالحنيفية السمحة السهلة** » . والحنيفية هى الاخلاص لله وحده فى الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية ، وهى الاستقامة على دين ابراهيم عليه السلام الذى يقول فيه القرآن المجيد فى سورة آل عمران : « **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** » .

وكأن التحنف هو ابقاء الانسان ذاته على فطرتها الاولى التى برأه الله عليها ، قبل أن تعلق بها علائق الشهوات والانحرافات ، فاذا طرأ عليها شىء من ذلك كان جهده الاخلاقى دائرا حول دفع هذا الطارىء ، والعودة الى حالة الطهارة والصفاء التى تزدان بها نفسه وتقوى ، والتى تجعل أمره سهلا لينا ، وسطا عادلا ، سمحا لطيفا ، لا افراط فيه ولا تفريط .

وفى الحديث القدسى يقول الله تبارك وتعالى : « **خلقت عبادى حنفاء** » أى طاهرى الاعضاء من المعاصى ، وقيل : أراد أنه خلقهم حنفاء مؤمنين ، لما أخذ عليهم الميثاق وهم فى عالم الذر ، فقال لهم : **ألست بربكم ؟** قالوا : بلى . فلا يوجد أحد الا وهو معترف مقر بأن له ربا ، وان أشرك به فيما بعد ، والى هذا أشار القرآن الكريم حين قال فى سورة الاعراف : « **واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا**

غافلين ، أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون »

وجاء فى السنة أحاديث كثيرة ، منها ما جاء فى الصحيحين : « **كل مولود يولد على الفطرة** » ، وجاء فى السنة أيضا أن الله تعالى أخذ على بنى آدم العهد والميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى · قال : فانى أشهد عليكم السموات السبع ، والارضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم ، أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا ، اعلموا انه لا اله غيرى ، ولا تشركوا بى شيئا ، وانى سأرسل لكم رسلا ، لينذروكم عهدى وميثاقى ، وأنزل عليكم كتبى · قالوا : نشهد انك ربنا والهنا ، لا رب لنا غيرك · فأقروا له يومئذ بالطاعة ··

والقرآن الكريم قد وصف خليل الرحمن وأبا الانبياء ابراهيم بأنه « حنيف » سبع مرات فى القرآن الكريم ، وهى :

١ ـ فى سورة البقرة : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »

٢ ـ فى سورة آل عمران : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »

٣ ـ فى سورة آل عمران أيضا : « قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »

٤ ـ فى سورة النساء : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا »

٥ ـ فى سورة الانعام : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » ·

٦ ـ فى سورة النحل : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » ·

٧ ـ فى سورة النحل أيضا : « ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »

وكذلك جاء على لسان ابراهيم فى سورة الانعام قوله : « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين » ·

ولعل السر فى تكرار القرآن الكريم نسبة « الحنيفية » الى ابراهيم عليه السلام ـ والله أعلم بمراده ـ هو أن ابراهيم ضرب مثلا كريما فى مقاومة الاشراك بالله ، والاحتفاظ بنفسه صافية ، وبقلبه سليما ، ودعا ربه أن يطهره ويطهر أبناءه من الوثنية والضلال « **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام** » وهو الذى قال لقومه : « **واعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا** » ·

وجاء فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم ما يذكرنا بالفطرة ، وما يذكرنا بوجوب التحنف والميل عن الضلال الى الضلال ، وعن عبادة أى شىء الى عبادة الله الواحد القهار ، فجاء فى سورة الانبياء وهى تتحدث عن ابراهيم : « **قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين** » · وجاء فيها : « **قال : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون** » ؟

وعبر القرآن عن الفطرة السليمة والحنيفية الصافية والباطن الطاهر عند ابراهيم عليه السلام ، فقال عنه فى سورة الصافات : « **اذ جاء ربه بقلب سليم** » أى أعرض عن كل شاغل ، وأقبل على ربه ومولاه بقلب مخلص طاهر من آفات القلوب ومن علائق الشهوة ، فجعله خالصا لله وحده ·

ولنلاحظ هنا أن كلمة « حنيفا » لا تكاد تذكر فى القرآن حتى يرد معها نفى الشرك ، وكأن القرآن يريد أن يذكرنا مرة بعد مرة أن التحنف والاشراك لا يجتمعان ، ومن هنا تكرر كما رأينا قوله تعالى : « **حنيفا وما كان من المشركين** » فى شأن ابراهيم جد نبينا عليهما الصلاة والسلام ، ولذلك لم يكن عجيبا أن يقول التنزيل المجيد : « **قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** » · لان معنى ذلك ـ كما يقول القشيرى : اذا تجاذبتك الفرق والاهواء ، فأعرض عن هؤلاء ، وأقبل علينا ، وزد فى توجهك الينا ، جاريا على منهاج الخليل ، الذى ترك قومه وأباه ، وأقبل على خالقه ومولاه ، غير معرج على شىء فيه نصيب للنفس ، فقد سلم ماله ونفسه وولده ، وما كان له جملة الى حكم الله وانتظار أمره ·

وبمقتضى هذا المثل الاعلى الذى ضربه ابراهيم فى التحنف والاستقامة والاخلاص فى الطاعة رأينا القرآن الكريم يدعو عباده المؤمنين الى الاستمساك بمثل هذا الاخلاص ، لانه لب المسلمين ، ولان الاستقامة على الطاعة هى صبغة المسلمين المخلصين ، فقال القرآن الكريم فى ختام سورة الحج : « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ، ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** » ·

ومما يدل على أن « التحنف » وثيق الارتباط بالفطرة اننا نجد فى ظلمات الجاهلية أفرادا تحنفوا وتطهروا ، واعتزلوا مسالك الانحراف ومواطن الاعتساف ، وتلمسوا الطريق الى الاستقامة والهداية على قدر طاقتهم ، ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل الذى ترك عبادة الاوثان قبيل اشراق الاسلام ، وحاول أن يكون حنيفا على طريقة ابراهيم عليه السلام ، وقد روى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انه كان مسندا ظهره الى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بيده ، ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيرى » · ثم يقول : « اللهم انى لو أعلم أحب

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الآخرة ١٣٩١	يولية ١٩٧١	مغرب		عشاء		فجر		شروق		ظهر		عصر	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
الجمعة	أول	٢٣	٥٥	٧	٢٤	٩	٢٧	٤	٠٨	٦	٠١	١	٣٨	٤
السبت	٢	٢٤	٥٤	٧	٢٣	٩	٢٧	٤	٠٨	٦	٠١	١	٣٨	٤
الأحد	٣	٢٥	٥٤	٧	٢٣	٩	٢٨	٤	٠٩	٦	٠١	١	٣٨	٤
الإثنين	٤	٢٦	٥٣	٧	٢٢	٩	٢٩	٤	٠٩	٦	٠١	١	٣٨	٤
الثلاثاء	٥	٢٧	٥٣	٧	٢١	٩	٣٠	٤	١٠	٦	٠١	١	٣٨	٤
الأربعاء	٦	٢٨	٥٢	٧	٢٠	٩	٣١	٤	١١	٦	٠١	١	٣٨	٤
الخميس	٧	٢٩	٥١	٧	١٩	٩	٣١	٤	١١	٦	٠١	١	٣٨	٤
الجمعة	٨	٣٠	٥١	٧	١٩	٩	٣٢	٤	١٢	٦	٠١	١	٣٨	٤
السبت	٩	٣١	٥٠	٧	١٨	٩	٣٣	٤	١٢	٦	٠١	١	٣٨	٤
الأحد	١٠	أول أغسطس	٥٠	٧	١٧	٩	٣٤	٤	١٣	٦	٠١	١	٣٨	٤
الإثنين	١١	٢	٤٩	٧	١٦	٩	٣٥	٤	١٤	٦	٠١	١	٣٨	٤
الثلاثاء	١٢	٣	٤٨	٧	١٥	٩	٣٦	٤	١٤	٦	٠١	١	٣٨	٤
الأربعاء	١٣	٤	٤٧	٧	١٤	٩	٣٧	٤	١٥	٦	٠١	١	٣٨	٤
الخميس	١٤	٥	٤٧	٧	١٣	٩	٣٨	٤	١٦	٦	٠١	١	٣٨	٤
الجمعة	١٥	٦	٤٦	٧	١٢	٩	٣٩	٤	١٦	٦	٠١	١	٣٨	٤
السبت	١٦	٧	٤٥	٧	١١	٩	٣٩	٤	١٧	٦	٠١	١	٣٧	٤
الأحد	١٧	٨	٤٤	٧	٩	٩	٤٠	٤	١٧	٦	٠١	١	٣٧	٤
الإثنين	١٨	٩	٤٣	٧	٨	٩	٤١	٤	١٨	٦	٠٠	١	٣٧	٤
الثلاثاء	١٩	١٠	٤٣	٧	٧	٩	٤٢	٤	١٩	٦	٠٠	١	٣٧	٤
الأربعاء	٢٠	١١	٤٢	٧	٦	٩	٤٣	٤	١٩	٦	٠٠	١	٣٧	٤
الخميس	٢١	١٢	٤١	٧	٥	٩	٤٤	٤	٢٠	٦	٠٠	١	٣٧	٤
الجمعة	٢٢	١٣	٤٠	٧	٤	٩	٤٥	٤	٢٠	٦	٠٠	١	٣٦	٤
السبت	٢٣	١٤	٣٩	٧	٣	٩	٤٦	٤	٢١	٦	٠٠	١	٣٦	٤
الأحد	٢٤	١٥	٣٨	٧	١	٩	٤٦	٤	٢١	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤
الإثنين	٢٥	١٦	٣٧	٧	٠٠	٩	٤٧	٤	٢٢	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤
الثلاثاء	٢٦	١٧	٣٦	٧	٥٩	٨	٤٨	٤	٢٣	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤
الأربعاء	٢٧	١٨	٣٥	٧	٥٨	٨	٤٩	٤	٢٣	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤
الخميس	٢٨	١٩	٣٤	٧	٥٧	٨	٥٠	٤	٢٤	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤
الجمعة	٢٩	٢٠	٣٣	٧	٥٥	٨	٥١	٤	٢٤	٦	٥٨	١٢	٣٤	٤
السيت	٣٠	٢١	٣٢	٧	٥٤	٨	٥٢	٤	٢٥	٦	٥٨	١٢	٣٤	٤

الوجوه اليك عبدتك به، ولكنى لا أعلم » ويقول : « الهى اله ابراهيم ، ودينى دين ابراهيم » •

وكان زيد يحيى الموءودة ، واجتمع مع نفر من عقلاء قومه ، وتباحثوا فى أمر الاصنام فذكروا أن عبادتها ضلال « فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الارض ، يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم » • ولم يكن فيهم ـ كما يقول ابن كثير ـ أعدل أمرا وثباتا من زيد ابن عمرو ، فقد اعتزل الاوثان ، وفارق الاديان من اليهود والنصارى والملل كلها ، الا دين ابراهيم دين الحنيفية ، يوحد الله ، ويخلع ما دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه ، ولا فى سبيل ذلك الوانا من الايذاء •

وخرج زيد الى الشام يلتمس ، ويطلب فى أهل الكتاب الاول دين ابراهيم ويسأل عنه ، فدله أحد الرهبان على أن نبيا قد آذن وقت ظهوره فى مكة ، فعاد زيد مسرعا ، ولكنه لقى مصرعه فى الطريق • ويروى ابن كثير انه حينما ذكروا زيدا وشأنه أمام النبى قال • « هو أمة وحده يوم القيامة » •

ورووا لزيد بن عمرو أشعارا تتسم بالحنيفية والتحنف والتطهر ، ومن ذلك قوله :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا
رحاها فلما استوت شدها
سواءا ، وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هى سيقت الى بلدة
أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له الريح تصرف حالا فحالا

ومن ذلك قوله أيضا :

أربا واحدا أم ألف رب
أدين اذا تقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربى
ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها
متى تحفظوها لا تبوروا
ترى الابرار دارهم جنان
وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحياة ، وان يموتوا
يلاقوا ما تضيق به الصدور

هذا ومما ينبغى أن نتذكره أن بعض الجاهلين زعم أن كلمة « الحنيفية » عند العرب قديما كانت تطلق على الشرك ، وقد تكفل بالرد على هذا الجهل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حين تعرض لتفسير قوله تعالى فى سورة البقرة : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » فذكر أن الحنيف هو المائل ، وأطلق على الخليل ابراهيم ، لان الناس فى عصره كانوا على طريقة واحدة وهى الكفر ، فخالفهم كلهم ، وتنكب طريقتهم • ثم قال :

« قال بعض المشتغلين بالعربية من الافرنج : ان الحنيفية هى ما كان عليه العرب من الشرك فاحتجوا على ذلك بقول بعض النصارى فى زمن الجاهلية : (ان فعلت هذا أكون حنيفيا) • وانها لفلسفة جاءت من الجهل باللغة • وقد ناظرت بعض الافرنج فى هذا ، فلم يجد ما يحتج به الا عبارة ذلك النصرانى ، وهو الان يجمع كل ما نقل عن العرب من هذه المادة ، لينظر كيف كانوا يستعملونها ، ولا دليل فى كلمة النصرانى العربى ، على أن الكلمة تدل لغة على الشرك ، وانما مراده بكلمته البراءة من دين العرب مطلقا ، ذلك أن بعض العرب كانوا يسمون أنفسهم الحنفاء ، وينتسبون الى ابراهيم ، ويزعمون أنهم على دينه ، وكان الناس يسمونهم الحنفاء أيضا •

والسبب فى التسمية والدعوى أن سلفهم كانوا على ملة ابراهيم حقيقة ، ثم طرأت عليهم الوثنية ، فأخذتهم عن عقيدتهم ، وأنستهم أحكام ملتهم وأعمالها • نسوا بعضها بالمرة ، وخرجوا ببعض آخر عن أصله ووصفه كالحج ، ونفى الشرك عن ابراهيم فى آخر الاية احتراس من وهم الواهمين ، وتكذيب لدعوى المدعين » •

أما بعد فيا أيها الانسان العاقل ، هذا طريق التحنف ، طريق التدبر والتطهر ، وطريق الاستقامة والاخلاص ، طريق الميل عن كل ضلال وبهتان ، وطريق الثبات على اليقين والاحسان ، فكن متحنفا مسلما ، حتى تصبح حنيفا مؤمنا ، فابراهيم جد نبيك عليهما الصلاة والسلام كان حنيفا مسلما ، ورسولك صلى الله عليه وسلم هو الذى يقول : « بعثت بالحنيفية السهلة السمحة » ، وربك جل جلاله هو الذى يقول : « وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » • واتخذ لك من القرآن فى هذا المجال شعارا ، هو قول ربك تبارك وتعالى •

« قل انتى هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين ، قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ، ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ، وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، ان ربك سريع الحساب وانه لغفور رحيم » •

التفسير بين القديم

الدكتور عبد الله شحاتة

القرآن كتاب الله الخالد ، والمعجزة الابدية ، أنزله الله هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور · وتكفل النبى صلى الله عليه وسلم بشرحه وتبيينه للناس ، كما قال سبحانه (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل ـ ٤٤ ·

ولحق الرسول الامين بالرفيق الاعلى وظل القرآن الكريم فى مكان الصدارة يقرؤه المسلمون فى غدوهم ورواحهم ويهتمون بدراسته وتفسيره على مر العصور

مدارس التفسير :

نشأت مدارس للتفسير بمكة والمدينة والعراق · وتميز الحجاز بلزوم التفسير بالمأثور ، كما تميز العراق بالتفسير المعقول ، ونشأ اتجاهان فى تفسير القرآن الى يومنا هذا ، هما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ·

ونشأت مساجلات حول تفضيل أحدهما على الاخر · لكنا فى النهاية نرى أنه لا غنى لاحدهما عن الاخر فمفسر القرآن ملزم بمعرفة تاريخ التشريع وأسباب النزول ومعرفة المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ وما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين فى تفسير الاية ثم هو ملزم باستخدام العقل والرأى اذا لم يجد أثرا فى الآية ، أو وجد اثرا معاولا أو مضطربا ، فعليه أن يجتهد رأيه اذا كان من اهل الاجتهاد والاستنباط كما قال سبحانه (**لعلمه الذين يستنبطونه منهم**)·

قال القرطبى : « النهى عن التفسير بالرأى يحمل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له فى الشىء رأى واليه ميل من طبعه وهواه لينجح على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ·

أما الوجه الثانى ، فانه يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهاره بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة وما فيه من الاختصار والحذف والتقديم والتأخير ، ممن لم يحكم بظاهر التفسير ، وبادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى ، والنقل والسماع لابد منهما لمن أراد التفسير : أولا ليتقى بهما مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك ليتسع الفهم والاستنباط » (الجامع لاحكام القرآن ١ ـ ٣٤) ·

« فالتفسير بالرأى المذموم هو الذى يعتمد فى تفسير الاية على مجرد الهوى ولا يعتمد فى رأيه على نص أو اجماع أو شهادة من اللغة أو يتلاءم مع روح الشريعة ·

أما اذا كان الغرض هو الكشف عن المعانى الدقيقة التى يحتملها اللفظ فى الايات الكريمة بحيث لا ينكره الدين ، وكان المفسر أهلا لذلك بأن كان حائزا لمبادىء العلوم اللازمة له كالنحو والصرف وعلم البلاغة ، متمكنا من أصول الدين ومن الفقه وأصوله فجائز » (مجمع البحوث، المؤتمر السادس، التفسير بالرأى) ·

العناية بالقرآن :

لقد عنى المسلمون الاولون بالقرآن قراءة وفهما ودراسة وحفظا وعلما وعملا ، فكان القرآن كتاب حياة ووجود ، اتبعوا أحكامه ونفذوا أوامره ، وأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، فكانوا سادة الدنيا وأساتذة العالمين ، ثم تحول القرآن الى كتاب دراسة ، بعد أن كان دستور الحياة ، فنشأت حول القرآن دراسات متعددة كان المقصود منها خدمة القرآن الكريم ، فالنحو الذى يقوم اللسان ويعصمه من الخطأ ، أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن ، وعلوم البلاغة التى تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها ، أريد بها بيان نواحى الاعجاز فى القرآن والكشف عن أسراره الادبية ، وتتبع مفردات اللغة والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها ، وتحديد معانيها وصيانة ألفاظ القرآن ومعانيه أن تعدو عليها عوامل التحريف او الغموض ، والتجويد والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته ، والتفسير لبيان معانيه والكشف عن مراميه ·

والفقه لاستنباط أحكامه والاصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه ، وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد ، وأسلوبه فى الاستدلال عليها ·

و الحديث

وقل مثل هذا فى التاريخ الذى يشتغلَ به المسلمون تحقيقا لما أوحى به الكتاب الكريم فى مثل قوله (نحن نقص عليك أحسن القصص) •

وهكذا علوم الفلك والنجوم والطب وعلوم الحيوان والنبات وغير ذلك من العلوم •

اختلاف التفاسير باختلاف ثقافة المفسر :

وتبعا لهذه الانحاء المختلفة فى نظر المسلمين الى القرآن واشتغالهم به ، نرى التفاسير ذات ألوان متعددة فمنها ما يغلب عليه تطبيق قواعد النحو وبيان اعراب الكلمات وبنائها ، ومنها ما يغلب عليه بيان نواحى البلاغة والاعجاز ومنها ما يهتم بالفقه والتشريع وبيان أصول الاحكام وهكذا •

مقارنة :

واذا قارنا بين تاريخ التفسير والادوار التى مر بها وتاريخ التشريع الاسلامى والادوار التى مر بها ، وجدنا تلازما وتوافقا بينهما فى القوة والضعف • فكلاهما مر بأطوار النشأة والنمو ، ثم النضج والكمال ، ثم التقليد والجمود ، وأخيرا جاء عصر النهضة الحاضر •

فدور النشأة والنمو من البعثة المحمدية الى سنة ١٠٠ هـ ، ودور النضج والكمال من سنة ١٠٠ هـ الى سنة ٣٥٠ هـ ، ودور التقليد والجمود من سنة ٣٥٠ هـ الى سنة ١٢٨٦ هـ ، ودور النهضة من سنة ١٢٨٦ هـ الى الوقت الحاضر •

التفسير فى دور التخلف :

نشأ تفسير القرآن شرحا للفظ غامض أو توضيحا لمعنى بعيد ، ثم تطور الى تفسير بالمأثور وتفسير بالرأى • وفى عهد التقليد والجمود ، تأثر التفسير بثقافة المفسر وليس ذلك عيبا بذاته ، ولكن العيب أن **يتحول التفسير الى كتاب فى القواعد والاعراب ، أو البلاغة والبيان ، أو آراء الفرق والرد عليها ، فينصرف الناس عن القرآن وهدايته وروحه السامية ،** الى ما كتبه المفسرون من علوم واصطلاحات ، **وفنون ومعارف فيها كل شيء الا التفسير**

قال السيد رشيد رضا فى مقدمة تفسير المنار :

« كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب فى التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية وهدايته السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعانى ومصطلحات البيان •

ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الاصوليين واستنباط الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازى صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده فى تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة فى الملة على ما كانت عليه فى عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بايراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة ، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الاية فصولا طويلة – بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والارض – من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لاجله القرآن ، فكانت الحاجة شديدة الى تفسير تتوجه العناية الاولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الايات الكريمة المنزلة فى وصفه ، وما أنزل لاجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح وهو ما ترى تفصيل الكلام عليه فى المقدمة المقتبسة من دروس شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه •

ثم الى العناية الى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير ومراعاة أفهام صنوف القارئين ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها » •

التفسير فى عصر النهضة :

١ – كان السيد جمال الدين الافغانى أساس النهضة الاسلامية الحديثة ، ورجل الاصلاح الذى نفخ فى هذا الشرق من روحه الفياضة فدبت فيه الكرامة والعزه وعادت اليه ذكريات أمجاده وماضيه العريق •

٢ – حمل راية الاصلاح تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده ، وكان اصلاحه دينيا اجتماعيا واهتم لذلك بتفسير القرآن الكريم وجعله أساسا لتربيته ، ونهضته الاجتماعية ، وأفكاره التربوية للنهوض بالامة المصرية والاسلامية •

٣ – انتقل الامام الى رحمة الله ، فاستمر السيد رشيد رضا فى تفسير المنار الى سورة يوسف • ويعتبر هذا التفسير مرجعا ممتازا لكل مفسر فى العصر الحديث •

وقد فتح الامام محمد عبده عين الطريق لمن جاء بعده من المفسرين الذين استفادوا من تفسيره وتابعوا مسيرته ، وعاد للتفسير نضارته ويسره ، وقوته وروحه ولعل هذا من أسرار حفظ الله لكتابه كما قال الحق سبحانه : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون •

مساهمة الشعب في إدارة العدالة

دكتور محمود الهمشري

تناقش اللجنة التحضيرية للدستور فى الايام القليلة القادمة موضوع مساهمة الشعب فى ادارة العدالة ، ذلك الموضوع الذى تضمنه البيان الخالد الذى ألقاه السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٧١ .•

وتتحقق مساهمة الشعب فى ادارة العدالة بطريقتين ، الطريقة الاولى غير مباشرة وتتمثل فى الرقابة الديمقراطية الفعالة التى يحققها مبدأ اختيار القضاة عن طريق انتخابهم من بين أفراد الشعب كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية حيث يتم انتخاب القضاة مباشرة من بين افراد الشعب بطريق الاقتراع العام أو بمعرفة المجالس التشريعية ، وكما هو الحال ايضا فى الدول الاشتراكية مثل الاتحاد السوفييتى حيث يختار قضاة محكمة الشعب بطريق الاقتراع العام المباشر السرى من بين مجموع الناخبين فى المدينة أو الحى ، أما قضاة محاكم الاقاليم فيجرى انتخابهم بطريق غير مباشر عن طريق المجالس السوفييتية الكائنة بهذه الاقاليم ، فى حين يتم انتخاب قضاة المحكمة العليا عن طريق مجلس السوفييت الاعلى . ويرتكز نظام انتخاب القضاة على مبدأ تأكيد سيادة الشعب باعتباره مصدرا للسلطات ، وأنه لا معنى لان تصدر الاحكام باسم الشعب اذا كان الشعب نفسه لا يشترك فى اختيار القضاة الذين يتولون اصدار هذه الاحكام باسمه .

والطريقة الثانية التى تتحقق بها مساهمة الشعب فى ادارة العدالة مباشرة ، ولا تقتصر على مجرد الرقابة على سير المحاكمات التى يحققها مبدأ انتخاب القضاة ، وانما تمتد الى ابعد من ذلك فتصل الى حد ممارسة الشعب فعلا للقضاء ، أى اشتراكه اشتراكا ايجابيا ومباشرا فى ادارة العدالة . ويرى بعض رجال القانون أن الديمقراطية الصحيحة لا تتحقق بمجرد تقرير حق الشعب فى رقابة القضاء أيا كانت وسيلة هذه الرقابة وانما تتحقق باشتراك الشعب اشتراكا ايجابيا فى القضاء . ويضيف البعض الاخر أن الشعب وفقا لاحكام الدستور هو الذى يتولى انتخاب أعضاء السلطة التشريعية من بين أفراده وهذه السلطة هى التى تراقب السلطة التنفيذية ، وما دام الشعب يملك هذا كله فمن حقه بالضرورة أن يشارك فى أعمال السلطة القضائية باعتبار أنها السلطة الوحيدة التى يكاد يخلو منها العنصر الشعبى

على أن اشتراك الشعب اشتراكا ايجابيا فى ادارة العدالة له صورتان : **الصورة الاولى** تتمثل فى اختيار بعض أفراد الشعب للجلوس الى جانب القاضى المتخصص ليسألهم رأيهم فيما يتعلق بثبوت الادانة أو عدم ثبوتها . واذا ما صدر قرارهم بالاجماع انفرد

القاضى المتخصص بتطبيق القانون وتقدير الجزاء · وان أخفقوا فى الوصول الى قرار بالاجماع أعيدت الاجراءات من جديد ودعيت هيئة محلفين أخرى للاشتراك فى المحاكمة · ويطلق على أفراد الشعب الذين يشكلون هذه الهيئة قضاة الواقع أو قضاة الموضوع · بينما يطلق على القاضى المتخصص قاضى القانون أو قاضى الحكم · أما **الصورة الثانية** فتتمثل فى اشتراك بعض أفراد الشعب الذين يقع عليهم الاختيار مع القاضى المتخصص فى تقدير الوقائع وتقدير الجزاء فى نفس الوقت ويطلق على هؤلاء الافراد فى هذه الحالة بالعدول ·

ومساهمة الشعب فى ادارة العدالة لها أصل ثابت فى الاسلام ، وكانت تهدف الى اقرار هذه العدالة وتجنب ما يحتمل أن يقع فيه القاضى أو الحاكم من خطأ ، اذ يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن « القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار » وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة · ومن مأثورات الفقه الاسلامى أن الامة لا تجتمع على باطل ، وان اجتماع ثقافات متعددة وخبرات شتى فى هيئة المحكمة يحقق الفرصة لمزيد من الفحص بالنسبة الى الوقائع ، ويحقق التوازن فى اصدار الاحكام ، ويقلل ان لم يمنع من احتمال التسلط فى البحث عن الحقيقة · ولا افتيات على الواقع اذا قلنا أن نظام العدول السائد فى كثير من الدول مأخوذ مما كان مقررا فى الاسلام ، اذ كان يجلس الى جانب القاضى أو الوالى فى كثير من الاوقات أشخاص عدول يحسون بأحاسيس الناس ويشعرون بشعورهم ، ويرفقون بهم فى عامة أمورهم وخاصتها ، ولا يركبون بهم متن الشطط · وهذه الصفات هى التى دعا اليها النبى عليه السلام .

وفى تراثنا القومى آثار لمبدأ مساهمة الشعب فى ادارة العدالة ، فقد وجدت وظيفة العدول الى جانب القاضى المتخصص منذ حكم الرشيد · وكان القاضى يجد نفسه فى حاجة ماسة الى الاستئناس برأى أشخاص من عامة الناس يتميزون بالعدل والخبرة بالناس · وقد نظمت بعد ذلك مهنة العدول وأعدت جداول للقيد ، وكان أول قاض قيد أسماء العدول فى ديوانه بمصر هو مالك أبو نعيم اسحاق بن الفرات ·

وعندنا الان يتولى ادارة العدالة قضاء متخصص ، وان كانت توجد بعض تطبيقات لمبدأ اشتراك الشعب فى ادارة العدالة ، ومن هذه التطبيقات نظام التحكيم الاجبارى الذى صدر به القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٦ ، ونظام التحكيم الاختيارى الذى جاءت به المادة ٥٠١ من قانون المرافعات ، ولجان الفصل فى المنازعات الزراعية التى نظمها القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٦ ومجلس الصلح المنصوص عليها فى المادة ٢٤ من قانون المرافعات ، واللجان الثلاثية ولجان التوفيق فى منازعات العمل طبقا لاحكام القانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ · وقد صدر قانون الحراسات العامة الجديد يتضمن انشاء محكمة قضائية خاصة تضم الى جانب القضاة المتخصصين المكلفين بتطبيق أحكام القانون عنصرا شعبيا على غرار نظام المحلفين تحقيقا لمبدأ المشاركة الشعبية ·

والواقع أن اشتراك الشعب فى ادارة العدالة يحقق الديمقراطية فى محيط القضاء ، ولابد أن يكون الغرض منه فى نفس الوقت تحقيق هدفين يرتبط أولهما بالدعوى ويتمثل فى تبسيط اجراءاتها وبسرعة الفصل فيها ، ويتصل ثانيهما بالحكم فى هذه الدعوى ويتمثل فى ضمان سلامة الحكم وشعور كل فرد من أفراد الشعب بأن ما حكم به هو الحق والعدل ·

والرأى عندى أنه لا مانع من الاخذ بمبدأ اشتراك الشعب فى ادارة العدالة فى نظامنا القضائى على أن يكون ذلك فى نطاق ضيق لحداثة التجربة وبشرط ألا تخلو المحاكم التى يشترك فيها الشعب فى ادارة العدالة من وجود قضاة متخصصين يتولون تطبيق القانون على القضايا المطروحة أمامهم وعلى الاخص بعد أن أصبح اصدار الحكم عملا علميا كما أصبحت السياسة التشريعية الحديثة تنادى بضرورة تأهيل القاضى الجنائى ، اذ لم يعد كافيا احاطته بنصوص القوانين وتفسيرها بل ينبغى أن يكون ملما الماما حقيقيا بعلم الاجرام وعلم العقاب وغيرهما من العلوم الاجتماعية المتصلة بظاهرة الجريمة وبشخصية المجرم والجزاء الجنائى بعنصريه الشكلى الذى يتمثل فى مبدأ الايلام ، والموضوعى ويتمثل فى نوع الجزاء ومقداره وما يقتضيه الامر فى كثير من الحالات من ضرورة اجراء فحص بيولوجى أو نفسى أو اجتماعى على المجرم ·

والله نسأل أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه الخير لشعبنا وهو على كل شىء قدير ·

دقة التشبيه فى البيان النبوى

التشبيه فى الهيئات

الدكتور عز الدين على السيد

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اياكم والحسد فانه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب — أو قال : العشب . »

ليس أفسد طبعا ، ولا أدسى نفسا ، ولا أشقى حظا ، ممن تؤلمه النعمة يمنحها الله من يشاء لحكمته ، فيعترض على الله ، وينتقص حكمته بالنظر الحاقد على هذه النعمة وتمنى زوالها .

الخلق السىء الذى يحمل على هذا هو الحسد .. يحذرنا منه الرسول الكريم عليه السلام تحذيرا شديدا معللا بسببه ، وهو عدم انتفاع الحاسد بالعمل الصالح مهما آتى من فعله ، لان الله لا يقبل الا الطيب الخالص ، ولا طيب ولا خالص ممن أسخط الله بالشك فى حكمته ، والاعتراض على قدره فى تقسيم الرزق بين خلقه .

اراد الرسول عليه السلام أن يقرر هذا المعنى فى نفوس المؤمنين ، فأتى به فى تخييل حسى حكيم : شبه الهيئة الحاصلة من اجتماع الحسد والحسنات وحبوط الحسنات الصالحة الجميلة بدمامته وقبحه وشدة شره ، بالهيئة الحاصلة من اجتماع النار والحطب ، يلقى اليها فتحيله رمادا ..

الصورة الواقعة المحسة التى نراها كل حين .. أحمال الحطب الجزل تفنيها رأس عود من الثقاب ، تنتقل الى اجزائها العدوى فى ثانية أو ثوان ، فاذا هى مثلها ، ينتقل منها اللهب الى ماوراءها ماوجد منه موجود ..

هذا الخطر الداهم المخيف نتوقاه كل التوقى ، بحفظ مواد الاشتعال كل الحفظ خوف الكارثة ، ويحذر منه الآباء الابناء ، هو صورة مطابقة للحسد هذا الخطر النفسى الذى يفنى أطناننا من الحسنات يتركها هباء .. !

تلك المعانى المتعلقة قد تجسمت بالتشبيه فى هذه الصورة فتقررت وتأكد مدلولها ، غير أن فى طى التمثيل أمورا تزيد من قوته وتضاعف من قيمته ..

تصدير الكلام بصيغة التحذير (اياكم) تعجيلا بالانذار واعلان الخطورة ، ليلتفت السامع بكل ما يملك الى المحذر منه ، والتعجيل فى هذه الصيغة مستفاد من بنائها على الايجاز بحذف الفعل والفاعل لتكون هذه الكلمة علما بذاتها على الخطر ، فاذا روعى أن المحذوف مكرر الحذف مرة مع الضمير وأخرى مع [الحسد] الظاهر المعطوف تبين حرص المتكلم على السامع بسرعة المبادرة .

ثم ربط التحذير بما بعث بفاء السببية أو التعليل حمل للسامع على الاقتناع واجتذاب لفكره نحو النصيحة ، يزيده تقريرا أن الفاء قد دخلت على حرف التوكيد فى الجملة التى تكرر فيها اسناد الفعل فزادت توثقا يدفع بالمخاطب دفعا الى الحذر ..

ثم التعبير بالفعل المختار عن قصد وهو [يأكل] يخيل لنا الحسد شخصا شرها جشعا يلتهم الطعام فى تجدد وتتابع ، ويخيل كذلك الحسنات مأكولا سريع الفناء بين فكى الآكل المخيف ..

نرى هذا كله قبل عقد التمثيل ، ولذا جاءت المماثلة لتزيد التقرير والتأكيد فى جانب علة التحذير ، ولتبين مقدار حال الاكل الواقع من الحسد

على الحسنات وانه لا زهد فيه ولا رضا ، ولا قناعة دون الا يجد فينتظر ما عساه يوجد .

هل يدرك الحاسد أن نارا فى قلبه .. ؟ وهل يعلم أنها تأكل حسناته مهما قدم من القرب وأعمال البر ؟ هل يراها نارا حية تترقب الجديد وتطلب المزيد . ؟ اللهم فقها فى دينك وحماية منك يا اله العالمين .!

عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه .))

حب المال من حب الدنيا ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، يزينه الشيطان للناس ليفتنهم فيه « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب** » .

وحب الرياسة والظهور ، وأن يشار الى المرء بالبنان ، وينهض للقائه اذا اقبل ويرتعد من صوته اذا أمر ، نفخة ينفخها الشيطان فى قلبه ، وعقدة يعقدها فى نفسه، ينفث فيها نفثة الغرور والكبرياء ، والاعجاب بالنفس واحتقار ما سواها، والذى يموت على هذا الوصف من الكبر والزهو يكون أهون على الله من الجعلان ، **فالناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا فضيلة ترفع الا التقوى** ، والتقى هين لين بش ، يسره أن يكون مغمورا فى الناس أكثر من أن يكون مشهورا .

صاحب احدى البلويين : حب المال والحرص على الشرف الدنيوى ، هو شخص فاسد الدين ، ومفسد دينه هو هذه البلوى ، لانه لا يهدأ له بال ، ولا تستقر له نفس ، ما دام هذا الحب يشغله ، ويوجه قواه المدركة ، لان حب الشىء يعمى ويصم ، فكيف يبصر فى الدين فضيلة ، والدين يأمره وينهاه ، ليعيش عفا قنوعا ، وكاسبا مقتصدا ، يجتنب الشبهة وان اربحت كثيرا ، وينفق ما جعله الله عليه حقا من ماله المضنون به « **وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » ؟

وكيف يأنس للدين ، والدين يأمره وينهاه لينخفض جناحه ، ويلين عريكته ، ويذل للمؤمنين ، ويخص العزة بجعلها على الكافرين ؟ « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »

ألم يناد الدين أعلى جبهة فى البشرية بهذا الامر : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » ؟

الم يعاتب اعظم البشر لانه « **عبس وتولى أن جاءه الاعمى** » وكان ذلك منه عليه السلام اجتهاد نبى لما يرى فيه من مجد الرسالة وعز النبوة ؟

اذن فالدين حرب على هذين ، وفساد الدين عندهما أيسر من فساد نزعتهما ، انها من عمل الشيطان والشيطان عدو مضل مبين .

يريد الرسول عليه السلام النهى عن هذين . والتحذير من شرهما ، ولا شر أعظم ولا ضرر أنكى مما يصيب الدين ويفسده ، فيضرب المثل لحال الامرين مع دين المرء بحال ذئبين خطرين جائعين أرسلا فى غنم .

ماذا يفعل ذئبان جائعان أطلقا فى غنم ؟ أليس الفتك فى شره والسفك فى سفه ؟ انه بقر البطون وفرى القلوب وأشباع النهم . !

صورة حسية تحيل الحب للمال والحب للشرف شخصين جائعين من أشخاص الذئاب العادية ، وتحيل المعانى الدينية والقيم الاخلاقية أشخاصا وديعة آمنة من القطيع تنقض عليها الذئاب فتفسد حياتها وتبيد أمنها .

صورهما الرسول الكريم هكذا ليشغل فكر السامع فى مدى الخطر ، وليستحضر هذه الصورة كلما غره الهوى فأوقع فى نفسه خاطر المال او الشرف ، ليخاف حب المال أو حب الشرف أن يفسد دينه كما يخاف الذئب الجائع صاحب الغنم أن يرى فى غنمه !

ولكننا فوق ذلك الايضاح العام نرى فى البيان الشريف أمورا أدق تقريرا وأوغل فى تأكيد هذا الخطر ، منها ذكر لفظ الحرص دون الحب لان فيه اشارة الى عمل النفس وشحذ انتباهها ، ثم بناء الجملة على نفى التفضيل بين صورة الممثل به والممثل له اثباتا لتمام التشابه بينهما فى مدى الخطورة المنتظرة ، فضلا على ما هيأ هذا النفى من زيادة التاكيد بحرف الجر الزائد داخلا على صيغة التفضيل [بأفسد]

كما نرى أن اتباع النكرة بالوصفين المذكورين عمل له مدلوله ، فالذئب طبعه الفتك والافساد جائعا وشبعان ، ومرسلا ومقيدا ، فهو مخوف على كل حال ، فاذا انضم الى طبعه الجوع ضاعف الخطر وأنذر بالفاجعة ، فوجبت مضاعفة الخوف وتزايد الحذر ، فاذا انخرق السياج وسقطت الحماية فأرسل جائعا فى غنم فليبك على ما اولم به للذئب صاحبها .

كل هذه المعانى فى ألفاظ من الحديث القصير الذى أوجز بهذا القصر وبحذف ما يمكن تقديره ، فان لفساد الذئبين للغنم يقابله فساد حرص المرء على المال والشرف لدينه .

هل يرى المرء حرصه على المال ذئبا جائعا مرسلا . ؟ وهل يرى دينه هو الفريسة المنبو- أمام الوحش الجرىء الجوعان ؟

هذا هو المقياس ليصنع المؤمن حدا يحرزه من فتنة المال وفتنة الشرف الكذوب . !

العواطف بين الإسلام

الدكتور أحمد يونس سكر

من آيات الله الكبرى فى النفس البشرية ما تنطوى عليه من ميول وعواطف ، توجه قوى الافراد والجماعات ، وتكيف سلوكهم ، فاذا الدنيا من وراء ذلك فى تطورها او جمودها ، وفى سعادتها او شقائها : متأثرة الى حد كبير بما تؤدى به عواطف الناس من خير أو شر ، وماتقودهم اليه من صلاح أو ضر .

ولئن كان الدين الاسلامى يخاطب فى الانسان عقله وحكمته ، فانه فى محاولة اصلاحه وتهذيبه : كثيرا ما يستميل فيه عواطفه وأحاسيسه ، ويقوده عن طريقها الى خيره وسعادته .. وهذا ما يدفعنا الى التعرف على العواطف ، والى أى حد يوجهها الاسلام للمصلحة ، علنا ننتفع فى ذلك بمنهجه الذى يدعو دائما الى الحق والى صراط مستقيم .

فالعاطفة كما عرفها بعض علماء النفس « استعداد نفسى ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين » وهذا الاستعداد : هو الميل حبا كان أو بغضا – الى شخص أى شيء ما يحس ازاءه المرء بان قوة خفية تتحرك فى داخله عند وجود هذا الشخص ، وتجذبه اليه أو تنفره منه وبسبب هذا الميل يتلون السلوك الانسانى من قول أو فعل فالطفل مثلا يفتح عينيه على الحياة ، فيرى أمه بجانبه فى كل الاوقات فينفعل بالحب لها كلما رآها : اذا ما جاع وانفعل غاضبا باكيا ، فأسرعت اليه تلقمه ثديها : انفعل لها بالحب والرضا . واذا ما ابتل جسمه والجو بارد فصرخ فخفت اليه تغير ملابسه وتحوله من البرد الى الدفء انفعل مرة ثانية بالحب لها . واذا ما رآها بجانبه ، تهدهده وتداعبه : انفعل معبرا عن ذلك بالبسمة الراضية عنها . واذا ما وقع فبكى فحملته وقبلته وضاحكته انفعل بالسرور لها .. وهكذا يرى فيها على الدوام مصدر أمنه وحمايته وشبعه وراحته .. وبتكرر انفعالات الرضا والميل لها ، تتركز فى نفسه عاطفة الحب لها ، والتعلق بشخصها فتصبح رؤيتها منبعا لسروره وغيابها مثيرا لحزنه ويكبر فتكبر معه عاطفة الحب لها حتى تموت فيحزن عليها أشد الحزن .

وبالعكس فان تعاقب انفعالات البغض نحو شيء معين ، يكسب المرء عاطفة الكراهية لمثير هذه الانفعالات .. فالطفل الذى يبتلى بزوج لامه يقسو عليه مرة بأخذها منه ، واستئثاره بها دونه ، وأخرى بتقطيب وجهه كلما رآه وثالثة حينما يطلب منه شيئا فلا يجيبه اليه ، ورابعة حينما يشتمه أو يضربه تتركز عنده انفعالات الكره حول هذا الرجل فتكون عاطفة البغض له فيظل مثيرا لحقده كلما رآه ، أو سمع صوته ، او جرى ذكره امامه وبنفس هذه الطريقة تتكون العواطف عند الكبار فهذا الحب أو البغض الذى يكتسبه المرء بعد انفعالات متكررة حول موضوع معين هو ما يسميه علماء النفس بالعاطفة أما الاحساس مرة بالحب أو البغض نحو شيء معين فانه يسمى انفعالا .. وعلى هذا يفرق العلماء بين العاطفة والانفعال بأن العاطفة تأثر دائم مستقر ، أما الانفعال فهو تأثر وقتى يعرض ثم يزول .

ولا مانع من تبدل الانفعال الى ضده .. فقد يتأثر المرء فجأة بالحب نحو شيء لسبب ما .. ثم يعقب ذلك كرهه لسبب آخر مضاد .. وكل من الانفعالين انما هو تأثر مؤقت يزول بزوال المثير .. أما تغيير العاطفة من حب مثلا الى بغض فلا يتم الا بعد عناء ووقت طويل يكفى لاثارة عدة انفعالات جديدة مضادة للاولى واقوى منها ثم يستغرق ذلك مدة كافية لتركيز العاطفة الجديدة وازالة العاطفة الاولى .

ومن الامثلة على الانفعالات الطارئة ما جاء فى السنة من أن رجلا مدح آخر أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فقال الممدوح : يا رسول الله انه ليعلم فى اكثر من هذا ولكنه يغمطنى حقى فتلون وجه المادح بالغضب من صاحبه ثم انطلق لسانه يعدد معايبه ويقول : « انه ضيق العطن .. لئيم الخال .. الخ فسأل الرسول المادح عن تحوله من مدحه الى ذمه فقال « يا دسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت ، ثم غضبت فقلت أقبح ما علمت » فقال صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر لحكمة » فمدح الرجل الاول كان انفعالا مؤقتا بالحب زال بزوال المثير له ، وأعقبه انفعال جديد بالكر حينما آثاره صاحبه .. وكان أسلوب المدح المعبر عن انفعال الحب بليغا يفصح عن محاسن الرجل .. وأسلوب الذم المعبر عن انفعال الكره بليغا أيض

علم النفس

يفصح عن معايبه ولهذا شبه الرسول هذا البيان فى قدرته على التلون والتغير : **بتلون المعنى وتغيره :** بالسحر الذى يقلب الحقائق ويبديها على غير صورتها **الاولى .**

ويفرق علماء النفس ايضا بين العاطفة والافكار والتصورات ، فيرون أن العاطفة تدفع صاحبها الى القيام بعمل مابينما الافكار والتصورات تتطرق الى العقل دون أن يترتب عليها عمل على الاطلاق .. ولعلهم يرون أن العاطفة وقد عاشت طويلا مع المرء حتى أصبحت جزءا من كيانه ، وعادة من عاداته ، تؤثر فى قواه العقلية ، فترى الواحد منا بلا شعور يخضع الكثير من أحكامه لهواه .. واذا كان ذلك مجانبا للحق ، فان عقله يحاول أن يصطنع وجهة نظر يبرر بها موافقة تصرفاته للعقل والمنطق .. ومن هنا فلا يصح لنا أن نأمن عاطفتنا على ما توحى به ، وانما يجب أن نحتكم فيها دائما الى الدين امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » .

كما لا يصح أن نأمن تأثير الافكار والتصورات فى العاطفة فانها وان كانت لا تدفع المرء الى القيام بعمل ما الا أنها تؤثر فى العواطف تأثير الشعور الجسدى فيها .. فكما يؤثر الجوع والالم الجسمى فى عواطفنا كذلك تؤثر فيها الافكار والتصورات .

وليس تكرار الانفعال وتركيزه نحو شىء معين بكاف فى ايجاد كل عاطفة .. فقد يكون للتقليد والايحاء اثرهما الفعال فى تكوين العاطفة .. فنشأة المرء فى بيئة تسيطر عليها عاطفة التدين تغرس فيه تلك العاطفة .. ووجوده بين قوم من المناضلين الذين يعتزون بوطنهم ، ويكافحون من أجل تحريره ، يزرع فيه عاطفة حب الوطن ، والتفانى فى الدفاع عنه وقد تنشأ العاطفة عن عاطفة أخرى ، وذلك مايعرف فى علم النفس بالاقتران ، فاذا فقد أحد الناس أباه أشد ما يكون تعلقا به وحبا له ، فان محبته التى تظل مقيمة فى النفس لا تبرحها ، تتلهف على رؤية انسان مماثل له فى شكله ، أو صفاته المعينة فيتعلق به الشخص طالما أتيحت له فرصة اللقاء به ، ويبذل له من الحب والاحترام ما يبذله لابيه وبالتالى يتعلق بالاماكن والاشياء التى كان لابيه ارتباط بها .. والعكس يحدث فى عاطفة البغض ، فاذا ما ابغض المرء شيئا او شخصا أوحى اليه ذلك ببغض ما يشبهه أو يمت له بصلة .

وتختلف العواطف تبعا لاختلاف موضوعها ، فقد تكون مادية اذا كانت موجهة نحو شىء مجسم كحب الوالدين لابنائهما وتعلق التلميذ بأستاذه ، والقارىء بكتابه ، وبغض المرء لمن قتل أباه ، أو اغتصب ماله وقد تكون معنوية كحب المثل العليا من الصدق والامانة والشرف وحب المسلم لدينه ، وتعلقه بربه ، وبغض الشريف للرذيلة ، والحر للعبودية والاستبداد .. وقد تتركز عاطفة الحب فى شخص معين ، وقد تتسع شيئا ما كحب المرء لاسرته أو أقاربه .. وقد تكون عالمية كحبه للانسانية عامة وهنا لا نرى بدا من الحديث عن عاطفتين هامتين هما : عاطفة اعتبار الذات ، والعاطفة السائدة .

أما الاولى فلها جذور عميقة تتصل بغريزة حب الذات ، فالانسان بطبعه يحب نفسه ، ويسعى لها فى الخير أو ما يعتقد أنه الخير ، ويعمل جاهدا على أن يدفع عنها الاذى والضر ، الا أنه قد يسرف فى حبه لنفسه ، فتنشأ عنده الانانية التى تخلق منه فى الوقت ذاته عدوا لغيره .. ومن هنا نرى بعض المتطرفين فى الانانية يمقتون كل من عداهم ، لانهم يحبون لانفسهم الامتياز الدائم على الناس أجمعين .. والحياة ليست بالطبع طوع هواهم فاذا لم يحققوا لانفسهم هذا الامتياز ورأوا أنهم دون الناس استولى عليهم الحقد على كل من تفوق عليهم .. وتقود عاطفة اعتبار الذات الشديدة هذه اصحابها الى احد امرين : **أما العمل الدائب والكفاح المستميت فى سبيل التفوق والامتياز وأصحابها قد يحققون لانفسهم شيئا من الراحة النفسية حينما يصلون الى أغراضهم ولكنهم فى الواقع لا يقنعون بأى هدف أعلى يصلون اليه .. وقد لا يكون أصحابها من ذوى العزائم وأولئك هم المعذبون حقا ، لانهم يصرفون وقتهم فى الغيرة من هذا .. والحسد لذاك والهدم لثالث دون أن يحاولوا استغلال تلك الطاقة الكبرى فيهم فى تحسين أحوالهم .. وبعضهم قد تعوقه ظروف خاصة لا يجد معها حيلة لتحسين حالته فيظل حاقدا كارها لاصحاب النعم وقد تتطور تلك العاطفة الخبيثة فتجعل من المرء عدوا لزملائه أو أهله وأقاربه وقد تخلق منه عدوا للانسانية قاطبة فتراه يضمر الشر لكل مخلوق ، ويصب أذاه على كل من يستطيع لانه يعاني من نار مشتعلة فى نفسه يحاول اطفاءها بكل سبيل فلا يستطيع .**

وقد تحدث علماء النفس عن مظاهر تلك الحالة : بأن أصحابها يشعرون بانقباض فى الصدر ، ونيران فى القلب ، ولهيب بين حنايا الضلوع ، ووخزات فى كافة أنحاء الجسم ، مع ثوران فى الدم الخ وذلك

يدفعهم كثيرا الى ارتكاب الجرائم ، والهدم والتحطيم دون ماتردد أو حساب للنتيجة والمصير • كما دلت بحوث دقيقة اجريت على كثير من المصابين بضغط الدم الجوهرى الذى يسمى بالضغط الخبيث : على أنهم يعانون من أزمات نفسية قوامها العداوة والبغضاء ، كما أن المدمنين على الاحقاد يصابون بأمراض السكر ، وأوجاع القلب ، وقرحة المعدة ، والامساك المزمن ، وعسر الهضم ، وكثير من الامراض الخبيثة التى عرف بعضها الطب الحديث ، وما زال يبحث عن باقيها •

ومن الحق أن نقول : انه بين حالة الحقد الشاذة هذه وبين مجرد الانانية : مراتب تتدرج فى الشدة والخطورة ، ومع ذلك فان أقلها درجة وهى الانانية العابرة لا يسلم أصحابها من شر : ان لم يكن فى بدنهم ففى اضطراب علاقتهم مع الناس ، وفى انعزالهم عن المجتمع ، واجماع الناس حتى للذين ينافقونهم : على استهجان تصرفاتهم ، واحتقار سلوكهم •

والعاطفة السائدة : هى التى تقوى لدى فرد ما عن جميع عواطفه الاخرى ، حتى تصبح هى المسيطرة على نفسه ، والموجهة لقواه ، والمتحكمة فى تصرفاته ، ولذلك يعبر عنها العلماء بالسائدة : اى القائدة والمتسلطة •• ومثل ذلك : عاطفة اعتبار الذات الشاذة التى سبق الحديث عنها ، ومثلها أيضا : أن يسيطر على فرد ما عاطفة حب المال ، بحيث يحبه حبا شديدا ، ولا يفضل عليه شيئا آخر فاننا نرى ذلك الرجل يحب من يساعده على جمع المال ، ويكره من عداه ، حتى انه يحب ابناءه اذا ما ساعدوه على جمعه ، ويبغضهم أشد البغض اذا هم عاقوه عن اكتسابه ، أو بددوا ما حصل عليه ، ويبغض مدينه اذا ما تأخر فى سداد الدين أو جحده •• وقد لا يغضب لكرامته أحيانا ، ولكنه يثور كل الثورة عند الاعتداء على ماله •• واذا كان جمع المال – فى الواقع وسيلة لغاية هى اسعاد صاحبه حينما يستخدمه لقضاء مصالحه ، فان من كانت عاطفته السائدة حب المال : يحافظ فقط – على جمعه ، ويعيش عبدا له لا يشتغل الا بتنميته : أما أنه يمتهنه بالانفاق فذلك عليه أمر صعب ، انه فعله حينا مضطرا فانه يظل يأسى عليه ، ويحاول ان يعوضه بالمزيد من الحرمان وذلك فى عرف علم النفس شذوذ أيضا ، وانحراف بالعاطفة عن مجراها الطبيعى •

وبعد : فليس هناك نظام أدق وأحكم وأسرع فى القضاء على عواطف الشر ، وخلق عواطف المحبة والخير من الدين الاسلامى وان علم النفس وسائر ما فى الارض من علم وفن ، وما يستجد على ظهرها من فلسفات ونظم : كل ذلك ليقف حائرا مبهوتا أمام ما جاء به الدين الاسلامى من تنظيم وتوجيه وعلاج لهذه العواطف والميول •

فلتتصور معى أيها القارىء الكريم : أن العالم الاسلامى قبل الاسلام كان مليئا بعواطف الشرور والاحقاد : ومجردا من كل عاطفة للمحبة والخير ، ولنستعرض معا : كيف يخلق الاسلام من هذا العالم عالما آخر كله محبة وسلام ووئام •

فالبسمة الراضية وطلاقة الوجه والبشاشة : صدقة من المسلم لاخيه المسلم قال صلى الله عليه وسلم : « **تبسمك فى وجه أخيك صدقة** • وقال : « **وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة** » فالصدقة بما لها من ثواب هى أول مكافأة الهية على أول خطوة يخطوها المسلم فى طريق خلق عاطفة المحبة والاخلاص ، ونهى الرسول المسلم أن يرى أخاه مقبلا عليه فيوليه دبره ، ويحرمه من حلاوة اللقاء والمواجهة فقال **ولاتدابروا** » اى لان ذلك يحرمكم من تبادل انفعال الحب والود ولذلك حفزه الى تحيته اذا ما لاقاه وأن تكون التحية بصوت يصل الى سمع اخيه حتى يتم انفعال الحب بينهما فقال « **أفلا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم** » وأمر الله المحيا برد التحية حتى يشارك أخاه شعوره ، وينفعل بانفعاله •• بل حفزه الى أن يرد بأحسن منها اعترافا بالجميل للبادىء بالمحبة والخير وزيادة فى تكثير انفعالات الحب فقال : « **واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** » وقال صلى الله عليه وسلم : « **وارشادك للرجل فى أرض الضلال لك صدقة** » ولا شك أن ارشاد الحائر الذى ينتشله من ضلاله وضياعه :ترجمة لانفعال الحب يبعث به المسلم هدية الى أخيه الذى ربما لم يكن يعرفه • ومبادلة الحائر له ذلك الشعور لا يخلق فيه مجرد الثقة فى الناس فحسب ، بل يرشده بجانب ذلك الى أن يكون عطوفا على الناس خيرا كما كانوا له فى وقت شدته ومحنته •• فانظر معى : كيف لا يهمل الاسلام هذه اللحظات العابرة للقاء بين المسلمين دون أن يبذر فيهم نواة المحبة والالفة •

واذا ماالتقى المسلمون أكثر من لقاء عابر : تلاقوا أيضا على حسن الخلق الذى يجعل منه الاسلام مثيرا لانفعال الحب المتبادل بينهم فيرشد الله الجالسين أن يوسعوا للقادم أو يقوم بعضهم ليجلسه فى مكانه بقوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، واذا قيل انشزوا فانشزوا** » ولا شك أن هذه استثارة لانفعال الحب والاحترام من القادم حينما يجد عطف اخوانه واحترامهم يلقاه مرحبا •• ويشترى المسلم ويبيع ويقتضى من أخيه حقه فيكون مأمورا أن يكون فى كل ذلك سمحا ، ويعايش أخاه فيؤمر أن يكون متواضعا عادلا ويصطدم به فيؤمر بالصفح عنه والعفو ، والصفة العامة المفروضة فى المسلمين ان يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان وكل ذلك يزيد من انفعالات الحب بينهم •• أفلا يصل بهم هذا الى تثبيت عواطف المحبة والالفة بينهم ؟

ولا يقف الاسلام عند ذلك : بل لا يزال يلح على تنميه عاطفة المحبة وسقى شجرتها حتى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فالهدية يشرعها الاسلام لان فيها جلبا لعاطفة المحبة ٠٠ وعيادة المريض مشروعة لمثل هذا ومشاركة المسلم أخاه فى السراء والضراء لذلك أيضا مندوبة « فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » و « مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر » كما حدثنا الرسول فهل يبقى من بعد ذلك فى القلب موضع يخلو من العطف فتقفز اليه البغضاء انه لو خلا فهناك امور فى غاية الخطورة تتوقف على وجود عاطفة المحبة بين المسلمين فان شاءوا ألا يتحابوا فهذه وحدها تكفل لنا تحابهم !!

فالمسلم لا يكون مسلما حقا الا اذا أحب لاخيه ما يحب لنفسه قال صلى الله عليه وسلم : « وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما » ولايؤمن وهو لايحمل لاخيه هذه العاطفة قال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ٠

ومن كانت فيه تلك العاطفة وجد حلاوة الايمان لقول الرسول « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله وأن يكره أن يعود الى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار والله يؤكد أنه محب لمن يتبادلون الحب فيه بقوله « وجبت محبتى للذين يتحابون من أجلى » ومن السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله « رجلان تحابا فى الله تعالى : اجتمعا عليه ، وافترقا عليه » ٠

ولذلك فقد شرع الاسلام محافل عامة يحتفل فيها المسلم بلقاء اخوته على كلمة الله : فى الصلاة جماعة : خمس مرات فى اليوم والليلة وفى الجمعة مرة من كل اسبوع وفى العيدين مرتين كل عام ٠٠ وفى الحج يكون المؤتمر العالمى السنوى الذى يشهد الدنيا على أن الاسلام دين أمن ومودة وسلام لانه يجمع المسلمين من شتى بقاع الارض ليلقنهم دروسا فى الاخوة العالمية والمحبة العامة لينشروا من بعد ذلك السلام فى كل جنبات الارض ويطهروا العالم من الحقد والكراهية والنزاع ٠

واذا كان الاسلام بذلك يسبق علم النفس الاجتماعى فى تكوين العواطف العامة بين المجتمع والمجتمعات والشعوب فانه يحرص أشد الحرص على تكوين العواطف الخاصة بين الافراد فيوصى الولد بوالديه احسانا ويوصى الوالدين بأن يكونا راعيين لابنائهما ويجعلهما مسئولين عن رعيتهما كما جاء فى السنة ويعتبر القرآن قطع الرحم قرين الفساد فى الارض بقوله تعالى « فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم » ٠

ومن ناحية اخرى : يحرم الاسلام كل مايجر الى الكراهية والبغضاء بين المسلمين حتى لا تموت اخوتهم ويحتاط فى ذلك أشد الاحتياط حتى انه يحرم الافكار والتصورات التى ربما أدت الى الاحقاد فسوء الظن وهو لايعدو أن يكون فكرا : محرم على المسلمين لتأثيره فى ايجاد العداوة والبغضاء ، والحسد أيضا محرم لانه مبنى على عاطفة اعتبار الذات ولا يقرها الاسلام بل يمقتها ويجتثها من جذورها بما يشرع من الايثار والتضحية بين المسلمين ٠

وفى تحريم الاسلام لما فوق هذه التصورات والافكار نراه يسلك طرقا ثلاثة مندرجة من الاخف الى الاشد ليحسم بها باب هذا الشر ٠

ففى الطريق الاول : ينهى المسلم عن السخرية والاستهزاء والاغتياب للمسلمين : لان ذلك أول ما تهتز به مكانة المسلم فى قلب أخيه ، فحيثما كان الاحترام متبادلا كان الحب ممكنا ، أما اذا حل محل الاحترام الامتهان بهذه الطريقة فان المهان لاشك غاضب لكرامته التى تمس ٠٠ وأقل انفعال يقابل به المعتدى عليه هو الحقد عليه ، وكراهيته والغيبة تؤكد للمعتدى عليه مدى الكراهية التى يحملها له قلب أخيه ومدى الاستخفاف أيضا به والعبث بكرامته من وراء ظهره فيتأثر من ذلك قلبه ثم يتم النفور بينهما ٠٠ ولهذا حرمت الشريعة الحكيمة هذه الخصال على المسلمين وفى الطريق الثانى : ينهى المسلم عن منافسة أخيه التنافس الضار ـ فى الحصول على مصالحه فيحرم عليه البيع على بيعه والشراء على شرائه والخطبة على خطبته وكل ما يعترض مصلحته بعد أن استقرت له لان تفويت الفرصة على أخيه بعد أن سنحت له يثير فى المعتدى عليه انفعال البغض وخوفا من تبادله وتطوره بينهما حتى ينتهى الى عاطفة راسخة من الكراهية حرم الاسلام تلك التصرفات ٠

وفى الطريق الثالث : ينهاه عن الاعتداء الحقيقى على عرض أخيه أو ماله أو دمه لان ذلك يثير الحقد بين المسلمين بأفظع مايتصوره متصور ولذا وردفى تحريمه قوله صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله ، وعرضه » واذا عرفنا أن ارتكاب أعظم الجنايات يترتب على استباحة هذه الامور أدركنا ما يكمن وراء الجناية من حقد وبغضاء وفهمنا كيف جاء التحريم الجازم الذى لاترخص فيه ولا استثناء ٠

ويعالج الاسلام داء البغضاء بتشريعات تمنع وقوعه بمنع سببه من الاصل ، وبأخرى تجتثه من القلب بعد أن وقع وتمكن منه ٠

فمن النوع الاول : المنع من تفضيل أحد الابناء على

اخوته والعمدة فيه قول الرسول مستنكرا لمن فعل ذلك أكل ولدك نحلته هكذا ؟ وكان يريد أن يخص أحدهم ببستان دون اخوته ـ ولما قال الرجل لا قال له الرسول اشهد على هذا غيرى فانى لا أشهد على جور وفى رواية « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وعلة المنع واضحة وهى أن المحروم سيبغض أباه وأخاه فيكون الاب بفعلته قد خلق العداوة والبغضاء بين أسرته وقد اشار الى ذلك الرسول بقوله : أتود أن يكونوا فى الحب سواء ؟ ومعنى هذا أن تفضيله لواحد لا يجعل الاخر محبا له مثل أخيه ومن ذلك أيضا : المنع من تفضيل احدى الزوجتين على الاخرى لان تفضيل احداهما يثير حقد الاخرى وينمى عداءها .

ومنه : عدم اجبار البكر البالغة على الزواج بمن لا تحب لانه سيكون مثيرا دائما لاحقادها وآلامها .

فقد ذهبت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان أبى يريد زواجى من ابن اخ له ليرفع بى خسيسته وانى له كارهة فأراد أن يتأكد من رغبتها بمزيد من الحوار فقال : أجيزى ما صنع أبوك فقالت : لا رغبة لى فيما صنع أبى فقال لها : اذهبى فانكحى من شئت فلما تأكد من عدم رغبتها صرح لها بمنع شر سيقع بها وهو الكره الذى لا يقره الاسلام .

ومن النوع الثانى أن امرأة ثابت بن قيس كرهته وأرادت أن تتخلص منه فشكت للرسول صلى الله عليه وسلم ما تحمله له فى قلبها من الحقد والبغضاء وصرحت له بأن بقاءها على زواجه وهى غير مخلصة له كفر بنعمته فقالت وانى أكره الكفر فى الاسلام .. وقالت فى رواية أخرى « لقد رفعت طرف خبائى فنظرت اليه وهو قادم بين القوم فاذا هو أسودهم وجها وأقصرهم قامة .. وانى لا أريده فقال صلى الله عليه وسلم : تردين عليه حديقته فقالت نعم فقال لثابت : « اقبل الحديقة ، وطلقها تطليقة » ففعل فبهذا الطلاق توقف تيار العداوة والبغضاء وانتهى بانتهاء المثير .

ولذلك شرع القصاص والحدود فى الاسلام : فالذى قتل أبوه أو أخوه مثلا يظل يحمل من الحقد للقاتل ما يحمل فرحمة به ـ وهو المظلوم ـ جعل له الشارع الحق فى القصاص لينفس عنه ضغط الحقد وضرره .. ومن سرق ماله لا يمنع حقده على السارق الا قطع يده ورد المال اليه .. ومن اعتدى على العرض بالقذف يريح المقذوف من حقده عليه أن يرى هذا الذى شهر به وفضحه : مجلود مردود الشهادة .. وبرجم الزانى أو جلده يخف عن المعتدى عليه شىء من الحقد والبغض له .. وهكذا نرى الاسلام يتعقب هؤلاء المعتدين بالعقاب قضاء على الاحقاد ومنعا لاتساع دائرة الجريمة وتسلسلها فقد توسع بالتالى من دائرة العداوة والبغضاء ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا : أن الاسلام حرص على وجود المحبة بين الناس فأثار بتعاليمه المتكررة غريزة المحبة حتى تتركز بهذا التكرار وتنتهى الى العاطفة الثابتة القوية وفى سبيل ذلك يحرم كل ما يؤدى الى العداوة والبغضاء ويعالج ما تورط الناس فيه من ذلك .. وبهذا نراه ينشىء الفرد العطوف على غيره والمجتمع المترابط المتآخى الذى لا يشكو من أمراض الكراهية ولا يتنازع بسببها ويتقاتل ولا تكون عند فرد ما عاطفة خبيثة سائدة وان كان الاسلام يعمل على سيادة عاطفة ما فهو يعمل على سيادة محبة الله التى هى اصل محبة كل الناس والتى أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بها فى قوله « أحبوا الله لما حباكم من نعمة » .

من عظات لقمان

قال لقمان لابنه [وهو يعظه] : يا بنى اذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس ، فان افاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم ، وان أفاضوا فى غير ذلك فتخل عنهم وانهض .

وقال : يا بنى استعن بالله من شرور الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

ومثل هذا قول أكثم بن صيفى : احذر الامين ولا تأمن الخائن ، فان القلوب بيد غيرك .

وقال لقمان ايضا : يا بنى ، لا تركن الى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بها ، فانك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقا أهون عليه منها ، فانه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للعاصين .

يا بنى لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك ، فان مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما تركت .

يا بنى ، ان من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

يا بنى ، زاحم العلماء بركبتيك ، وانصت اليهم بأذنيك ، فان القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الارض الميتة بمطر السماء .

دراسات في فقه الحديث ومذهب المحدثين

ابن عمر

الدكتور عبد الحميد محمود

حاولنا فى المقال الماضى أن نتعرف على ملامح الشخصية الفقهية لابن عباس رضى الله عنه ، حيث آثرناه بمزيد من البيان ، بعد أن أجملنا الخطوط العامة لرواة الحديث من الصحابة ووصفنا الملامح الرئيسية لفقههم .

ونرى لزاما علينا – لتتضح الصورة ، وتتميز الفروق – أن نذكر ابن عمر كطرف مقابل لابن عباس ، فنختصه بكلمة تجلى لنا جوانب من شخصيته ، وتكشف لنا عن بعض اتجاهاته فى الفقه .

وأول ما يطالعنا من شخصية ابن عمر حرصه الشديد على السنة وتمسكه بها ، واقتداؤه بالرسول صلى الله عليه وسلم اقتداء تاما لا استثناء فيه ، حتى لقد رأى معاصروه أنه بالغ فى هذا ، فقد (ذكر نافع أن عبد الله تتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وأفعاله حتى كأنه خيف على عقله)

ومن أمثلة تحريه وحمله نفسه على أن يكون سلوكه مطابقا سلوك النبى صلى الله عليه وسلم ما يرويه مجاهد أنه كان مع ابن عمر فى سفر « فمر بمكان فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت » .

وقد روى أنس بن سيرين أنه كان مع ابن عمر فى عرفات فلما أفاض الامام أفاض معهم ، ثم أناخ ابن عمر فى مكان ، فظنوا أنه نزل يريد الصلاة ، (فقال غلامه الذى يمسك راحلته : انه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى هذا المكان قضى حاجته ، فهو يحب أن يقضى حاجته) !

وقد عرف ابن عمر بهذا الحرص الشديد على الاقتداء والتأسى ، وذاعت شهرته بذلك ، حتى غلب على ظن كثير من الناس ، أن ما يصدر عنه من أفعال وتصرفات يمثل صورة من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وتصرفاته ، وكان ابن عمر يعلم أنه لتأسيه بالرسول صلى الله عليه وسلم صار قدوة ، ولهذا كان يحرص – اذا صدر منه فعل ليس متابعا فيه للرسول على أن ينبه الناس اليه ، مثل ماروى أنه أمر أصحابه أن يمسحوا على خفافهم ، ولكنه خلع نعليه وغسل رجليه ، ولما خشى أن يظن الناس أنه يفعل هذا عن سنة قال : [حبب الى الوضوء ، وقال : انى لمولع بغسل قدمى فلا تقتدوا بى) .

وكما كان عبد الله بن عمر حريصا على تتبع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله كان حريصا على حفظ حديثه ، ينقله بلفظه ، دون زيادة أو نقص . وينقل لنا أبو جعفر محمد بن على بن أبى طالب هذا الجانب من شخصية ابن عمر فيقول : (لم يكن أحد من الصحابة اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا – أحذر ألا يزيد أو ينقص منه ، ولا ، ولا .. من ابن عمر)

أما سرعة استجابته للحديث وأخذه به وقلة نقده اياه – فهى ظاهرة واضحة عند ابن عمر واذا كان ابن

عباس ببلاغة الحديث فيما يخالف اجتهاده ، فيعلله أو يؤوله – كما سبق فى المقال الماضى – فان ابن عمر على العكس من ذلك ، متى يبلغه الحديث يرجع اليه دون معارضة ودون ضرب الامثال له ، كما أخذ ذلك أبو هريرة على ابن عباس •

ولعل أوضح مثال يؤكد هذا الفرق بينهما هو ما أثر عنهما فى حكم المزارعة واختلاف موقفهما حيال ماروى فيها : فقد كان شائعا اجارة الارض ببعض ما يخرج منها حتى حدث بعض متأخرى الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنها • فماذا كان موقف هذين الصحابيين الجليلين من هذا النهى ؟ أما ابن عباس فقد نقد ماروى فى المزارعة وعلله بسهو الراوى أو بعدم احاطته بالظروف التى قيل فيها الحديث ، فلم يعمل بما روى فيها •

وأما ابن عمر – فمع تشككه فى صحة الحديث فيها ، لمناقضته لما مضى عليه العمل فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، ولما كان يعلمه من اقرار النبى صلى الله عليه وسلم هذا التعامل عندما عامل أهل خيبر على نصف مايخرج من الارض – فانه لم يسعه الا أن يأخذ بالنهى ، ويمتثل له ، ويفضل أن يتهم نفسه ولا يتهم الرواية :

فقد روى البخارى عن نافع (أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يكرى مزارعه على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وصدرا من امارة معاوية ، ثم حدث عن رافع بن خديج أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كراء المزارع ، فذهب ابن عمر الى رافع ، فذهبت معه ، فسأله ، فقال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كراء المزارع • فقال ابن عمر : قد علمت أنا كنا نكرى مزارعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على الاربعاء وبشىء من التبن)

ان هذه الرواية توضح شك ابن عمر فى صحة هذا الحديث وتشير الى القلق والصراع الذى نشب فى نفسه بين قبول الحديث أو رفضه فماذا كانت نتيجة هذا الصراع ؟

ان الرواية التالية تبين أن هذا الصراع قد انتهى الى مايتسق مع شخصية ابن عمر ومنهجه من أخذ بالحديث وامتثال له ، فحرم المزارعة على نفسه ، على الرغم من الظواهر التى تشكك فى صحة الحديث ، وترجح غلبة الوهم أو الخطأ فى روايته • فقد روى البخارى عن (سالم أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنت أعلم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أن الارض تكرى ، ثم خشى عبد الله أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد أحدث فى ذلك شيئا لم يكن يعلمه ، فترك كراء الارض) •

ولعل ورع ابن عمر وحيطته لدينه هى الدافع الاهم فى اتجاهه هذا بل هى الضوء الذى يكشف لنا كثيرا من سلوكه وتصرفاته • فكان هذا الورع يحمله على أن يترك بعض الحلال مخافة أن يقترب من الحرام • وقد روى مالك عنه أنه قال : (انى لا أحب أن أجعل بينى وبين الحرام سترة من الحلال) ، كما كان هذا الورع يحمله على التشديد على نفسه وعلى غيره •

وقد ذكر ابن القيم بعض مسائل تبين شدة ابن عمر وميله الى الاحتياط ، موازنا بينه وبين ابن عباس فى هذا :

فابن عمر كان يصوم يوم الشك احتياطا ، وكان ابن عباس لا يصومه ، بل كان ينكر على ابن عمر فى صيامه قائلا : (عجبت ممن يتقدم الشهر بيوم أو يومين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين »)

ثم يقول ابن القيم معقبا : (وكذلك كان هذان الصاحبان الامامان : أحدهما يميل الى التشديد والاخر الى الترخيص فى غير مسألة • وعبد الله بن عمر كان يأخذ من التشديدات بأشياء لا يوافقه عليها الصحابة :

فكان يغسل داخل عينيه فى الوضوء حتى عمى من ذلك •

وكان اذا مسح رأسه أفرد أذنيه بماء جديد •

وكان يمنع من دخول الحمام ، وكان اذا دخله اغتسل منه ، وابن عباس كان يدخل الحمام •

وكان يتيمم بضربتين : ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين ، لا يقتصر على ضربة واحدة ولا على الكفين ، وكان ابن عباس يخالفه ويقول : التيمم ضربة للوجه والكفين •

وكان ابن عمر يتوضأ من قبلة امرأته ويفتى بذلك ، وكان اذا قبل أولاده تمضمض ثم صلى ، وكان ابن عباس يقول : ما أبالى قبلتها أو شممت ريحانا •

وكان اذا أدرك مع الامام ركعة أضاف اليها أخرى ، فاذا فرغ من صلاته سجد سجدتى السهو • قال الزهرى : ولا أعلم أحدا غيره فعله ، وكان هذا السجود لما حصل له من الجلوس عقيب الركعة ، وانما محله الشفع •

وهذا الورع ذاته كان من العوامل التى دفعت ابن عمر الى الاقلال من الفتوى ، والى كثرة اجابته بقوله : [**لا اعلم**] ، كما كان سببا فى ميله الى الظاهر فى أغلب الاحيان ، **وحرصه على اللفظ دون تأويل له أو نظر الى المعنى •**

لكن هذا الاتجاه الى الظاهر لم يكن مذهبا ملتزما لا يعدل عنه ، بل كان الامر مرتبطا بمدى الاطمئنان النفسى والاخذ بالاحوط • فلو اقتضى الورع والاخذ بالاحوط أن تصرف الالفاظ عن ظاهرها وأن تتجاوزه الى المعانى المقصودة من ورائها فان الظاهر حينئذ يطرح ولا يلتزم :

ولعل أبرز مثال لذلك ينبىء عما وراءه هو ماروى عنه فى (الايلاء) • وهو فى اللغة : الحلف والقسم

البقية ص ٨٦

الصوفية فى إلهامهم

الإنسان وعمله

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

« وكل فرد مسئول عن عمله ، فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون ، الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ماكان لله ، فلا أنا مسئول عن عمى ابن أبينا آدم ولاخالى واخو بنت أمنا حواء مسئول عنى » .

جاءت تلك الكلمات فى رسالة من رسائل سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه الى تلميذه وأخى فى الله الصديق الصالح السيد / سالم جمعة متعه الله برضاه ورزقه العفو والعافية ، وهى تشرح لنا معنى قوله تعالى فى سورة الاسراء « **من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ...** » ولئن كان الناس جميعا من أصل واحد وهو آدم وحواء عليهما السلام الا انهم افترقوا فى المسالك فمنهم مؤمن وكافر ومطيع وعاص وسعيد وشقى ، ويوم القيامة يجرى حسابهم وجزاؤهم ، فلا يجزى والد مؤمن عن ولده الكافر ، ولا المولود المؤمن عن والده الكافر ، **لان الانساب لا تنفع** مع قطع الاسباب ، والكفر قاطع للاسباب مع قيام الانساب ، ودليل ذلك واضح فى كتاب الله عز وجل فقد قال سيدنا نوح عليه السلام شافعا لابنه الذى استحب العمى على الهدى « **ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين** » فقال تعالى ردا على هذه الشفاعة فى سورة هود « **يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين** » فقال سيدنا نوح عليه السلام فى أدب المرسلين الكرام « **قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين** » . فكرمه ربه قائلا : « **قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم** » .

فانظر رعاك الله كيف فرق الله بين مآل الايمان ومآل الكفر ، وكيف قطع الله صلة الدم بالكفر الذى أصر عليه ابن سيدنا نوح فلم يقبل فيه شفاعة أبيه وعلل ذلك بقوله الكريم « **انه عمل غير صالح** » ، ثم انظر كيف حذرنا الله بهذه القصة فى خطابه الكريم لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعد ذلك فى السورة ذاتها « **تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين** » والتقوى لا تقوم الا على أساس الايمان المتين ، ولقد أسس المنافقون مسجد الضرار بالمدينة المنورة وظنوا أنهم يستترون بالمسجد من نفاقهم وسوء طويتهم فكشف الله امرهم لمولانا رسول الله ونهاه عن أن يقوم فيه ، فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بهدمه ويحكى الله تعالى فى سورة التوبة قصة ذلك المسجد فى قوله تعالى « **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن أن أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم** » .

«و يحكى السادة الصوفية فى مقام الايمان أن بعض السلاطين زار ضريح سيدى ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه وقال : هل هنا أحد ممن اجتمع بأبى يزيد ؟ فأشاروا الى شيخ مسن كان حاضرا هناك ، فسأله السلطان : هل تذكر شيئا مما قال أبويزيد ؟ قال : نعم ، انه قال من زارنى لا تحرقه النار ، فعجب السلطان من ذلك الكلام وقال : كيف يقول أبو يزيد ذلك وأبو جهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم وتحرقه النار .

فقال الشيخ للسطان معلما : ابو جهل لم ير النبى صلى الله عليه وسلم انما رأى « يتيم أبى طالب » ولو رآه رسولا كريما ، صلى الله عليه وسلم ، ماكان من أهل النار ، فأعجب السلطان بكلام الشيخ ، وفهم أن العبرة ليست برؤية العين انما هى بالايمان والتصديق والاتباع .

وأفضل النعم وأجلها نعمة الايمان بالله تعالى ، ثم نعمة الرسول وتصديقه ، ويترتب على التصديق الانتفاع بالكتاب والسنة والجماعة ، فنكون فى أمة الاجابة التى قال تعالى فى شرفها « **كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .ويقول الامام سهل التسترى رضى الله عنه .

خص بمعرفة النعم وبمعرفة عظيم حلم الله تعالى وستره الصديقون ، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم** » فتمت النعمة بوصفيه اللذين هو لهما أهل من المغفرة والرحمة . ثم قال تعالى فى الانسان « **ان الانسان لظلوم كفار** » فالعبد أهل للظلم والكفر الى أن يجود عليه ربه بالتقوى والمغفرة بقديم مابه تولاه ، فبنعمته أطاعه العاملون ، ومن نعمته جازاهم ، وبنعمته ستر على الجاهلين وحلم عنهم ، ومن نعمته اظهار الجميل وستر القبيح ، فلا ندرى أى النعمتين اعظم جميل ما أظهر او قبيح ما ستر ، وقد مدحه المادحون بالوصفين معا فى الدعاء المأثور : **يامن أظهر الجميل وستر القبيح**

ويروى الامام أبو طالب المكى عن بعض السلف : يقول الله عز وجل ان عبدا أغنيته عن ثلاث فقد أتممت عليه نعمتى : عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى يد اخيه . ورد النعمة الى الله من فقه المؤمن بدينه فانه اذا رد النعمة الى الله لم يمن على ربه بعمل صالح يوفق اليه من فضل الله ، وصدق الامام ابن عطاء السكندرى رضى الله عنه حين يقول فى حكمه : اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب اليك وهو فى حكمته هذه يستنير بقوله تعالى « **وما بكم من نعمة فمن الله** » .

ومن نعم الله علينا أن جعلنا فى الايمان مسئولين عن أنفسنا فلا يأخذ الولد بكفر أبيه ولا يأخذ الوالد بكفر ابنه بل « **كل امرىء بما كسب رهين** » وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، وقد اشترك عبدان فى اسم المعصية ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة ، فتاب الله على سيدنا آدم عليه السلام حيث قال تعالى فى نهاية أمره « **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** » وكانت نهاية ابليس « **فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين** » ونعوذ بالله من غضب الله ومن سوء الخاتمة .

والايمان علم وعمل يزيد وينقص ، وليس المقصود بزيادته ونقصه جوهره وانما متعلقاته من العبادات والمعاملات ، وخير المسلمين ايمانا الصحابة الكرام من المهاجرين والانصار ، وقد

تسمى الله المهاجرين باسم الصادقين وتسمى الانصار بالمفلحين ؟ رضى الله عنهم اجمعين ، وترى ذلك فى سورة الحشر فى قوله تعالى « **للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** » ، وتدرك من الايتين ماكان بين الفريقين من مودة وتراحم برابطة الأخوة فى الله فقد اجتمعوا على كلمة التوحيد وكانوا أحق بها وأهلها فجعلتهم يدا واحدة وقلبا واحدا على من سواهم كما وصفهم الله فى قوله تعالى « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » .

ولم يقف الترابط فى الله عند المهاجرين والانصار بل تعداهم الى من جاءوا بعدهم فقال تعالى فى ذلك الترابط الدائم « **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم** »

ومن آثار المحبة فى الله أن يحسن المؤمن ظنه بأخيه ولا يحسده على نعمة الله بل يشيد بها ، وقد سئل أمامنا على بن أبى طالب ان يصف اصحابه ، فقال عن أيهم تسألون ؟ قالوا عن سلمان ، قال ادرك علم الاوائل والاواخر ، قالوا : فعمار ؟ قال ملىء ايمانا الى مشاشه ، قالوا : وحذيفة ؟ قال صاحب السر أعطى علم المنافقين ، قالوا : فأخبرنا عن نفسك ، فقال متحدثا بنعمة الله : اياى أردتم ؟ كنت اذا سألت أعطيت ، واذا سكت ابتدئت ، أى اذا سأل الله أعطاه ، واذا سكت لم يحرمه من فضله .

ومع فضل كلمة التوحيد فى الدنيا والاخرة ، فان المؤمن مطالب بعمل الصالحات وترك السيئات والا عرض نفسه للنار التى أعدها الله للكافرين « **واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** » . وقد أخرج الطبرانى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين : الم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلى قالوا : فما أغنى عنكم الاسلام وقد صرتم معنا فى النار ، قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا ، فأمر بمن كان فى النار من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما راى ذلك من بقى من الكفار قالوا : ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ، قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « **الر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** » .

وقد خاف السادة الصوفية عاقبة المعاصى ، لانها تعرضهم لغضب الله وهم يرجون رضاه ، ويطمعون فى عفوه وحسن جواره ، وهم لذلك يكثرون فى حياتهم الدنيا من ذكر الموت وما بعده ، حتى تنضج بالخوف نفوسهم فتأتمر بأوامر الله وتنتهى بنواهيه سبحانه ، ومن خاف الله فى الدنيا أمن من عذابه فى الاخرة لانه تعالى لا يجمع على عبده خوفين ، ولمن خاف مقام ربه جنتان ، ولا يتأتى خوف الله الا بكف النفس عن هواها « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى** » .

ويقول سيدى الامام الحارث المحاسبى رضى الله عنه فى كتابه « التوهم » مذكرا بالموت وما بعده :

٣١ كتاب

« فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها الا الى الحشر الى ربك ، فتوهم نفسك فى نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وغمه وقلقه ، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك ، ثم تدارك الجذب واستحث النزع وجذبت الروح من جميع بدنك ، فنشطت من أسفلك متصاعدة الى أعلاك حتى اذا بلغ منك الكرب منتهاه ، وعمت آلام الموت جميع جسمك ، وقلبك وجل محزون مرتقب منتظر للبشرى من الله عز وجل بالغضب أو الرضا ، وقد علمت انه لا محيص لك دون أن تسمع احدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك ، فبينما أنت فى كربك وغمومك وألم الموت بسكراته وشدة حزنك لارتقابك احدى البشريين من ربك ، اذ نظرت الى صفحة وجه ملك الموت باحسن الصورة أو بأقبحها ؟ ونظرت اليه مادا يده الى فيك ليخرج روحك من بدنك ، فذلت نفسك لما عاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت ، وتعلق قلبك بما يفجؤك من البشرى منه اذا سمعت صوته بنغمته أبشر ياولى الله برضا الله وثوابه ، او ابشر يا عدو الله بغضبه وعقابه ، فتستيقن حينئذ بنجاتك وفوزك ويستقر الامر فى قلبك ، فتطمئن الى الله نفسك ، أوتستيقن بعطبك وهلاكك ويحل الاياس قلبك وينقطع من الله عز وجل رجاؤك وأملك :.

وينقلنا سيدى الامام الحارث المحاسبى بخياله الى هول يوم القيامة فيقول رضى الله عنه :

... فتوهم اصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم ، فينفرد كل واحد منهم بنفسه ينادى : نفسى نفسى ، فلا تسمع الا قول نفسى نفسى . فيا هول ذلك وأنت تنادى معهم بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه ، فما ظنك بيوم ينادى فيه المصطفى آدم والخليل ابراهيم والكليم موسى والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله عز وجل وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل ، كل ينادى : نفسى نفسى ، شفقا من شدة غضب ربه ، فأين أنت منهم من اشفاقك فى ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم ويحزنك ويخوفك ؟

« حتى اذا أيس الخلائق من شفاعتهم لما رأوا من اشتغالهم لانفسهم اتوا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فسألوه الشفاعة الى ربهم فأجابهم اليها ، ثم قام الى ربه عز وجل واستأذن عليه فاذن له ثم خر لربه عز وجل ساجدا ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله ، وذلك كله بتسمعك واسماع الخلائق حتى أجابه ربه عز وجل الى تعجيل عرضهم والنظر فى أمورهم ، فبينما أنت مع الخلائق فى ظلمات القيامة وشدة كربها فتنظر متوقعا لفصل القضاء والحلول فى دار النعيم أو الحزن اذ سطع نور العرش وأشرقت الارض بنور ربها ، وأيقن قلبك بالجبار ، وقد أتى لعرضك عليه حتى كأنه لا يعرض عليه أحد سواك ، ولاينظر الا فى أمرك ..

ويوجهنا شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه الى الجمع بين الخوف والرجاء فيقول فى الهامه النورى الذى نقلناه عنه :

من عاش يدعو ربه   ونفسه مطهرة
فانه فى حشره   يحمد حسن المغفرة
لا تيأسوا من روحه   فاليائسون كفرة
او تأمنوا من مكره   فالامنون فجرة
مابين خوف ورجا   تعبد نفس حذرة

ونقلنا عنه كذلك قوله رضى الله عنه :

أنا مذنب واحسرتى   أنا ما نسيت حسابيه
بل خائف يأتى الحساب   وما أمنت عذابيه
يارب أنت علمتنى   لم تخف منى خافية
سقمى يزيد وانما   آيات عفوك شافية
ان كان جسمى بالفنا   ء سقوفه متداعية
فالروح بعد فنائه   فى الخلد شمس سامية

ونقلنا عنه قوله رضى الله عنه :

يا ايها الناس اتقوا ربكم   فان هول الحشر هول شديد
اعتبروا بمن قضوا قبلكم   فالموت فوق راس كل العبيد
وكلنا بعد الردى صائر   اما شقى ضائع او سعيد
والعيش فى الدنيا له منتهى   والعيش فى الاخرى سما بالخلود
اتركوا غيكم وكونوا جنودا   للذى فى حماه عز الجنود
كل شىء يحد غير هواه   لم تحطه من القلوب حدود

ويرى السادة الصوفية أن ترك المعاصى علامة على صدق العبد فى محبته لربه ومن أقوالهم فى ذلك : أعمال البر يعملها البار والفاجر ، والمعاصى لا يتركها الا صديق . وفى وصية سيدنا أبى بكر لسيدنا عمر رضى الله عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله

مرىء ، والباطل خفيف وهو مع خفته وبىء ، فان حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك ، وان ضيعت وصيتى لم يكن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه ،

وفى تفسير قوله تعالى « **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** » ، يقول السادة الصوفية ، اذا كنت فى بلد يعمل فيها بالمعاصى فتحول منه الى غيره . كما يقول السادة الصوفية فى الربط بين قوله تعالى « **ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى** » وبين قوله تعالى « **لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم** » ان العصمة منه تعالى لعبده من المعاصى دليل على الرحمة منه سبحانه ، ثم تدخله الرحمة فى مقام المحبة .

ويقول السادة الصوفية فى الفرق بين أهل الهدى وأهل الضلال بعث الله النبيين للناس ليعبدوه ، ففريق عبد الله على نسك وتقربوا ، وفريق زاغوا عن الحق مبعدين ، فأما الذين عبدوه خاضعين فسيرفعهم الله الى مشهد الضياء ، فيدخلون فى صفوف العزة ، ويقدسهم الله بطهارته ، فاذا هم عند الله فى النعيم دائمون . وأما الزائغون فيلقى عليهم الذل .

وهم على الرؤوس تحت حجاب الظلمات ناكسون ، فسبحان الذى برزت له الذوات الصالحات فوهب لها البسطة فآبوا الى قومهم مكرمين .

وعند قوله تعالى فى سورة فاطر « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » يقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات :

« من كان يريد العزة بنفسه فليعلم أن العزة بجملتها لله ، فليس للمخلوق شىء من العزة ، ويقال : من كان يريد العزة لنفسه فلله العزة جميعا أى فليطلبها من الله ، وفى آية اخرى اثبت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وقال هاهنا « **فلله العزة جميعا** » ووجه الجمع بينهما أن عز الربوبية لله وصفا ، وعز الرسول وعز المؤمنين لهم فضلا من الله ولطفا ، فاذن العزة لله جميعا . واستطرد رضى الله عنه يقول : وعزه سبحانه قدرته ، أو يقال العزيز هو القاهر الذى لايقهر ، فيكون من صفات فعله على أول القولين ، ومن صفات ذاته على القول الاخر .

« .. **اليه يصعد الكلم الطيب** » الكلم الطيب هو الصادر عن عقيدة طيبة ، يعنى الشهادتين ، عن اخلاص ، وارد به صعود قبول . « والعمل الصالح يرفعه اى يقبله . ويقال العمل الصالح يرفع الكلم الطيب . ويقال الكلم الطيب ما يكون موافقا للسنة . ويقال هو نطق القلب بالثناء على ما يستوجبه الرب . ويقال هو ما يكون دعاء للمسلمين .. »

وقد حدثنى سيدى الوالد رحمه الله ، وكان من الصالحين ، أوسع الله له فى رضوانه ، أنه فى حجته الاولى رأى فى المنام وهو بمكة المكرمة رعاها الله تعالى أن قائلا يقرأ عليه الاية الكريمة « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** .. » فقام من نومه مسرورا مستبشرا وبعد قليل نسى الاية وحاول جاهدا ان يستذكرها فلم يذكرها ، ثم قصد بيت الله الحرام وهو مشغول البال باستذكار الاية فجلس يشاهد الكعبة الغراء واذا بقارىء يجاوره يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويقرأ مبتدئا « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** .. » فكان سروره بالغا بتذكرها ، ولما ختم القارىء قراءته سأله عن السورة حتى يبحث عنها اذا نسيها مرة أخرى فقال له أنها فى سورة فاطر . وكأنما أراد سبحانه وتعالى أن يبشره بالقبول مرتين مرة مناما ومرة فى اليقظة وسبحان ربى المنعم المتفضل على عباده .

وتقوى الله هى الباب الموصل لعزة المؤمنين التى يتحلى بها بين عباد الله الصالحين ولذلك يقول شيخى وسيدى الشيخ على عقل من الهامه الفورى الذى نقلناه عنه طيب الله ثراه :

وليس مقام الناس بالفقر والغنى
ولكنما الاقدار بالعلم والحذر
يموت الورى سيان من ذل أوعلا
وماضاع حظا غيرمن بالورى انتصر
سواء لدى الناس الا اخا التقى
عبادته تغنيه أن ورد الحفر
وكل فؤاد راقب الله جنة
منابتها الايمان والعلم والبصر
واغصانها الاخلاص والصدق جذعها
وأثمارها التقوى وأنعم بها ثمر
فحاسب هنا تهنأ هناك منازلا
ومن حاسب النفس اجتباه الذى فطر
وما هذه الايام الا رواحل
علوت لهاظهرا وكنت على سفر
وحسبك من دنياك اجر ورحمة
ومن لم يرالاخرى المراد قداندثر

ومجاهدة النفس فى سبيل الله درجات ، وأول تلك الدرجات مجاهدة التقوى وتكون بالوقوف عند حدود الله خوفا من عقاب الله الذى أنذر به أهل المخالفات والمعاصى . والدرجة الثانية هى مجاهدة الاستقامة وتقتضى كف النفس من هواها وترك الاخلاق المذمومة وكسب الاخلاق المحمودة التى مدحها كتاب الله وتحلى بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نطلب فى كل ركعة سبيل الاستقامة بقولنا فى فاتحة الكتاب « **اهدنا الصراط المستقيم** » وهو « **صراط الذين أنعمت عليهم** » وطلبنا الاستقامة فى الفرائض سبعة عشر مرة كل يوم ، بخلاف طلبها فى السنن ، انما يدل على شرفها وحلاوة ثمرتها ، وتقتضى الاستقامة أن نعالج مثلا البخل بالسخاء ، والكبر بالتواضع ، والجزع بالصبر ، والغضب بالحلم وهكذا . والدرجة الثالثة مجاهدة الكشف والاضطلاع وتقتضى أن تسبقها الدرجتان المتقدمتان ، كما تقتضى الاستعانة فيها بشيخ عارف بالله ، خبر المجاهدات وتجلت له أنوار الحق فهو على نور من ربه يمشى به فى الناس فيهديهم الى طريق التصوف الصحيح القائم على آداب الكتاب والسنة والجماعة .

ويفرق السادة الصوفية بين العلم والمعرفة ، فالعلم تحصيل والمعرفة مذاق ، ويقول فى ذلك الامام جلال الدين الرومى رضى الله عنه : هل قطفتم وردا من الواو والراء والدال ؟ اذهبوا فابحثوا عن حقيقة المسمى ، لا تنظروا للقمر فى الماء بل انظروا للقمر فى السماء . وعند قوله تعالى « **كلا والقمر** » يقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات : أقمار العلوم اذا أخذ هلالها فى الزيادة بزيادة البراهين فانها تزداد حتى اذا صارت الى حد التمام وبلغت الغاية تبدو اعلام المعرفة ، ثم تأخذ علوم البراهين فى النقصان حين تطلع شموس المعرفة ، وكما أن القمر كلما قرب من الشمس يزداد نقصانه حتى يصير محاقا ، كذلك اذا ظهر سلطان العرفان تأخذ أقمار العلوم فى النقصان بزيادة المعارف كالسراج فى ضوء الشمس .

والعلم مطلوب ، والتفقه فى الدين حتم ولازم ، وانما قام علم الشريعة ليعمل به ، ويقول صلوات الله وسلامه عليه ، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ومن حكم السادة الصوفية قولهم : شكر العلم العمل ، وشكر العمل زيادة العلم وما أروع ما يقول شيخى وسيدى الشيخ على عقل فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه :

كل روح تفرغت لرضاه
سعدت بالقبول من مسعاها
قبلتى فى الصلاة ساعة وقت
كم مصل بعد الصلاة تلاها
انما قبلتى جميع حياتى
هى ذات الاله لن انساها
فمسائى مع اليقين نهار
ونهارى سعادة برضاها
آنس الله مهجتى بعلوم
مزجتنى بها فكنت وعاها
طاف بى النور فالمعارف بحرى
تلفظ الدر وهى لا تتناهى
وارتقاء الارواح فى موردالعلم
يصفى الارواح من دنياها
وانعدام الاهواء والحسن منها
هو معنى السمو فى مسراها
ياسرورى بقوله ياعبادى
انا فى سمعها أنال رضاها

اللهم اجعلنا يا الهى ممن قلت فيهم « **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب** »

مكانة الشورى

فى نظام الحكم الإسلامى

مدرسة

الدكتور حسن حامد حسان

لقد سبق الاسلام كافه النظم الديموقراطية فى تقرير مبدأ الشورى قاعدة للحكم بألف عام ، ومن هذه القاعدة استمدت الدساتير الحديثة المبدأ الديمقراطى الذى يقضى بأن تكون الامة صاحبة السيادة ومصدر السلطات ويعطى الشعب الحق فى ان يحكم نفسه بنفسه ، ولقد بدأ ظهور هذا المبدأ فى انجلترا فى القرن السابع عشر ثم ذاع وانتشر فى أعقاب الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر ٠

ولقد قرر القرآن الكريم مبدأ الشورى فى نصوص قاطعة فى دلالتها واضحة فى معناها فقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم : « وشاورهم فى الامر » مع أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأحدهم ذهنا وأكثرهم ذكاء وأبعدهم عن الهوى وأحرصهم على توخى المصلحة العامة فى اتخاذ القرار الذى يمس مصلحة الجماعة أو يحدد مصيرها ويرسم مستقبلها مما ليس فيه وحى سماوى ٠

ولقد بين القرآن الكريم أن الاخذ بمبدأ الشورى والزام العمل به من أهم الدعامات التى يقوم عليها نظام الحكم فى الاسلام ومن أبرز خصائص الجماعة الاسلامية التى تميزها عن غيرها من الجماعات ، وذلك يجعله صفة من صفات المؤمنين الذين يؤثرون ما عند الله على الدنيا الفانية فقال تعالى : « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ٠

قيام نظام الحكم على قاعدة الشورى يوجب على الحاكم مهما علا قدره وارتفعت مكانته وثبت اخلاصه لامته وعلم وفاؤه لشعبه ، ومهما اوتى من بسطة فى العلم وخبرة فى السياسة وحنكة فى الرأى والتدبير ، أن يحترم ارادة الامة وأن يستمع لرأى الشعب وأن ينفذ ما يشير به عليه ، وأن يرجع اليه فى كل أمر يتعلق بمستقبل الامة أو يمس مصالحها العليا فى السلم والحرب فلا يقطع أمرا من هذه الامور دونهما ، وان يرجع الى أهل الحل والعقد ، وهم ممثلو الامة فيما عدا ذلك من أمور التشريع فيما لا نص فيه ٠ كما يوجب هذا المبدأ على الامة نفسها ان تراقب اعمال الحاكم وتصرفاته ، وأن تراجع اوامره وقراراته حتى تتأكد من مشروعيتها ومطابقتها لنصوص الكتاب والسنة ، وتوخيها مصلحة الجماعة ، فاذا كانت هذه القرارات مخالفة لمبادىء الدستور أو النظام الذى أقرته الجماعة اشارت عليه بتعديل القرار او الرجوع عنه » فلقد اشار بعض الصحابة على الرسول عليه السلام بما يخالف رأيه دون ان يطلب النبى منه المشورة : وقد رجع عليه السلام عن رأيه لما تأكد عنده ان الرأى المخالف أقرب الى تحقيق المصلحة ٠ فهذا هو الحباب بن المنذر يقول للنبى عليه السلام وقد أمر بأن ينزل الجيش فى مكان اختاره : « يا رسول الله اهذا منزل انزلكه الله ام هو الرأى والمكيدة والحرب ؟ » فيقول عليه السلام : أنه الرأى فيقول الحباب : اذن فانى ارى ان ينزل الجيش بماء بدر فتقيم عنده نشرب منه ويمنع الاعداء ، فيبارك النبى له هذا الرأى ويصدر اوامره بتنفيذه ٠

ولم يكن مبدأ الشورى نصا يتلى فى القرآن دون أن يمارس فى العمل ، فليس هذا من سمات المجتمع المسلم الذى يناديه ربه : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ٠ فالاسلام يمقت التغنى بالشعارات والمتاجرة بالمبادىء ويبغض النفاق السياسى فى كل صوره وأشكاله ولذلك كان رائد البشرية وزعيم هذه الامة محمد عليه السلام اول من طبق هذا المبدأ وسار عليه ، مع أنه معصوم عن الهوى مبرأ عن الغرض ليكون غيره ممن يلون أمر المسلمين اولى باحترام ارادة الامة والرجوع اليها فى الامور كلها ، لانها أصيلة فيما انابته فيه ، وهى صاحبة المصلحة الاولى فى تقرير مصيرها وحماية مصالحها ، والحفاظ على مقدساتها ٠

ولقد كان عليه السلام يستشير الامة ممثلة فى أولى الرأى والمكانة فيها من كبار الصحابة الذين يمثلون الشعب تمثيلا صادقا وآمينا فى المسائل التى تعن

وليس فيها وحى من السماء ، وكان عليه السلام يأخذ **بما يسفر عنه رأى الاغلبية منهم** • **فقد استشار عليه السلام** اصحابه فى اعلان الحرب على مشركى مكة **الذين** اخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير **حق ، وقال اشيروا على ايها الناس ، فقام سعد بن معاذ** سيد الانصار ونائبهم فقال مقالته المشهورة : « والله لكأنك تقصدنا يا رسول الله ، قال : أجل • قال سعد : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك • فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر على بركة الله » •

واستشار عليه السلام الصحابة كبارهم وصغارهم فى آمر الخروج للقاء العدو فى غزوة احد ، وقد كان رآيه عليه السلام أن يبقى الجيش الاسلامى داخل المدينة ، فاذا دخلها العدو قاتله المسلمون فى الشوارع وعلى أبواب الازقة **وقد شارك النبى فى هذا الرأى كبار الصحابة • ولكن الغالبية من المسلمين كانت ترى رأيا يخالف رأى رسول الله وكبار صحابته** ، ولهم الحق فى ابداء الرأى وتقديم النصح والمشورة ما دام القرار مبنيا على الرأى والمصلحة وليس فيه وحى من السماء ، بل ابداء الرأى المخالف يعد واجبا يفرضه الاسلام ويعتبر السكوت عنه اثما ومعصية ، وكان رأى عامة المسلمين الخروج لملاقاة الاعداء • وقد نزل النبى عليه السلام على رآى الغالبية ودخل بيته ولبس آلة الحرب ثم خرج يقود الجيوش ، وعند ذلك استشعر البعض أنهم أكرهوا الرسول على الخروج فقالوا قد اكرهناك على الخروج يا رسول الله ، فادخل فقال عليه السلام قولته المشهورة : ما كان لنبى أن يلبس لامته ثم يقعد ، فالقرار قد صدر والعزم قد تأكد بعد طرح موضوع القرار على البحث والمناقشة وتمكن كل فرد من ابداء الرأى وتقديم المشورة ، وبعد العزم لا يكون التردد بل التوكل على الله فى تنفيذ ما انعقد العزم عليه : « **وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله** » •

وقد استشار الصحابة فى شأن القواعد التى تتبع بشأن اسرى الحرب ولم يكن قد نزل بشأنهم قرآن ، وكان فى وسعه عليه السلام ، وهو آرجح الناس عقلا وأشدهم اخلاصا للمبادىء والقيم وأعرفهم بمواضع الخيران يستقل باصدار القرار ، ولكنه عليه السلام لم يترك مناسبة يمكن لمبدأ الشورى فيها أن يطبق الا **طبقه حتى تقتدى الامة به** ، ويعلم الحاكمون من بعده ان هذا المبدأ يحتل مكانة عالية بين آصول الحكم فى الاسلام ، فليس لحاكم ان يهدده او يخرج عليه بحجة رجاحة العقل وحسن التدبير ، وحرصه على مصالح الامة ، واقرار الشعب له بالزعامة ، لانه لن يكون ارجح عقلا ولا أكثر اخلاصا لامته ولا أعرف بمصالحهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى مدحه رب العالمين بقوله : ؟ وانك لعلى خلق عظيم » •

ولقد اختلفت الاراء فى حضره الرسول الاعظم فلم ينكر على الصحابة ذلك ، فقد كان لابى بكر رأى ، ولعمر رأى يخالفه ، وكان رأى الرسول عليه السلام مع أبى بكر ، ولم يمنع ذلك عمر من ابداء رأيه لانه يعلم بأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، ولقد نزل القرآن معاتبا للرسول عليه السلام ومؤيدا لرأى عمر • فاختلاف الاراء آية الاخلاص فى النصح والصدق والامانة فى ابداء الرأى • والطريق الوحيد لاختيار أحسن الاراء •

وهكذا رأينا الرسول الاعظم يطبق مبدأ الشورى فى كل مناسبة ويقبل الاراء المخالفة لرأيه ، ويضعها موضع التنفيذ **قال ابو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت احدا اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم** » •

وكان الصحابة رضوان الله عليهم اذا نزل بالمسلمين أمر وكان للنبى صلى الله عليه وسلم فيه رأى لا يترددون فى سؤاله عليه السلام اهذا وحى أوحى الله به اليك ام هو الرأى ؟ فان قال هو الوحى نزلوا على حكمه ورضوا بأمره ولم تكن لهم الخيرة من أمرهم لان الله يناديهم « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم** » وينادى نبيه : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » • وان أجابهم عليه السلام بأنه الرأى لم يتردد واحد منهم فى اعلان رأيه وان كان مخالفا لرأى رسول الله صلى عليه وسلم ، وحتى يعلم المحكومون انه ليست لاراء الحكام قداسة اذا خالفت الحق فهى ليست قرآنا يتلى دون نقاش ثم يترجم الى قرارات وتصرفات قد لا يقصدها الحاكم نفسه ان الاسلام يجعل لرأى الحاكم نفس القيمة التى لرأى المسلم العادى تطبيقا لمبدأ المساواة ، فلكل مسلم ان يعارض رأى الحاكم وأن تتاح له فرصة لنقاشه ونقده ، وعلى الحاكم ان يكون مستعدا لقبول الرأى المخالف وأن يفتح له قلبه دون أن أن يتعرض صاحب الرأى لاذى او تنكيل • **لقد كان لعمر رأى** أعلنه على الملا فى **المسجد الجامع وهو عدم زيادة مهور بنات المسلمين على مهور بنات رسول الله ، وقد ارتفع صوت مخالف لرأى أمير المؤمنين ، فى المسجد الجامع فانصت له الجميع فاذا هو رأى امرأة تثبت خطأ الخليفة بالحجة والبرهان** ، فلم يعترض أحد عليها ، بل أعطيت حرية الكلمة الى نهايتها ، ولما علم عمر صحة رأيها وخطأ رأيه قال قولته المشهورة : **أصابت امرأة وأخطأ عمر** نريد لهذا المبدأ أن يطبق ، فلا خير فينا اذا لم نقل كلمة الحق للحكام ولا خير فى الحكام اذا لم يقبلوها ، ولا خلاص ولا نجاة للجماعة الا بذلك •

فالاسلام لا يعرف الحاكم الذى يستبد برأيه وينفرد باصدار القرار الذى يقرر مصير الامة ويتعلق بمصالح الجماعة دون الرجوع الى الشعب واستشارته والتقيد برأيه ، ان الرسول نفسه لم يكن ينفرد بالرأى دون الامة ، لان الامر اما ان يكون مصدره الوحى فيجب ان ينزل الجميع على حكمه ، واما الا يكون فيه وحى فالامر شورى والقرار للجماعة ، وبعد موت الرسول وانقطاع الوحى لا يستطيع حاكم أن يدعى لرأيه قداسة لم يدعها النبى لرأيه ، فقد علمت ان الصحابة كانو يناقشون النبى عليه السلام فى الامور التى ليس مصدرها الوحى ، ويقدمون الاراء المخالفة لرأيه وقد كان عليه السلام يحترم هذه الاراء ويصدر القرارات اللازمة لتنفيذها .

واذا كان الاسلام يوجب على الحاكم أن يستشير الامة وأن يعمل بما يسفر عنه رأى الاغلبية ، فانه قد أوجب على الاقلية ان تحترم القرار بعد صدوره وأن تدافع عنه وأن تخلص فى تنفيذه . فليس لها أن تناقشه بعد صدوره ولا أن تشكك فى قيمته لانه اصبح رأى الامة وارادة الجماعة ، فقد رأينا الرسول عليه السلام ينزل على رأى الغالبية فى غزوة أحد ويلبس لامته ويخرج للجهاد ، وتخرج معه الاقلية من الصحابة الذين وافق رأيهم رأيه فى عدم الخروج ، وكانت هذه الاقلية فى مقدمة الصفوف تقاتل فى سبيل الله تنفيذا للقرار الذى اصدره النبى عليه السلام بناء على رأى الغالبية .

وعلى هذه القاعدة سار أصحاب النبى من بعده فلقد طرح أمر قتال المرتدين وما نعى الزكاة وهو من أخطر ما واجه الامة بعد وفاة الرسول عليه السلام — للمناقشة ، وطلب ابو بكر فيه المشورة من الامة ووجد راى يؤيده عمر بن الخطاب بعدم قتالهم ، وكانت الغالبية مع هذا الرأى فى أول الامر : فلما بسط ابو بكر الحجج التى يراها تبرر رأيه حاز رآيه الاغلبيه فصدر قرار الخروج لقتالهم . ولقد كان المخالفون اسرع الناس لتنفيذ هذا القرار والدفاع عنه،وما روى لنا التاريخ أن احدا من الصحابة شكك فى هذا القرار أو قلل من قيمته أو امتنع عن تنفيذه ، لانه رأى الامة وارادة الجماعة ، وهذه ضمانة من ضمانات مبدأ الشورى حتى يحقق الغاية المقصودة منه . ولقد وقعت الديمقراطية الحديثة فى خطأ كبير حينما سمحت لكل حزب ان يناقش القرارات التى أصدرها الحزب الحاكم قبله ، فأفقدت المبدأ الديمقراطى كل ماله من قيمة وكانت مفاسده أكبر من المصالح المترتبة عليه ، وقد تحاشت الشريعة الاسلامية ذلك ، منذ اربعة عشر قرنا .

واذا كانت النصوص قاطعة فى تقرير مبدأ الشورى فقد جاءت هذه النصوص عامة حتى تترك للجماعة حرية اختيار أصلح الطرق وأقرب النظم لتطبيقه وتحقيق الغاية المقصودة منه . فللحاكم ان يتعرف على رأى الامة بطريق الاستفتاء الشعبى المباشر ، او عن طريق اهل الحل والعقد وهم ،ممثلوا الامة الذين اختارتهم لينوبوا عنها فى ممارسة سلطة الرقابة والتشريع وابداى المشورة، او عن طريق ممثلى الطوائف والنقابات ، او عن طريق هؤلاء جميعا .

ومبدأ الشورى لا يمكن تطبيقه الا فى ظل نظام يحترم الحقوق ويحمى الحريات،فلكى يتمكن المواطن المخلص من ابداء المشورة واسداء النصح واعلان الرأى المخالف لابد أن يأمن على نفسه ويطمئن على مستقبله ويثق أنه لن يصيبه بسبب هذا الرأى أذى أو اضطهاد ، أما اذ اسلبت الحقوق وصودرت الحريات فان كثيرا من الناصحين المخلصين سيحجمون عن النصح ايثارا للسلامة ، وطلب اللعافية ، وعند ذلك ترتفع أصوات المنافقين التى تؤيد كل حاكم وتصفق لكل رأى وتبارك الشىء ونقيضه رغبة فى التقرب من الحاكم وارضاءه والاستفادة منه على حساب مصالح الجماعة العليا . وهذا خطر ليس على الامة فحسب بل وعلى الحاكم نفسه . فقد روى أنه عليه السلام قال : **سيكون بعدى أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة »** .

ولقد قال محمد بن مسلم لعمر بن الخطاب وهو خليفة : لو ملت عدلناك كما يعدل السهم فى الثقاب . فقال عمر : الحمد لله الذى جعلنى فى قوم اذا ملت عدلونى » .

وليس هناك نظام دستورى يدانى الشريعة الاسلامية فى حماية الحقوق وصيانة الحريات حتى استحق الاسلام أن يوصف بأنه دين الحرية ولقد جاءت نصوص الكتاب والسنة فى باب الحقوق والحريات قاطعة لا تحتمل التأويل ، وهذا شأن الاصول الكلية فى الاسلام . ولقد كفل الاسلام الحقوق والحريات على اختلاف أنواعها ، وكانت حمايته لهذه الحقوق والحريات على وجه أكمل وأتم . فالنصوص التى تقرر الحقوق والحريات عامة مطلقة ، فلم تسلب بالشمال ماتعطيه باليمين كما تفعل نصوص الدساتير الوضعية ، فالقيود على الحقوق والحريات التى حماها الاسلام قيود فى الدستور نفسه ، ولم يترك أمر هذه القيود الى قانون تضعه السلطة التشريعية التى اعتادت تلبيته لرغبات الحكام وتحت ضغوطهم أن تضمن هذه القوانين قيودا على الحريات تعد انتهاكا لها وقضاء عليها . فالحقوق والحريات التى قررتها نصوص الكتاب والسنة لا يجوز سلبها ولا تقييدها الا بنصوص الكتاب والسنة أيضا ، فالله عز وجل هو مانح هذه الحقوق والحريات فليس لغيره أن يقيدها وما دام المسلم يستعمل حقه ويمارس حريته فى نطاق مبادىء الاسلام الكلية وقواعده العامة دون اعتداء على حقوق الاخرين وحرياتهم فليس للحاكم ولا لاعوانه أن يتصدوا له ولا أن يمنعوه من استعمال حقوقه .

ويظهر هذا العموم والتأكيد فى خطبة النبى عليه السلام فى حجة الوداع : « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » وفى قوله عليه السلام : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة » ، فهنا يؤكد الرسول عليه السلام على حق الانسان فى الحياة ثم ينص على حالات على سبيل الحصر يجوز فيها حرمان المسلم من هذا الحق .

وفى التأكيد على حرية العقيدة يأتى النص قاطعا ومطلقا فيقول سبحانه « **لا أكراه فى الدين** » ويقول عز وجل « **ولو شاء ربك لامن من الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » .

وفى حرمة المساكن يقول عز وجل « **لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** » .

وفى حرمة القول والنقد يقول عز وجل : « **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك** » .

ولقد تقدم الاسلام خطوة عن الدساتير الوضعية فقرر أن المطالبة بالحقوق وممارسة الحريات ليست حقا للانسان فحسب بل انها واجب يحتمه الشرع عليه ، فليس المواطن مخيرا فى استعمال حقه فى النقد أو حريته فى ابداء الرأى أو عدم استعمالها ، بل أنه مطالب بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان أصابه الاذى فى سبيل ذلك ، لان الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، وليس للمواطن المسلم أن يقف من قضايا بلاده ومن أولى الامر فيها موقفا سلبيا ، بل يجب عليه أن يبدى رأيه فى أمور المسلمين العامة ، لقوله عليه السلام : « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » . ولقوله : « **لا يكن أحدكم امعة يقول ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس فأحسنوا وان أساءوا فتجنبوا اساءتهم** » ، ولقد لعن الله بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، لانهم كانوا لا يتناهدون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، فمشاركة المسلم فى تسيير دفة الحكم وابداؤه النصح للحاكم ، ومناقشته لكل قضايا الوطن المطروحة واجب يفرضه الاسلام وليس فقط حق يكفله له الدستور ، لان الوطن ليس ملكا لفرد أو جماعة ولقد وضح النبى عليه السلام ذلك فى تمثيله لاولئك الملتزمين بأحكام الشرع المنفذين لتعاليمه ، ولاولئك الخارجين عنه العاصين لاوامره **بقوم استهموا على سفينة فصار بعضهم بأعلاها وبعضهم بأسفلها فكان الذين بأسفلها اذا أرادوا أن يستقوا مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وشأنهم هلكوا جميعا وأن اخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعا** » .

ليس هناك حق أو حرية تكلمت عنها الدساتير الوضعية الا وقد حوته الشريعة الاسلامية على أكمل وجه وأتمه . ولقد تقدم أن الحاكم الاعلى والرسول الاعظم كان يقيد من نفسه ويقول **أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليجلده** . وقد كان الخلفاء من بعده يحرصون على اصدار أوامرهم لحكام الاقاليم بألا يضربوا أبشار الناس أو ينالوا من كرامتهم أو أموالهم بغير حق . فاذا خالف أحد الحكام هذه التعاليم اقتص أمير المؤمنين منه . ولم نعرف دستورا يقتص من الحاكم اذا اعتدى على الرعية كدستور الاسلام الخالد .

ولقد مارس المسلمين هذه الحريات فلم يتركوا منكرا ظهر الا نهوا عنه ولا معروفا ضيع الا أمروا به ، ولم يخشوا فى الله لومة لائم ، ولقد كانوا يعلنون آراءهم فى الامور العامة كلها وينقدون الحاكم ويعترضون عليه اذا كان للاعتراض محل . ولقد أوقف سلمان الفارسى وهو احد العامة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب يسأله ويحاسبه على ملا من الناس فى المسجد الجامع فلم ينكر عليه أحد ، لانه يمارس حقا ويقوم بواجب ، حسبة لله . فقد وقف عمر خطيبا بعد عودة جيوشه ظافرة بالغنائم من بلاد الفرس فقال : أيها الناس اسمعوا وأطيعوا . فقال له سلمان الفارسى : يا أمير المؤمنين لاسمع لك ولا طاعة ، فيقول له عمر ولم يا أخى ؟ فيقول له سلمان : لانك وزعت علينا ثوبا ثوبا من الغنائم ونراك تلبس ثوبين ، فيقول عمر لابنه قم يا عبد الله فأشهد فيقوم عبد الله فيقول ان هذا الثوب الاخر الذى يلبسه أبى هو ثوبى ، فيقول سلمان الفارسى عندئذ : اذن قل نسمع . أحد العامة يوجه لامير المؤمنين استجوابا وأمير المؤمنين يدافع عن نفسه ويطلب شهود نفى ليبرأ من التهمة التى تحرمه من حق السمع والطاعة وهى تفضيل نفسه على سائر أفراد الامة فى شأن الغنائم ، ولما ثبتت براءة عمر قال سلمان اذن قل الان نسمع . وقصة المرأة التى عارضت عمر فى المسجد لانه أراد أن يحدد المهور وكان هذا التحديد مخالفا لاحكام الاسلام ، معروفة مشهورة ، وفيها يقول عمر فى شجاعة وايمان أصابت امرأة وأخطأ عمر . وبهذا يضع عمر أصولا للحكم لم تعرفها البشرية من قبل ، حق الافراد فى توجيه النقد لرئيس الدولة اذا خالف الدستور وحقهم فى مراقبة تنفيذه للقوانين تنفيذا صحيحا وحقهم فى الاعتراض على ما يخالف هذه القوانين من قرارات وأوامر وذلك بالطرق والوسائل الميسرة لهم . ثم اعتراف عمر بأن الحاكم قد يخطىء فى رأيه وأن الصواب قد يكون مع أحد العامة ، فآراء الحاكم ليست بمنأى عن المناقشة والالغاء والابطال اذا خالفت الشرع ، وكم نزل النبى عليه السلام على رأى أصحابه وان خالف رأيه ، فليس هناك قرار يصدره بشر بمنأى عن الطعن والمراجعة فالاسلام لا يعرف ما

٢

يسمى بأعمال السيادة أو القرارات غير القابلة للطعن بأى طريق من طرقه وان كانت تمس مصالح الناس وتسلب حقوقهم وحرياتهم ، طالما أن مصدر القرار بشر ، أن الذى يأمر ويفعل دون أن يسأله أحد هو الله سبحانه وتعالى فهو الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » أما غيره فهو مسئول عن فعله ، فان وافق الحق مضى وأن خالفه نقض . ولقد كان الامام مالك يجلس فى المسجد فيبدأ درسه بقوله : **كل مخلوق يؤخذ من كلامه ويرد الا صاحب هذا القبر ويشير الى قبر الرسول عليه السلام** . ولم يقبل الامام الجليل أبو حنيفة النعمان أن يلتزم الناس آراءه فتكون من بعده آراء مقدسة لا يخرج الناس عنها ولا تحق لهم مخالفتها ، بل قال لهم انظروا لانفسكم فى كتاب الله عز وجل . **فالاسلام لا يعرف قداسة فى رأى لاحد الا ما صدر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .**

ولقد أحسن الرئيس المؤمن أنور السادات حينما قرر أنه ليس هناك قرار يمس مصالح الافراد أو يؤثر فى حرياتهم وأرزاقهم بمنأى عن الطعن أمام القضاء ، ولقد كان سيادته معبرا عن ايمان هذه الامة التى لا يقبل أن يشارك الله أحد فى سلطانه فيدعى لارائه القداسة ولقراراته الحصانة بحيث لا يسأل عما يفعل . ان كل مخلوق يخطىء ويصيب ، ولابد أن يراقب القضاء صحة القرار وعدم مساسه بحقوق المواطنين وحرياتهم . فالحاكم يسأل كما يسأل المحكوم لان القانون فوقهما معا ، وهما يلتزمان بأحكامه ، فيعاقبان على مخالفة هذه الاحكام ، كما لا يكون لقرار صدر من أيهما قيمة اذا خالف القانون ،

بل ان مساءلة الحاكم وعقابه على المخالفة آكد ، لان اعتداء الحفيظ على الحقوق والحامى للحريات على هذه الحقوق والحريات ومخالفة حارس القانون لهذا القانون أشد من مخالفة العامة له ، وذلك من باب حسنات الابرار سيئات المقربين .

* * *

بقية مقال دراسات فى فقه الحديث

واليمين . ولكن معناه الفقهى مختلف فيه ، لاختلافهم فيما يكون به المرء موليا .

أ ـ فهل هو الحلف ألا يجامع الزوج زوجته على وجه الضرار والغضب ؟

ب ـ أو هو كل يمين حالت دون الجماع ، من غير فرق بين الرضا والغضب ؟

ج ـ أو هو كل يمين يؤدى الى الاضرار بالزوجة سواء أكانت اليمين على ترك الجماع أم على عدم الكلام معها مثلا ؟

وقد التقت هذه الاقوال الثلاثة حول ضرورة اليمين فى اعتبار الايلاء فهى من أهم شروطه .

د ـ أما الرأى الرابع ، فهو رأى ابن عمر ، وقد ذهب الى أن الزوج اذا هجر زوجه فهو ايلاء ولو لم يذكر الحلف ، ولو لم يكن هناك قسم . قال الجصاص تعليقا على رأى ابن عمر : (وأما ماروى عن ابن عمر من أن الهجران يوجب الطلاق فانه قول شاذ ، وجائز أن يكون مراده اذا حلف ثم هجرها مدة الايلاء ، وهو مع ذلك خلاف الكتاب ، قال الله تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم .. » والالية : اليمين على ما بينا ، وهجرانها ليس بيمين . فلا يتعلق به وجوب الكفارة)

ولا شك أن ابن عمر قدعلم أن الايلاء معناه الحلف والقسم ، اذ هو عربى يفهم ألفاظ القرآن ويحتج بفهمه ولغته ، كما احتج الجصاص بفهم ابن عباس فى قوله تعالى : « وان عزموا الطلاق » (البقرة ٢٢٧) حيث قال : عزيمة الطلاق انقضاء أربعة الاشهر قبل الفىء اليها [لانه لم يخل أن يكون قاله شرعا او لغة ، وأى الوجهين كان فحجته ثابتة]

ان ابن عمر فى هذه المسألة جاوز اللفظ ولم يقف عنده ، وتوجه مباشرة الى الغاية والمعنى المقصود من الايلاء . ورأيه له وزنه وقيمته ، لانه يسد الطريق أمام من يهجرون زوجاتهم بقصد الاضرار آمنين من تطبيق حكم الايلاء عليهم طالما لم يستكملوا المظهر الشكلى له ، وهو القسم واليمين .

ان ورع ابن عمر هو المحور الذى تدور عليه شخصيته ، فيقول ابن مسعود عن ابن الورع الزاهد : (ان من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر) . ويقول جابر ابن عبد الله : (مامنا أحد أدرك الدنيا الا وقد مالت به، الا ابن عمر)

رضى الله عن الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

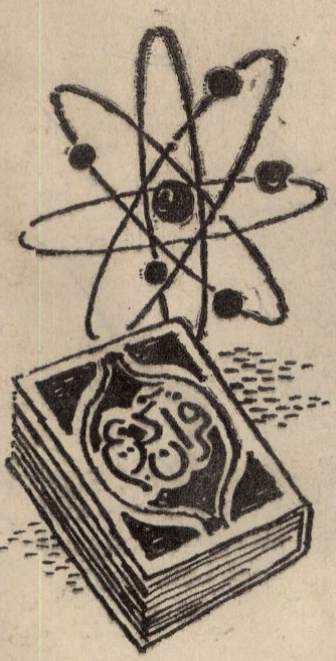

دولة العلم والإيمان

بين العلم والإيمان

الدكتور عبد الغني الراجحي

النظر والبحث والتأمل من أجل استخراج الحقائق واكتشافها واستنباطها والعلم بها ، للانسان الباحث فيها الناظر اليها ، ميزة ميز الله بها الانسان عن الحيوان الاعجم ، وبما أنه ميزه بها فقد حثه ودفعه الى ممارستها ومزاولتها ، وحرم عليه أن يعطلها أو يهملها حتى يميتها فى نفسه فيصير بعد موتها فيه كالحيوان الاعجم الذى لم يشم رائحة العقل أو ملكة التفكير والنظر والتأمل · وقد أشار القرآن الكريم الى هذه المعانى فى مثل قوله تعالى فى أولى آيات القرآن نزولا حيث يقول تعالى « **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » · فقد اقتصرت الايات فى مقام وصف الله بالخلق ، على خلق الانسان فقط مع ان الله خالق كل شىء من انسان وغير انسان ، لكنه خص الانسان بالذكر لمناسبة ما جاء بعده من وصفه بالعلم فى **قوله تعالى « علم الانسان مالم يعلم » فالحديث كله** خاص بالانسان خلقا وتعليما · ويقول سبحانه فى مطلع سورة الرحمن ، منبها ومشيرا الى هذه الخاصة التى أودعها فى الانسان وميزه بها عن سائر خلقه ، وبسببها جعله خليفة هذا الكون ، **يقول سبحانه « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان** » بنفس الطريقة والظاهرة ، الاقتصار فى مقام الخلق على ذكر خلق الانسان ، لان تعليم البيان ، وايداع ملكة العلم والتعلم ، وتمييزه بها عن سائر المخلوقات هو المناسب لذكر خلقه ، لانها هى الظاهرة الثانية المميزة له ، والمناسبة فى مقام الحديث عنه بعد ظاهرة خلقه وايجاده ، كأنما لم يخلق الا للاتصاف بهذه الظاهرة وأداء ما تقتضيه هذه الظاهرة من رسالة يقوم بها الانسان فى مضمار هذه الحياة · وكأنما مجرد خلقه دون أن يتميز ويتصف بهذه الظاهرة ، ظاهرة البحث والنظر ، والعلم والتعلم ، والابانة عما فى النفس ، لا يعتبر وجوده بدون تحقيق وتحقق هذه الظاهرة فيه الهدف من وجوده كان كأنه غير موجود ، والموجود الذى يحقق الهدف من وراء وجوده وكينونته ، ويسير بدقة وجوده وحياته نحو تحقيق الغرض الذى خلق من أجله ، هو موجود يعتبر فى أعلى درجات الوجود شرفا وكرامة وكمالا · وكمال كل شىء فى ممارسة وجوده على النحو والغرض الذى وجد من أجله ، واستعمال كل شىء فيما خلق من أجله كمال ، بل هو ذروة الكمال فى هذا الشىء ·

ومن هذا المنطلق الذى حددته هذه الايات السابق ذكرها ، ومن أجل هذه المعانى التى أفصحنا عنها ، أخذت بعض آيات القرآن الاخرى فى الاشادة بذكر العلم والعلماء والتعليم ، فنجد آية كريمة فى مطلع سورة آل عمران تلحق العلماء وأولى العلم بالله وملائكته ، فتجعلهم ثالث مذكور بعد الله والملائكة ، فتقول « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** » · ونجد آية أخرى فى سورة الزمر تستنكر المساواة والتسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فتقول « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » · ونجد آيات فى سورة البقرة فى قصة آدم والملائكة تبين أن آدم استحق الخلافة فى الارض بهذه الميزة التى ميزه الله بها ، وهى ميزة العلم والتعلم والنظر والتأمل ، واستنباط المجهول من المعلوم ، والاستدلال والاستكشاف واخضاع الكائنات والموجودات له بواسطة هذه الخاصة فيه ، يعتصر منافعه ، ويصنع حياته ، ويكيف وجوده متفاعلا مع مخلوقات الله التى أوجدها مسخرة مذللة له فى الارض والسماء · هذه الميزة التى كانت الملائكة عنها بمنأى ومعزل ، فاستحق بها خلافة الارض دون الملائكة . « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون · وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** » ·

ومن ذلك المنطلق أيضا الذى سبق أن أشرنا اليه ، أخذ القرآن الكريم فى نحو من ثلاثة أرباع الالف آية كريمة ، يوجه الانظار ويحض على النظر فيما خلق الله من كائنات وموجودات من أرض وسماء ، وشمس

وقمر ، وأفلاك ونجوم وكواكب ونهار ، وشروق وغروب ، وبحار وجبال ، وزروع وثمار وجماد ، ونبات وحيوان ، ومعادن وعناصروهواء ورياح ، وما يلج فى الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وفى سائر ملكوت السموات والارض ، ما أتى مفصلا بجميع أنواعه وأقسامه فى كثير من أيات الذكر الحكيم ، مفرقة ومنتشرة فى أكثر سور القرآن الكريم ، وهى تشير اشارات سافرة الى الحقائق والمعارف الانسانية ، والظواهر الطبيعية الكونية التى تنطوى على هذه الحقائق والمعارف ، فلكية كانت أو طبية ، أو هندسية أو طبيعية أو كيميائية ، أو جغرافية أو نفسية أو اجتماعية • الامر الذى من أجله انطلق علماء المسلمين الاولون ، ينقبون ويدرسون ويبحثون فى هذه النواحى وهذه المجالات ، فنبغوا فيها نبوغا شهدت به الدنيا جميعها ، وكانوا روادا أوائل فى أمثال هذه الدراسات ، وكانوا أساتذة للذين تتلمذوا عليهم وعلى تراثهم الذى تركوه ، وكان منهم أمثال الرازى ، وابن سينا ، والفارابى ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ، وداود الانطاكى ، والخوارزمى ، وجابر بن حيان ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، وغيرهم ممن تتلمذ على كتبهم علماء أوربا فى فجر نهضتها الحديثة ، فوصلت الى ماوصلت اليه من العلم والثقافة والتقدم والحضارة ، بعد أن كانت تعيش فى ظلام دامس ما كانت تدرك عواقبه ، لولا طلوع شمس الثقافة والحضارة الاسلامية على هذه البلاد ، ليبدد ظلامها بنور العلم والمعرفة •

قلنا ان الانسانية تصير فى أبهج صورها وأعلى كمالاتها ، عندما تحقق الهدف الذى خلقت من اجله ، وهو خلافة الارض وعمارتها وحضارتها بالعلم والمعرفة ، فالارض بدون انسان شىء غير قابل للتصور ، والانسان بدون علم ومعرفة شىء غير قابل للتصور • وبناء فوق هذه القاعدة المقررة فى النفوس والمسلمة بين بنى الانسان ، نستطيع أن نقول أن الامم والدول والجماعات ليست فى هذا السبيل على درجة واحدة ، ولكنها فى هذه المجالات تتفاوت ويسبق بعضها بعضا ، ومن البديهى والمشاهد المألوف أن الاسبق الى هذه المعانى تكون هى الاقوى وتكون لها الغلبة على غيرها من الامم والدول التى تخلفت وراءها فى هذا الطريق ، ومن هنا تبرز قيمة هذه المعانى ، معانى العلم والمعرفة فى مجالات صراع الامم ، وتنازع البقاء ، وبقاء الاصلح •

ومن هنا أيضا انخدع المنخدعون وضل الضالون واغتر المغترون ، فأخذوا يسمون هذا الاتجاه العلمى اتجاها « عقلانيا علمانيا » ويسمون رجاله وحملة ألويته ومشاعله « بالعقلانيين والعلمانيين » • يقصدون بذلك اقامة عداوة وانفصالية بين العلم من جانب وبين الايمان من جانب آخر ، يتوهمون ألا نبوغ فى العلم الا بعيدا عن الايمان والاديان والغيبيات ، ويتهمون الايمان والاديان والغيبيات وما وراء المادة ، بأنها مسلمات غيبية وأوهام غير حقيقية لاترتكز على بحث دقيق أو علم صحيح أو نظر سليم • وكأنما لا موجود عندهم الا المادة والمادة وحدها وبطبيعتها وجدت وكانت •

ومن رحمة الله بالانسانية وحسن حظها ومعرفتها بقيمتها ، أن هؤلاء المغرورين المخدوعين بالعلم والعقل وحدهما شرذمة قليلون • كان فى مقابلتهم جماهير غفيرة من مفكرى الانسانية وعلمائها ونابغيها فى سائر انحاء المعرفة الانسانية ، يقررون ويكررون أن العلم يدعو الى الايمان وأن الدراسة ومعرفة حقائق الاشياء والغوص على معرفة أسرارها ودقائقها ، كل ذلك يدعو ويدفع الى الايمان والتصديق بأنه لا يمكن لهذه المخلوقات الدقيقة الصنع ، والكائنات التى تجرى فى وجودها ونظام حياتها وسر بقائها على قواعد وسنن مضبوطة ، موضوعة بحساب دقيق ، لا يمكن أن تكون نتيجة صدفة عمياء أو حركة هوجاء ، وانما لابد لها من صانع متصف بالحكمة والعلم والقدرة وهو الله جل جلاله • نعم أن شئون الايمان والاديان فى أغلب أمرها من الغيبيات المتعلقة بما وراء المادة أو ما يسمونه الميتافيزيقا أو عالم المجردات أو ما شاكل ذلك من هذه العبارات التى تختلف فى مبانيها ولا تختلف فى معانيها ، لكنها مع ذلك كله غيبيات تقوم عليها الادلة العقلية وتثبتها الادلة النقلية الواردة الى رسل الله المؤيدين من عنده بالمعجزات والامور الخارقة للعادة ، التى تدل على صدقهم فى تبليغهم عن الله ، لان بشرا غيرهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يصف المتقين بأنهم هم الذين يؤمنون بالغيب ، أى بما غاب عنهم ولم يشاهدوه عيانا بيانا لانه ليس من قبيل الموجودات المادية الحسية التى تشاهد وتلمس وتخضع للتجربة والملاحظة ، وانما هى غيبيات لا تدرك الا بالادلة العقلية التى ترتكز فى معظم أمرها على ما يثبته العلم والبحث والنظر فى الماديات والمحسوسات ، فتصير هذه الغيبيات بعد ثبوتها والتصديق الجازم بها ، كأنها مشاهدات محسوسة بل هى عند المؤمنين بها أقوى ثبوتا وحضورا من المحسوسات والمشاهدات ، لانها تتصف بصفة الدوام والخلود ، بينما تتصف المشاهدات المحسوسة بصفة الفناء والتغير والهلاك فى نفسها وان كانت موجودة ، كما تقول الاية الكريمة فى سورة القصص « كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » وكما يقول القائل :

أنما الكون خيال
وهو حق فى الحقيقة
كل من أدرك هذا
حاز أسرار الخليقة

ويتصلُ بهذا المعنى قوله تعالى عن نفسه « **هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم** » سورة الحديد الاية ٣

يقول تعالى فى مدح هؤلاء المؤمنين بالغيب « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقـون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هـم المفلحون** » . فهم على هدى وهم مفلحون ، وهـم متقون ، وهم يؤمنون بما أنزل الى محمد خاتم النبيين وما أنزل على من قبله من الرسل الذين لم يشاهدوهم ولم يروهم . ولما تمثل جبريل بشرا وسأل النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ما الايمان ؟ قال له النبى صلى الله عليه وسلم « **الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره** » .

نعم . ان العلم والبحث النظر ، والاستكشاف والتفوق المادى والحضارى والتكنولوجى ، من شأنه ويجب أن يكون من شأنه أنه لا يتنافى مع الايمان ، لانه أذا اعتبرناه مظهرا حضاريا فان الايمان والتدين من قديم الازل يعتبر فى نظر المؤرخين والمفكريـن والفلاسفة من أبرز الظواهر الحضارية وأخلـدها وأدومهـا فى تاريخ البشرية جمعـاء منـذ فجـر وجودها ، الى أن تقوم السـاعة ، ويرث الله الارض ومن عليها .

ان حضارة مادية تكنولوجية ، عارية عن حضارة دينية وايمان بقيم ومثل عليا انسانية ، تعتبر حضارة فى نظر المتعمقين الذين لا ينخدعون بالظواهر ، حضارة زائفة برانية غير جوانية ، اثمها أكبر من نفعها ، ولابد أن تكون فى يوم من الايام شرا ووبالا على نفسها وعلى الانسانية .

اذا الايمان ضـــــاع فلا أمان
ولا دنيـــا لمـن يحيى دينـــا

ومـن جعـل الحيـاة بغيـر دين
فقـد جعـل الفنـاء لهـا قرينا

انه لابد من عملية مزج ودمج وتطعيم بيـن الحضارتين والنزعتين ، الحضارة والنزعة العلمية المادية ، والحضارة والنزعة الروحيـة الدينيـة والايمانية ، وطبيعة الانسان من حيث هو انسان تنادى على نفسها بذلك ، فالانسان ليس مادة فحسب ، وليس روحا فحسب ، ولكنه من هذا وذاك ، ولكل عنصر من هذين العنصرين فى الانسان غذاؤه ومتطلبـاته ومقوماته . ان النزعة الاولى مثلها كالقوة الدافعة التى تدفع السيارة الفخمة الانيقة الى الامام ، أما النزعة الثانية فمثلها كمثل الالات التى تكون فى هذه السيارة لتنظيم سيرها وتثبيت جريانها على طريقة السلامة ، على الصراط المستقيم ، لتجنب المـزالق والمهاوى والاصطدامات .

ما جدوى العلم والحضارة والتقدم التكنولوجى اذا لم يقترن ذلك كله بأخلاقيات انسانية سامية وسلوك أخلاقى ودينى يتوجه بها الى الخير والفضيلة لا الى الشر والرذيلة ؟

أن شباب أرقى الدول حضارة ومدنية بدأ يحس بالفراغ العقائدى ، والضياع النفسى ، وبدأ يحس أنه يدور فى حلقة مفرغة لا يدرى أولها من آخرها ، لا يدرى لماذا هو موجود ، وما الغاية من وجوده ، وما القانون الذى يجعله يفعل هذا الفعل أو يترك ذاك الفعل ، انطلق هذا الشباب يترنح ويضطـرب وينحرف ويتخنفس ويتهبن ، ويتجنس جنسـا ثالثا ، والبقية تأتى !!

اننا فى عملية الربط ووجوب التلازم بين العلم والايمان نستطيع أن نشبه الايمان بشجرة كبيرة عتيدة مباركة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، جذور هذه الشجرة وأصولها الضاربة فى باطن الارض ، والتى تغطيها النماء والحيوية والقوة هى العلم والبحث والنظر والفكر ، وفى الحديث الشريف « **تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة** » .

وفى هذه المرحلة من جذور الشجرة يدخل كل بحث وعلم ومعرفة ونظر وتأمل ، واذا كانت الشجرة هى الايمان ، وجذورها هى البحث والنظر ، فان ثمار هذه الشجرة هى السلوك النظيف والاخلاق القويمة ، واسعاد البشرية فى عاجلها وآجلها ، فيعيش الناس اخوة متحابين ، متعاونين على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، يحكمون فيما شجر بينهم المنطق السليم ، والحكمة والعدل والحق ، وما تهدى اليه الشرائع والديانات والاخوة الانسانية « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » سورة الحجرات الاية ١٣ .

ان تشبيه الايمان بالشجرة الثابتة الجذور الباسقة الفـروع ، الدانيـة الثمـرات ، تنطـق به الايـة الكريمة « **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** » . كما أن تشبيه الكفر بالشجرة الخبيثة التى لا بقاء لها تنطق به الاية الكريمة « **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار** » فالكلمة الطيبة هى كلمة الايمان ، والكلمة الخبيثة هى كلمة الكفران . ثم تذكر الايات التفرقة بين الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا فتقول « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل اللـه ما يشاء** » .

إن هذه أمتكم أمة واحدة

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

تكلمنا فى المقال السابق عن قضاء الاسلام على العصبية الجاهلية حفاظا على الوحدة وعن مؤاخاة الانصار والمهاجرين وعن امر الله لنا بالاعتصام بحبله ونهيه لنا عن التفرق . وعن آثار الوحدة فى حياة الامة وفى رد عدوان المعتدين . وعن اتحاد المسلمين عند اشتداد الازمات ونجاحهم .. وفى مقالنا هذا نقول ان اخوة المسلمين على اختلاف أقطارهم وأعراقهم وألوانهم ومصالحهم الدنيوية ليست من نوع الاخوة الوطنية ولا من نوع العصبية القبلية ولا من نوع الرابطة الاجتماعية التى تشد الاواصر بين الخلطاء والشركاء حول مصالحهم الاقتصادية والمعاشية . ولكنها اخوة من صميم العقيدة لا يتم اسلام المسلم ولا يتحقق ايمانه الا اذا استقرت فى قلبه استقرارا وجدانيا ينسى معه كل مصلحة شعوبية أو مذهبية أو عائلية أو شخصية أو اقتصادية أو معاشية اذا ما تعارضت مع تلك الاخوة الاسلامية . ذلك لان سر الصلاح والاصلاح والفلاح وحدة الامة البريئة من الخلف البعيدة عن الانانية ، الناجية من العصبية الفردية الغيورة على الحق المجاهدة فى سبيل هذه الوحدة لو تحققت لاصبحنا كما كان أسلافنا قادة الامم ومنار الانسانية ولظللنا هداة الناس الى الحق والخير والفضيلة .

ان الاسلام حينما يدعونا الى تحقيق وحدة هذه الامة والعمل دائما على بقائها انما يرد الامة الى فطرتها الاولى (**فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) فقد خلق الله الناس قابلين للتوحيد والاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل موافقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر .. ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن : ومنه قوله عليه الصلاة والسلام (**ما من مولود الاويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) والفطرة الاسلام : وقال الزجاج معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الايمان على ما جاء فى الحديث (**ان الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم فقال تعالى** (**واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**) وكل مولود هو من تلك الذرية التى شهدت بأن الله تعالى خالقها فمعنى فطرة الله دين الله تعالى : وفى هذا المعنى قول الله تعالى (**لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين**) يقسم الله جل شأنه أنه قوم الانسان أفضل تقويم . وركبه أحسن تركيب وأكد الله ذلك : لان الناس بغفلتهم عما كرمهم الله به من التعقل كأنهم ظنوا أنفسهم كسائر أنواع العجماوات يفعلون كما تفعل لا يمنعهم حياء ولا تردهم حشمة خصوصا وقد قال بعضهم ان الانسان خلق ميالا الى الشر فيقول الله سبحانه مبينا فساد هذه المزاعم : **ان الانسان فطر أحسن فطرة نفسا وبدنا وكرم بالعقل الذى ساد به العوالم الارضية وأطلع به على ما شاء من العوالم** السماوية .. **وقد كان الانسان فى سذاجته** بعيدا عن الاثرة حى القلب بالتراحم كما تراه فى حال الاطفال فعاش سعيدا وعاش أفراده فى نعيم الطمأنينة كان ذلك زمنا ما ـ وهو العهد الاول وما أشبهه بثمرة التين تؤكل كلها ولا يرمى منها شىء .. والانسان كان صلاحا كله لم يشذ عن الجماعة منه فرد تلك كانت أيام القناعة بما تيسر من العيش ، وشدة الاحساس بحاجة كل فرد الى الاخر فى تحصيل حاجاته وفى دفع العوادى عن النفس والعرض والمال .

تنبهت الشهوات بعد ذلك فتخالفت الرغبات فنبت الحقد والحسد وتبعه التقاطع والتقاتل واستشرى الفساد بالانفس حتى صارت الامانة عند بعض الحيوان أفضل منها عند الانسان فانحطت بذلك نفسه عن مقامها الذى كان لها بمقتضى الفطرة : وقد كان ذلك ولا يزال ـ حال كثير من الناس فهذا قوله تعالى (**ثم رددناه أسفل سافلين**) أى صيرناه أسفل من كثير من الحيوانات التى كانت أسفل منه لان الحيوان انما يصدر فى عمله عن فطرته التى فطر عليها لم ينزل عن مقامه ولم ينحط عن منزلته فى الوجود ـ أما الانسان فانه باهماله عقله وجهله بما ينبغى أن يعمل لتوفير سعادته وسعادة اخوانه ينقلب أرذل من سائر أنواع الحى .. واذا فسد الانسان فلا تسل عما يصدر عنه من هذيان أو عدوان ثم استثنى الله تعالى المؤمنين الذين يؤمنون بموجد الكائنات وبأن الله قد وضع شريعة للخير وللشر وميز بينهما ـ وجماعها العدل والاحسان فهؤلاء قد حفظوا انسانيتهم فأستبقوا لانفسهم ذلك الاعتدال الفطرى

فلهم أجر الكرامة فى الدنيا فاذا جاءهم الموت امتد بهم النعيم فلهم أجر غير مقطوع ·

ولتقرير أمر الفطرة فى النفوس لتجتمع دائما على الخير أمر الله المؤمنين أن يدخلوا فى السلم كافة فقال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين** » فقد أمر الله المؤمنين المصدقين بالله وبرسله ان يأخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه : وأن يعملوا بجميع أوامره ويتركوا جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك لتتحقق لهم معانى الفطرة السليمة البريئة : والسلم الاسلام والدخول فيه بالعمل ويؤكد الله تعالى معنى الفطرة وأنها كانت خيرا وبركة على الناس فى العهود الاولى فقال تعالى « **كان الناس امة واحدة**) فاختلفوا (**فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » **فعن ابن عباس رضى اللهعنهما قال كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله** النبيين مبشرين ومنذرين ·

وعن قتادة كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا فبعث الله النبيين الخ] فكان اول نبى بعث نوح عليه السلام ، وهكذا قال مجاهد : وما حملهم على الاختلاف الا البغى من بعضهم على بعض (**فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**) وله الحكم والحجة البالغة وفى صحيح البخارى ومسلم عن عائشة رضى **الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم** (كان **اذا قام من الليل يصلى يقول (اللهم : رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم**] وفى الدعاء المأثور اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين اماما هذا والمتتبع للعبادات التى فرضها الاسلام يرى أنها جميعا تهدف الى تطهير النفس وتهذيبها واعلاء انسانيتها وهو يرجع بها الى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ·

فالصوم هو العبادة التى تساعد المؤمن على السيطرة على شهوات النفس ونزغات الشيطان ويخلق من المؤمن انسانا يطيع الله تعالى فى السر والعلن لان الصوم سر بين العبد وربه

والزكاة بذل المال ابتغاء مرضاة الله تعالى وتنفيذا لاوامره فتوقى الانسان من مرض الشح (**ومن يوق شحنفسه فاولئكهم المفلحو ن**] وهى بعد وسيلة الى ايقاظ معنى المجتمع وبقائه حيا يحس كل انسان بحاجة أخيه ·

والحج تحرر من صبغة الدنيا وألوانها ومظاهر طبقاتها وتفاوتها وعودة الى وحدة المظهر المشابه لوحدة العقيدة والايمان فلا يرى الحاج الا الله تعالى الذى أضاء بصائرهمفتستولى عليهم عظمته ويشملهم بعطفه وعنايته ويكون شعارهم الدائم (**لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**) وبهذا يتوحدون أمام المعبود الواحد ·

والصلاة تؤكد الايمان بوحدة الله وضرورة الاتجاه اليه وحدة فى الاستعانة به والعبادة له · كما تؤكد معنى المساواة والوقوف أمام الله لا فرق بين غنى وفقير وعظيم وغيره وبهذا نرى ان الاسلام يوجه الانسان الى القيم والمعنويات ليصل به الى المستوى الفاضل الذى يليق به ويرجعه الى فطرته ·· والقرآن يعبر خير تعبير عن أثر توجيه الاسلام فى نقل الانسان من وضع لا يليق به الى وضع أسمى وأعلى بقوله تعالى (**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها**) فالذى ينتقل الى المستوى الفاضل هو الانسان الحى الذى يتحرك ويمشى بنور الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها متعاونا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان : لبنة بناءة فى جسم هذه الامة الاسلامية فليحرص كل منا على أن يستمع لنداء الفطرة ويعمل على تحقيق ما توحى به ليسعد ويسعد من حوله فى الدنيا والاخرة وليتحقق قول الله تعالى فينا (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**] ولنكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا خصوصا عند اشتداد الازمات ـ وفقنا الله تعالى الى جمع كلمتنا وتحقيق وحدتنا لننتصر على أعدائنا **وهو حسبنا وناصرنا وهو** نعم المولى ونعم النصير ·

دولتنا العصرية

فضيلة الشيخ عبد الحميد بليع

أنها لفتة كريمة تلك التى فاجأ الامة بها السيد الرئيس أنور السادات حينما أعلن فى خطبه التى تناقلها الاثير بوسائل الاعلام المختلفة الى سمع الملايين من الامة ومن العالم أجمع – أعلن فيها انه سيبنى الدولة العصرية الجديدة على أساس العلم والايمان – كما أعلن انه سيضمن الدستور الدائم بابا للاخلاق ، وقد اشاد فى هذه الخطب بما كان لامتنا من تقاليد وعادات كلها أمجاد حفل بها تاريخها المجيد مما أثلج صدور الامة جمعاء من معان ضخمة . وتوجيهات فذة لاغنى عنها لاية نفس تتطلع الى الحياة الحرة الكريمة الامنة لا فرق فى ذلك بين شرق وغرب ولا بين شعب وشعب فكانت تصريحاته هذه غيثا أحيا آمالا كبارا عفت . وجدد أمانى ضخاما درست . وبدت فى افاق الامة بشائر الخير تزدهر . وبانت على أفواه الناس بسمة الفرح تنمو وتتسع لرجوع أمتنا الى ماضيها الاخلاقى العريق . والسير فى حياتها الجديدة على ضوء مبادىء وتعاليم ديننا الحنيف لنرفع رءوسنا شامخات كما رفع الاولون ولنضع الاسس للحياة الصحيحة كما وضعوا وندعم ركائز قوتنا المادية والمعنوية بالاخلاق كما دعموا ، ولعلنا بعد نجنى ثمرات ما بذلناه من جهد كما جنوا مجدا وعزة وكرامة . وغلبة . ونصرة على الاعداء فى كل مجال — **وفيما أعتقد أن الطريق الوحيد للوصول الى هذه الغايات النبيلة ، انما هو الركائز الثلاث التى أعلنها السيد الرئيس لبناء الدولة العصرية الجديدة وهى – العلم – الايمان – الاخلاق – فان ثلاثتهما** مصدر كل خير . ومبعث كل فضيلة وقوام المبادىء الفاضلة والاخلاق الكريمة – اذ لا حياة للامة حياة طيبة الا فى أطار هذه الركائز القوية الاصيلة – وانى أستعين الله تعالى واستهديه فى بيان هذه الركائز توعية . وتوجيها وتذكرة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

العلم وهو الركيزة الاولى فى بيان السيد الرئيس قد حفلت به ايات القرآن الكريم وأشادت بفضله تصريحا وتلميحا قال « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » وقال : « **وما يعقلها الا العالمون** » وقال : « **وقل رب زدنى علما** » . والعلم فى هذه الايات معنى كلى يندرج تحته كل أنواع المعرفة التى يحتاجها الانسان وهو خليفة الله فى أرضه ولا بد له من العلم باطراف هذه الخلافة والقيام بما يحقق معنى هذه الخلافة والعلم بمجالات النفع فيها لذا شمل القرآن علوما ومعارف لم يعهدها العرب بل ولا علماء أهل الكتاب من قبل بمعنى ان القرآن أتى باصول عامة لكل ما يهم الانسان معرفته لصلاح دينه ودنياه ومعاشه ومعاده . ولبلوغه درجة الكمال روحا وجسدا وترك تفصيل هذه العلوم للمتخصصين يوضحونها للناس. فان القرآن كتاب تشريع لا كتاب تعليمى يتضمن النظريات وأدلتها وهذا واضح فى علوم الحياة كالطب والهندسة والجولوجيا والكيمياء وغير ذلك من العلوم الحديثة التى يعنى بها الان العالم شرقيه وغربيه ويتبارون فى استخدامها والحصول

على انتاجها رغبة فى التقدم والرفعة • وحبا فى ذيوع الصيت والسمعة والانفراد بانتاج مالم يستطع الغير انتاجه لتكون له اليد الطولى والكلمة المسموعة فى الناس اجمعين ومن أجل هذا نرى الدول الكبرى فى هذه العلوم يتنافسون وبها ـ يتصارعون رجاء الغلبة والتفوق فى شئون الحياة ولا يعلم مدى هذا كله الا علام الغيوب **وأن من دواعى الغبطة ان أقول ان التفوق فى هذه العلوم كان طابع الامة الاسلامية اول عهدها بالاسلام وعنها نقل الغرب وعليها تتلمذ** وجد واجتهد حتى ورث التفوق والتنافس وأن الامل معقود على فضل الله وحسن توفيقه ان يوجه المسئولين منا وذوى النخوة والغيرة فينا لاعادة هذا المجد التالد واحياء تراث أباء جدوا وعلم أسلاف برزوا لتتربع الامة فى مكانة التفوق ثانيا ولترفع الصوت عاليا بأنها ام العلماء المحدثين وما ذلك على الله بعزيز •

اما العلم بالشئون الدينية فقد انفرد به القرآن الكريم جملة وتفصيلا فان تشريع الله وحده لايد لاحد فيه ولا سلطان لاحد عليه وهو العلم بالله والعلم برسل الله والعلم بكتب الله ـ والعلم بما تضمنت هذه الكتب من مبادىء وتعاليم وأحكام كقانون للبشرية ودستور عام للانسانية •

هذا العلم يضىء الطريق للسالكين ويفتح مغاليق ابواب الخير للمجدين هو منار الهدى ومرشد الضال من اعتصم به نجا ومن تمسك به وصل **لذا أحل الله أهل هذا العلم مكانة سامية وأنزلهم منزلة رفيعة عالية اذ يقول « يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »** ويقول : « **أنما يخشى الله من عباده العلماء ! وحبذا لو يعن المؤمنون الان بتعلم هذا العلم ولو بقدر ما يصحح العقيدة والعبادة** لكل فحسب ثم يعلمونه أبناءهم وبناتهم وزوجاتهم وأمهاتهم وأخوانهم ليؤدوا بذلك الامانة المعلقة باعناقهم نحو هؤلاء جميعا وهم عنها بين يدى الله مسئولون ·· « **يوم يفر المرء من اخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** » وحبذا كذلك لو ان دور **التعليم جميعا أميرية وغير أميرية من الابتدائى الى العالى يعنون عناية خاصة بهذا العلم ينسقون مناهجه تنسيقا يحقق النتيجة المرجوة منه فى تربية الفرد وحضارة المجتمع ليكون أفراد الامة جميعا لبنات صالحة لبناء الدولة العصرية الجديدة التى يريدها السيد الرئيس •**

أما الايمان وهو التصديق بالشىء واعتقاده ـ يندرج تحت هذا المعنى كل أمر بلغ العلم به درجة اليقين والاعتقاد فيقال مثلا أنا مؤمن بمبدأ كذا او بحق الانسان فى حريته ووطنه •

أى أنا مصدق بهذا ومعتقده لايداخلنى فيه شك ولا ريب ـ وأول ما يصدق معنى الايمان يصدق على العقيدة الدينية الصحيحة التى جاء بها رسول الله والتى نزل بها القرآن وهى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره حلوه ومره • ولا يكون الايمان صحيحا الا بعد بحث مقوماته والاقتناع بما افضى اليه البحث والدليل بهذا تكون عقيدة ويكون تصديقا وأيمانا اما قول الشخص أنا مؤمن دون بحث مقومات هذا الايمان فهو ايمان قولى موروث لا يفيد صاحبه ما يفيده الايمان الناشىء عن البحث والاقتناع ـ ولهذه العقيدة الايمانية الكبرى شعب كثيرة تمتد فى جوانب الحياة كلها تصلح ما فسد وتقوم ما اعوج قال الرسول « **الايمان بضع وستون او سبعون شعبة** » واذا تمكنت هذه العقيدة الايمانية من نفس الشخص وأشر بها قليه فانها تخلق منه أنسانا كامل الرجولة ماضى العزيمة قوى البأس ·· ناضج الرأى • يعاف الدنايا • ويهوى كريم السجايا كما يقول الرسول الامين « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » هذه العقيدة تبعث فى المؤمن القوة فى الحق والصمود فى وجه الباطل لا يخشى فى ذلك بأسا ولا ترهبه صولة ولا تهزه تحديات مهما كان مصدرها • وترقى بصاحبها فى أفاق المعرفة حتى يرى المثل العليا فيتأسى بها ــ بها يتمدح . وفيها يجاهد . وعليها يحافظ وتنير بصيرته كذلك حتى تكشف له عن المبادىء الحية وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع فيتقلدها ويرعاها ، ويؤمن بعزتها وعظيم مزاياها يؤمن بالوحدة الشاملة كمبدأ ، ويؤمن بالحرية الكاملة كحق من حقوق الانسان له حق الحرية فى عقيدته وحق الحرية فى رأيه وحق الحرية فى عمله وحق الحرية فى أرضه ووطنه ولا شك ان الايمان بالمبدأ يجعل صاحبه يستميت فى المحافظة عليه ويستعذب فى سبيله كل شاق ويستمرىء كل عنف ويبذل كل مرتخص وغال • لا تغريه الاغراءات ولا تنال منه التهديدات بل لا تزيده الا صمودا ولا تلقى منه الشدة الا كفاحا ونضالا حتى يبلغ الهدف ويحقق الغاية وها هم أولاء اصحاب رسول الله كانوا لا يزيدهم ايذاء قريش الا استمساكا بالحق واستعانة على المبدأ **انظر بلال بن رباح كان القرشيون يطرحونه على الارض وقت الهجيرة وقد خلعوا عنه ملابسه ويأتون بالحديد المحمى** يضعونه فوق ظهره فيبقى بلال بين نارين نار تنبعث من الرمضاء ونار تهبط من الحديد المحمى وكان مع ذلك يقول « **أحد أحد ، فرد صمد** » ويمر به رسول الله فيقول له « **أحد ينجيك** » **هكذا كان الايمان بالمبدأ** وهكذا الاحتفاظ به والدفاع عنه ـ وان أمتنا الان تعانى فى سبيل الحفاظ على المبدأ ما يعانيه المستبسلون تبذل فى سبيله فلذات

اكبادها والعزيزا من أموالها تسترد أرضا سلبها عدوا عات غوى اثيم تستعيد ارضا عزيزة تقدم فى استعادتها الارواح رخيصة ولن تفرط فى شبر منها ما دام هناك عرق ينبض ونفس يتردد والامل فى النصر معقود على نصر الله القائل « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان السلاح الوحيد الذى انفرد به جيش المسلمين فى غزوة بدر الكبرى هو الايمان - وهو لا غيره الذى رفع راية نصر المسلمين على جيش المشركين المستكمل عناصر النصر كلها ظاهرا ولكن « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » · أما الاخلاق وهى الركيزة الثالثة فالخلق هو سجية الانسان وطبيعته فى السلوك وهى أما سجية حميدة او سجية نميمة والذى يصلح لبناء المجتمعات انما هو السجية الحميدة التى توجه الانسان الى ادب السلوك مع الله ومع الناس مع الله بطاعته ، امتثال امره واجتناب نهيه - ومع الناس بحسن عشرتهم والرحمة بهم وحب الخير لهم ودفع الضر عنهم فلا يهضم لهم حقا ولا يظلم احدا ولا يغش ولا يخدع ولا يثلم عرضا ولا ينتهك حرمة — اذا حدث صدق واذا حكم عدل واذا اؤتمن حفظ واذا وعد وفى وعلى هذه الخلال تبنى الدول والمجتمعات ولقد صدق الشاعر اذ يقول

فانما الامم الاخلاق ما بقيت
فأن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فنعما هى فأنها رباط الاخوة · وغراس المودة · وسبيل الوحدة وأن كان لفظها صغير المبنى لكنها فى واقعها عظيمة المعنى تحوى من المعانى أدقها ومن المكارم ارفاها وارقها ولا غنى لاحد عنها اذ لا حياة لفرد أو جماعة الا بها كالماء والهواء لا حياة لكل كائن الا بهما ولا بقاء لاى حى الا فى رحابهما كذلك الاخلاق الفاضلة لا حياة لفرد ولا لمجتمع الا فى ظلالها واذا انحرف عن هذه الظلال عابر ؟ ضل الطريق السوى · وانزلق الى هوة سحيقة من الرزايا والرذائل وكانت عاقبته خسرا فما نرى الان فى بعض الافراد من ذلة وتعثر فى الحياة وما نرى كذلك فى الامم من انحطاط وتخلف عن الركب فهو نتيجة حتمية لسوء الخلق والاندماج فى سلك الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - ولا اكون مبالغا اذا قلت ان مجافاة الاخلاق والعدول عن جادتها تتجلى واضحة فيما عليه الكثير من شباب الجيل الحاضر فتيانا وفتيا تمن زى خليع يأباه التقليد العربى ومن تخلع فى المشية وتكسر فى الكلمة يأنفمنه الذوق الشرقىوفوق هذا فانه يسبب غضب الله ومقته وارجو انيكون فى التشريع الجديد ما يقف بأمثالهذا عند حد اللياقة ويوجهه الى صيانة الشرف والدين والخلق والله ولى التوفيق ·

قطوف

الأستاذ على الجندى

بر الوالدين :

حدث الامير اسامة بن منقذ : أن عمه « أبا المرهف نصر » كان قد أخرج من ماله حجه عن والدته التى ماتت ، فرآها فى نومه — وقد حمدت بره — تنشده هذه الأبيات ، التى استيقظ ، وهو يحفظها كما أنشدتها :

جزيت من ولد بر بصالحة
فقد كسبت ثوابا آخر الزمن
وقد حججت الى البيت الحرام، وقد
أتيته زائرا يا خير محتضن
فلا تنلك يد الأيام ما طلعت
شمس ، وما صدحت ورقاء فى فنن

الضمير فى أتيته زائرا للرسول — صلى الله عليه وسلم —

مخاطبة أهل القبور !

عن أبى بريدة عن أبيه — رضى الله عنهما — قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعلمهم اذا دخلوا المقابر أن يقول قائلهم : « **السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وانا بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية** »

[بريدة — بضم الباء وفتح الراء]

فقد الصحاب !

كان الرقاشى يجتمع اليه جماعة من أصحابه واخوانه يتحدثون ويتذاكرون •

فغاب عنهم فى بعض أحواله ، ثم رجع بعد مدة فوجد بعضهم قد مات ، وبعضهم قد غاب ، فوقف على مجلسهم وبكى ، ثم قال :

لولا التطير قلت غيركم
ريب الزمان فخنتم عهدى
درست منازل كنت آلفها
من بعدكم ، وتغيرت بعدى

وفى معناه يقول آخر :

دعنى وتسكاب دمعى فى منازلهم
فالشئون ولى من بعدهم شأن
أحبابنا ما الديار اليوم بعدكم
تلك الديار ، ولا الأوطان أوطان

مصيبته هونت المصائب !

قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءك :

فقالت : ان فقدى اياه ، أمننى كل فقد سواه !

وان مصيبته هونت على المصائب من بعده ، ثم أنشدت :

من شاء بعدك فليمت
فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظرى
فبكى عليك الناظر
ليت المنازل والديا
ر حفائر ومقابر
انى وغيرى لا محا
لة حيث صرت لصائر

دار السلام :

قال — تعالى — : « **لهم دار السلام عند ربهم** »

دار السلام : هى الجنة •

وفى تسميتها دار السلام وجهان :

أحدهما : لأنها دار السلامة من كل آفة •

والثانى : السلام هو الله — سبحانه — والجنة داره •

وفى قوله — تعالى — « عند ربهم — وجهان :

أحدهما : يعنى أن دار السلام عند ربهم فى الآخرة، لأنها أخص به •

والثانى : معناه : أن لهم عند ربهم أن ينزلهم دار السلام •

معنى الشح فى القرآن :

روى الاسود عن ابن مسعود — رضى الله عنه — :— أن رجلا أتاه ، فقال : انى أخاف أن أكون قد هلكت ! قال : وما ذاك ؟

قال : سمعت الله — عز وجل — يقول : « **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدى شيئا !

فقال ابن مسعود : ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله — تعالى — فى القرآن ، **انما الشح** الذى ذكره الله — تعالى — فى القرآن ، **أن تأكل مال أخيك ظلما ! ولكن ذلك البخل ، وبئس الشىء البخل •**

يريد : أن خلقك هذا ليس شحا ؟ ولكنه بخل ؟ وهو مذموم أيضا .

وفى اللسان عن ابن مسعود — أيضا — : الشح : منع الزكاة ، وادخال الحرام .

خطبة جمعة للرسول !

عن أبى الدرداء — رضى الله — قال : خطبنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم جمعة، فقال : « **أيها الناس ، توبوا قبل أن تموتوا ، وبادروا الاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا** ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم تسعدوا ، وأكثروا الصدقة ترزقوا ، وأمروا بالمعروف تخصبوا ، وانهوا عن المنكر تنصروا . أيها الناس ان أكيسكم أكثركم للموت ذكرا ، وأحزمكم أكثركم له استعدادا ، الا وان من علامات العقل ، التجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور ؟؟

سخط المخلوق ، وسخط الخالق !

عن صالح المرى — رحمه الله — قال : لما غضب أبو جعفر المنصور على وزيره أبى أيوب المريانى ، وقتله وخرب داره ، دخلت الى هذه الدار يوما أطوف فيها وأعتبر ، فاذا رجل أسود قد خرج على من بعض الحجر ، فقال لى : هذا سخط المخلوق ! فكيف بسخط الخالق ؟ !

شعر حكيم !

عن محمد بن يزداد ، قال : دخلت على المأمون يوما ، فرأيت بيده رقعة ، فقال لى : يا محمد ، هل قرأت ما فيها ؟ قلت : هى فى يد أمير المؤمنين .

فرمى بها الى ، فاذا فيها مكتوب :

انك فى دار لها مدة
يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بنا
يقطع فيها أمل الآمل
تعجل الذنب لما تشتهى
وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا بغتة
ماذا بفعل الحازم العاقل

ماذا : أى ما هذا بفعل الحازم

قال ابن يزداد : فلما قرأتها ، قال لى المأمون : هذا من أحكم شعر قرأته .

الله نعم الذخر !

باع عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن عبد الله ابن مسعود — رحمهم الله — دارا بثمانين الف درهم . فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا !

فقال : أنا أجعل هذا المال ذخرا لى عند الله — تعالى — وأجعل الله — سبحانه — ذخرا لولدى !

ثم تصدق بالمال .

انصاف خليفة لشاعره !

كان أبو جعفر المنصور أنزل أبا دلامة الشاعر ، فى دار بالقرب من قصره .

ثم احتاج المنصور اليها ، فأمر باضافتها الى القصر .

فدخل عليه أبو دلامة ، فأنشده :

يابن عم الرسول دعوة شيخ
قد دنا هدم داره ودماره
ان يحر عسره بكفيك يوما
فبكفيك عسره ويساره
هل يخاف البوار شاعر قوم
قدمت فى مديحهم أشعاره
لكم الأرض كلها فأعيروا
شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكأن قد قضى وخلف فيكم
ما أعرتم ، وأقفرت منه داره

فاستعبر المنصور ، وأمر بتعويضه دارا خيرا منها ، ووصله !

[ان يحر عسره : اى يرجع .]

شعر الاحلام !

روى : أن رجلا تعاهد هو وامرأته : أيهما مات لا يتزوج الآخر بعده . فمات الرجل . وأوفت المرأة العدة ، وتقدم لها الخطاب فامتنعت وفاء بالعهد . فمازال بها النساء يسهلن عليها الأمر ، ويزين لها الزواج حتى أجابت ! وحمل اليها الصداق! فرأت قبل دخولها بليلة : كأن زوجها قد وقف بالباب ، وجعل ينشدها :

حييت ساكن هذا البيت كلهم
الا الرباب فانى لا أحييها
استبدلت بدلا منى ، فقد علمت
أن القبور توارى من ثوى فيها

فاستيقظت مرعوبة ، وقد حفظت الابيات ، فردت ما قدم لها من الصداق وقالت : والله لاضمنى وبعلا بيت أبدا !

وصية أرسطو للأسكندر :

كتب الفيلسوف أرسطو الى تلميذه الاسكندر المقدونى كتابا ، يوصيه فيه بمصالح ملكه ، ثم قال له فيه : اعلم أن الايام تأتى على كل شىء ، فتخلق الافعال ، وتمحو الآثار ، وتميت الذكر ، الا ما رسخ فى القلوب ، بمحبة تتوارثها الأعقاب ، فاجهد أن تظفر بالذكر الذى لا يموت ، بأن تودع الناس محبة يبقى بها ذكر مناقبك !

البر و الإيمان

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

فضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

البر كلمة جامعة لكل أفعال الخير ولصفات الكمال الانسانى التى يسعد بها الناس فى دينهم ودنياهم والبر اسم من أسماء الله تعالى وقد جاء فى سورة الطور « **انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم** » واذا وصف العبد بأنه بر أو بار فيكون كثير الطاعات وفير العبادات ولذلك جعل مقابلا للفجور فى قوله تعالى « **ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم** » وجعل مقابلا للاثم أيضا فى قوله عز وجل « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »

وجاء البر بمعنى الاحسان الى الغير « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » ولذلك سمى الاحسان الى الوالدين برا كما قال عيسى عليه السلام « **وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا** » وللابرار عند الله أجر عظيم ومقام كريم « **ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم** »

والبر ككل القدرات ينمو بالعبادات والطاعات التى شرعت لتهذيب النفس وغرس ملكات الخير فيها ٠ فالصلاة تربى الخشية من الله عز وجل وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتطهر الروح والزكاة تربى حب الخير للغير وتوحى بالاحسان الى بنى الانسان وتستل الضغينة من قلوب المحتاجين الحاقدين على الواجدين الموسرين والصوم يعلم الصبر والاحتمال ويكبح جماح النفس بالطاعة والقناعة ٠ والحج يروض النفس على تلبية نداء الضمير بتخليص العبادة لله وحده لا شريك له ويحقق المساواة فلا استعلاء ولا كبرياء والناس كلهم من آدم والكل فى حق الحياة سواء ٠ وهو المؤتمر الاسلامى الاكبر الذى يوجه الى التعاون والتآزر وفى وحدة الصفوف قوة ترهب الاعداء وتصون الحق والعدل والسلام ٠ وأما التفرق فيوزع القوى ويبعث فى النفوس الانانيات الكريهة ومن مظاهر الوحدة التعاون الذى يصان به الامن وتتحقق به العدالة وتختفى فى ظله الانانيات الدالة على عدم النضوج فى معرفة قواعد الحياة الجادة الصادقة التى تنبذ الهوى وتتجنب خيانة الامانة ومخالفة الضمير ٠

وللحياة علوم وضحتها شريعة الاسلام ولكن تطبيقها على النفس لا يبلغه الا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وفى الحديث (اذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن) والحق أن الايمان ليس بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وبالايمان وبالبر يسعد الانسان فى دنياه وآخرته « **ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم**

نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »

وأما الايمان فقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة نذكر منها

« **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير** » ٢٨٥ البقرة

« **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور** » ٢٥٧ البقرة

« **فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما** » ١٧٥ النساء

« **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون** » ٨٢ الانعام

« **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وأذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** » الانفال

« **يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » ٧ محمد

« **يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم** » ١٠ الصف

« **والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** »

وفى الحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

ويقول عليه السلام فى التعاون والمناصرة والتراحم بين المؤمنين

« من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والاخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والاخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أغاث ملهوفا كتب الله ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله واثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة وما من أمرىء يخذل امرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرىء ينصرمسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته ومن قضى لاخيه المسلم حاجة كان له من الاجر كمن حج واعتمر » وفى هذا الحديث الشريف ارشاد وتوجيه الى التعاون الجماعى وفيه دعوة الى فعل الخير والى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، ولا ريب ان الايمان هو الاساس الذى لا يبنى عمل الا عليه ولا يقبل الا به « **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة** » ١٨ البلد .

ولن يكون المؤمن برا الا اذا تحققت فيه صفات المؤمنين المتقين الذين صدقوا وهم الذين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وهم الذين قال الله فيهم « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** » .

وقد بينت الاية التى بدأنا بها هذا الحديث صحة العقيدة ومن أثر ذلك الايمان بالله واليوم الاخر وهو يوم الجزاء الذى يتحقق فيه أمل الصالحين وما عند الله خير وأبقى وللاخرة خير لك من الاولى والمؤمن بالله واليوم الاخر تهون عليه نفسه ويهون عليه ماله فى سبيل مرضاة الله وسيادة الحق والعدل والحرية وذلك لان المؤمن يعتقد بأن الله أكبر من كل شىء وأن نعيم الاخرة دائم والدنيا ظل زائل **والايمان بالملائكة وهم خلق محجب عنا ولكنا مطالبون باعتقاد وجودهم وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .**

والايمان بالكتب المنزلة يستلزم الوقوف عند حدودها والعمل بما جاء فيها أما الايمان بالانبياء فيوحى بالتخلق بأخلاقهم والتأدب بادابهم لان الانبياء أرسلهم الله لذوى العقول لابلاغهم ما فيه سعادتهم فى الدنيا والاخرة . ورسل الله رسالتهم واحدة هدفها الايمان بالله وتنظيم أسلوب الحياة بصنع مجتمع العلم والمساواة والصراط المستقيم مجتمع العدالة والنزاهة وطهارة السلوك والزهد فى الانتهازية والانانية والاثرة وبذلك تطمئن النفس بالتوحيد

الخالص والعمل الصالح ليكون الحق للعدل لا للقوة ويومئذ يسود الود والاخاء ويختفى العداوة والبغضاء ولقد ظهر الاسلام على يد نبى أمى فى أمة أمية تقدس القوة والعصبية الطاغية فحققت دعوته الوحدة الكاملة على أحسن وجه وكانت دعوته للناس كافة وكان محمد عليه السلام رحمة للعالمين اذ هدى الانسانية الى سواء السبيل والله يقول (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) .

والشريعة المتحدة التى شرعها الله للنبيين هى القواعد الكلية التى تكمل بها الانسانية فما قامت مدنية ولا استقرت حضارة راشدة الا على مبادىء الخلق المستمد من الدين فى كل وقت وحين « **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » .

وهذا الدين يقود المجتمع للخير لانه يهذب النفوس ويربى الوجدان ويوثق العلاقات ويقوى الصلات بالجماعة الانسانية ويحترم المواثيق والعهود ويثبت الفؤاد ويعلى الهمم ويشرح الصدور . وهذا الدين القيم يقود النفوس الى الانطلاق لفعل الخير والى وحدة تجمع القوى وتوجد التعاون بين الافراد فما بلغت جماعة ما تريد من عز الا بالوحدة مع التعاون الصادق الذى يتم به العدل وما سارت أمة على سنن الرشد الا باختفاء الانانيات الذاتية والانانيات دليل على عدم النضوج الاخلاقى الذى يوزع القوى وينافى حب الخير للناس واقامة الدين تكون بفهمه فهما تاما مع عدم التفرق فيه والايمان أمر فطرى اذ أن أكثر الناس حينما يراجعون أنفسهم ويحتكمون الى عقولهم يرشدهم تفكيرهم الى أن لهذا الكون ربا جبارا قادرا قهارا عليما خبيرا سميعا بصيرا لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء يدبر الامر فى هذا الوجود كله بنظام بديع محكم (**الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**) (٢ ـ ٤ الرعد)

والعلم بأسرار الكائنات يرشد العقل المستنير الى معرفة الله لان دعوة القرآن لهداية الانسان قامت على تحرير العقول من الاوهام واطلاق الفكر لمعرفة الايات الكونية التى يطالبنا ديننا باكتشافها لان الناس بعلمهم بها سيزداد ايمانهم بربهم الذى يقول :

« **قد فصلنا الايات لقوم يعلمون ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » فالعلم وسيلة لزيادة الايمان بالرحمن الذى علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ــ

لكن الذين ألغوا عقولهم وآمنوا بوراثة العقيدة تقليدا لابائهم لا يتدبرون القرآن ولا يفكرون فى آيات الله فى الافاق وفى أنفسهم ولو ترك هؤلاء الناس سدى لضلوا وأضلوا كثيرا . فكان طبيعيا ألا يترك الانسان الى مداركه الشخصية الحسية والى نظرياته الفردية لكيلا يضل عن طريق العقل نفسه ومن ثم كانت حاجة الناس للهدى ضرورية ـ ولولا هدى الله ما احتمل الانسان الحياة الدنيا بما فيها من المكاره والتناقض ، فمن فقد الاهل الى فقد الجاه ، ومن الفقر والمرض بعد الثراء والصحة ـ ومن الشرف الرفيع الى المذلة والمهانة ـ ولكن الايمان بالله يخفف أعباء الحياة ويطمئن القلب بالرضا بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء ، « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب** » ومن مظاهر الاطمئنان الحرية التى تصحح الاقتناع بالعقيدة عن طريق التفكير الحر فلا يعد المكره على عقيدة مؤمنا بها (**لا اكراه فى الدين**) (**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء**) « البقرة ٧٣ » وبهذا منح الإسلام غير المسلمين حرية الاعتقاد وأمنهم على أرواحهم وعلى أموالهم وأعراضهم وعلى معابدهم يقيمون فيها شعائرهم كما يريدون بحرية دون أن يتعرض لهم أحد من المسلمين بعنت أو عذر أو اكراه ، عملا بما جاء فى الحديث من ظلم معاهدا أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه .

« فأنا حجيجه يوم القيامة » .

ثم بعد أن بينت لنا هذه الاية شرح عقيدة الايمان ـ سلك بنا هذا الارشاد الالهى طريق التهذيب النفسى ليوضح قواعد العلاقات الانسانية وما يتم به الاحسان الى بنى الانسان ، لان الانسان كائن يختلف عن غيره كل الاختلاف فهو كثير الحاجات متنوع الرغبات يحتاج لغيره فيما يقوم البدن ويستره ويصلح نفسه من التهذيب والعلم فلا يعتبر المرء وحدة منفصلة عن الجماعة بل يجب أن يعتبر جزءا من وحدة متماسكة ومتمما لها ولابد أن يتبادل مع أجزاء الوحدة ما يحفظ هذه الوحدة ويحميها من العاديات وعليه أن يقدم من علمه وماله وعقله ومواهبه لصيانة الجماعة وقد أرشد الله الى ما ينبغى أن تكون عليه الجماعة من التعاون فحثهم على الانفاق حيث يكون البذل محببا ومطلوبا مع رياضة النفس على حبه واعتياد بذله بسخاء (**وآتى المال على حبه**) والذين يتحتم البذل

اليهم هم أهل القرابة واليتامى والمساكين من سأل منهم ومن لم يسأل والغرباء المنقطعون عن بلدهم ومالهم والعبيد الارقاء ليتحرروا والانفاق اليهم اما بعتقهم أو بشرائهم وعتقهم ليتخلصوا من مواليهم .

وبدأ سبحانه بذوى القربى لان الانفاق عليهم صدقة وصلة رحم وثنى باليتامى ليتحقق التكافل الاجتماعى فى الجماعة حيث يجب على الجماعة البشرية صيانتهم وحمايتهم اذا فقد هؤلاء الضعاف عائلهم .

وقد شرع الله الزكاة وجعلها فريضة وجعل باب الصدقة مفتوحا وغير محدود بمقدار معين ولا بزمن معين ولكنه يختلف باختلاف الضيق والسعة . وبعدئذ بين الله سبحانه وتعالى أن الصلاة صلة بين العبد وربه لانها تصرف الانسان الى ذى العزة والجلال الى المحاسب على الاعمال الى الله المعبود وحده لا شريك له وفى الصلاة تدريب عملى على دوام مراقبة الله فى السر والعلن لتصدر الاعمال وفق أمر الله عز وجل لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر « أن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين » الاية .

ومما عده الله برا الوفاء بالعهد والصبر والوفاء بالعهد يكون مع الله ومع العباد والمؤمن بالله ورسله قد اعطى عهد الله ورسوله والتزم بالوفاء به باتباع ما قضى به الله ورسوله ليهتدى بهدى الرسل عليهم السلام . والعهد مع العباد التزام بتبادل المنافع ليكون المؤمن وفيا بعهده عضوا صالحا حسب استعداده وقدرته ليشارك بما وهبه الله فى النهوض بمجتمعه الذى يعيش فيه فكل مسئول ملتزم أن يوفى ذلك العمل وأن يجيده ويتقنه الا يجعله وسيلة لاكل أموال الناس بالباطل فلا يظلم الناس ولا يتعالى عليهم وهناك التزامات بين العبد والعبد وهى العقود الفردية يجب الوفاء بها ولذلك كان أداء الامانات برا واحسانا وكان الغدر نقيصة وأفسادا ... وأذا نظرنا الى ما حل بالامم من فساد وجدناه راجعا الى فساد الذمم ونقض العهود وخلف الوعود والافك المفترى ومن مظاهره الالاعيب والاكاذيب والله من ورائهم محيط ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وقد جعل الله الصبر برا لان قوة الاحتمال شجاعة وانتصار على النفس اللوامة والصبر على النوائب وعلى الفقر وفى ميدان القتال كل ذلك بر . لان حبس النفس فى الحرب شجاعة وحبس النفس فى المصائب سعة صدر وحبس النفس عن الكلام يسمى كتمانا وحبس النفس عن فضل المال يكون زهدا وحبسها على الغيظ يعتبر حلما .

ولكن الصبر فى البأساء والضراء أشد احتمالا وقد ذكر الله الصبر فى القرآن الكريم فى أكثر من سبعين مرة وأعد للصابرين اجرا عظيما « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » ويقول عمر رضى الله عنه « عليك بالصبر (واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الاخر « الصبر فى المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله »

ثم ختم الله سبحانه هذه الاية التى جمعت صفات الخير وافعال البر بقوله أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون تنبيها الى ان الذين اتصفوا بهذه الصفات كانوا من الصادقين المتقين . والله نسأل ان يجعلنا من البررة الاخيار ومن الصادقين المتقين انه نعم المولى ونعم النصير .

أسس الحضارة الإسلامية

كان ظهور الاسلام ايذانا بظهور حضارة اسلامية راقية ، فقد عمل الاسلام على تخليص البشر من شوائب ورذائل الجاهلية ، ومنح الناس مثلا عليا فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وأنار أمامهم السبيل ليصلوا الى الرخاء والى السعادة والرفاهية • وكان مولد الحضارة الاسلامية بعد ميلاد الاسلام بقليل ، بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة ، حيث بدأ الاستقرار الروحى والفكرى والاجتماعى ، وسرعان ما امتدت الحضارة الاسلامية الزاهرة الى أرجاء الجزيرة العربية ، وتعهدها الخلفاء والحكام المسلمون ، فى العصور التالية ، حتى أصبحت حضارة عالمية واضحة المعالم ثابتة الاركان •

الدكتور علي حسني الخربوطلي

واذا كانت الحضارة هى خلاصة الجهود البشرية ، فان هذه الحضارة لابد أن تقوم على أساس دينى ، بل تكون من خلقه ونتائجه • فالاديان ليست نظريات فلسفية او مجرد طقوس وعبادات ، بل هى وجود اجتماعى ، يقوم على الايمان والعلم والعمل • والدين هو أقوى حافز للامم على الوصول الى ذروة الحضارة والتقدم العلمى • ولابد أن تقوم الحضارة على الاخلاق الفاضلة والعلوم النافعة للبشرية •

وقد أثبتت الحضارة الاسلامية وجودها على مر العصور التاريخية ، فهى تمنح البشر حلولا كاملة لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فالاسلام نظام عالمى قائم على أسس اجتماعية وحضارية لا نظير لها فى أى مذهب دنيوى حديث : والحضارة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وتتمشى مع التطور البشرى ونمو المجتمع الانسانى •

والاسلام يحث على الحضارة ، وعلى التقدم العلمى ، فالعقل هو منبع العلم ، والعقل هو هبة الخالق العظيم • ولذا يجب أن تكون الافكار الانسانية كلها نابعة من الدين وتميزت الحضارة الاسلامية عبر التاريخ بتقديس حرية الفكر ، ورعاية حرية الانسان وكرامته ، وتشجيع المعارف ، وتحقيق الاخاء والمساواة بين الناس جميعا ، وتوفير العدالة لهم ، وحماية المثل العليا والقيم الاخلاقية • والحضارة الاسلامية تتلاءم مع سائر البيئات الطبيعية ، وتسير فى طريق واحد مع التطور الزمنى ، وهى تمنح البشر طاقات روحية وخلقية وعقلية كثيرة ، فأذا تفاعلت مع الطاقات المادية خلقت نوعا من الحضارة الزاهرة •

والحضارة الاسلامية تهب المجتمع الانسانى وسائل الحياة الدنيوية ، وترسم له طريق السعادة والرفاهية ، وهى تجعل المعارف والعلوم مشاعا بين البشر جميعا ، على اختلاف أممهم وأجناسهم وألوانهم وبيئاتهم • ويجد المصلحون والمفكرون والحاكمون فى الحضارة الاسلامية، من مبادىء الحرية والديموقراطية ، ومن أخلاقيات الاسلام ، ما يصلح دائما لقيام نظام سياسى مثالى ، ومجتمع موحد قوى •

ولاتعترف الحضارة الاسلامية بالحدود الصناعية التى وضعها المستعمرون ، ولا بالحدود الجنسية التى يدعو اليها أنصار التفرقة العنصرية ، بل تتخطى الحضارة الاسلامية هذه الحدود الصناعية غير الطبيعية ، وتدعو الى مجتمع بشرى تسود فيه المؤاخاة العالمية الانسانية • ولم يكن المجتمع الاسلامى ، فى أى عصر من العصور ، فى عزلة عن العالم ، بل اتصل بغيره من المجتمعات الاسلامية ، اتصالا ايجابيا ، وأعطى وأخذ ، ولكنه احتفظ بطابعه الاسلامى الاصيل ، وحافظ على تراثه الحضارى

الاسلامى ، وساير سنة التطور ، وساهم فى البناء والتعمير وتحقيق السلام العالمى .

أنتشرت مراكز الحضارة فى العالم الاسلامى ، فكانت هناك دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وأنتقلت الحضارة من الشرق الاسلامى الى القارة الاوروبية بطريق بلاد الاندلس وجزيرة صقليه ، نتيجة اختلاط الشرقيين بالاوروبيين خلال الحروب الصليبية وفى التجارة .

واذا كانت الحضارة الاسلامية قد اقتبست بعض معالم الحضارات الشرقيه والغربيه مثل حضارات الهند والصين وفارس والاسوريين والبابليين والفينيقيين والاغريق والرومان . ولكن الحضارة الاسلاميه حرصت على التجديد والابتكار ، وتجنبت التقليد والمحاكاة . وأصبح الشرق الاسلامى استاذا لاهالى القاره الاوروبيه . واعترف المفكرون الاوروبيون بفضل الحضارة الاسلاميه على حضارة أوروبا .

والحضارة الاسلاميه تحارب روح الفردية ، وتدعو الى الروح الجماعية ، وتعارض كل طغيان دينى أو اجتماعى او مادى . فالاسلام يعترف للانسان بحريته وباستقلاله الفكرى والاجتماعى . ويدعو الاسلام الى تعاون أبناء المجتمع البشرى جميعا دون تفرقه عنصرية ، ولا تفضيل امة على أخرى ، سوى بالتقوى وما تحققه من منافع للبشريه ، ويدعو الاسلام الى الانسانية والتعاون العالمى ، وهى نفس المبادىء التى تسعى الى تحقيقها الان الهيئات العالمية دون جدوى .

خرجت الحضارة الاسلامية من الجزيرة العربية فى عهود الخلفاء الراشدين الى افاق أوسع ، تدعو الى العلم والايمان . وأقبل أهالى الاقطار المفتوحة على الاقتباس من منابع الحضارة الاسلامية . وكان للفتوحات العربية طابع فريد ، يميزه عن سائر الفتوحات عبر العصور التاريخية ، فالبرابرة الذين حطموا الدولة الرومانية ، والمغول والترك الذين أقاموا دولا عظيمة ، لم يؤسسوا حضارة ، بل عاشوا عالة على حضارات الامم المغلوبة . ولكن العرب دعوا شعوب البلاد المفتوحة الى حضارة نابعة من دين حنيف رشيد ، هو الاسلام ، وتقوم على العلم النافع والايمان بالخالق العظيم . بل أقبل هؤلاء الاهالى أيضا على اعتناق الاسلام ، وقد لمسوا ما تحققه لهم حضارته الزاهرة من استقرار وعدل ومساواة وحرية ورخاء . كما أقبلوا على تعلم اللغة العربية حتى يمارسوا شعائر الاسلام ، ويقرأوا كتاب الله العزيز ، ويتشبعوا بمعالم الحضارة الاسلامية التى حمل لواءها العرب المسلمون .

وأدت الفتوحات العربية الى خلق بيئات جديدة تنمو فيها الحضارة الاسلامية وتزدهر ، ولا شك أن بيئة الهلال الخصيب ، وبيئة وادى النيل ، توفر كثيرا من الامكانيات لتطور الحضارة الاسلامية وتقدمها . كما كان العرب الفاتحون من الذكاء والعبقرية بحيث استطاعوا ان يهضموا ويتمثلوا الحضارات البشرية القديمة التى وجدوها فى الاقطار المفتوحة ، وأعطوها الثوب الاسلامى . وكلما ازداد انتشار الاسلام ، زاد تقارب الحضارات والافراد واندماجهم فى المجتمع الاسلامى الجديد .

والحضارة الاسلامية ، بما تحفل به من علم وايمان ، خير سبيل لاقامة [الدولة العصرية] فالاسلام فكرة سامية تحدد الاهداف الرئيسية وتضع القواعد الاساسية ، وتتناول المسائل الكلية ، وتترك الجزئيات للانسان يشكلها ويطورها تبعا لظروف حياته ، ومقتضيات الزمان والمكان .. وعمومية تعاليم الاسلام ، وشمول قواعدها ، واتساع أمتها ، تجعلها تساير ارتقاء الحضارة والمدنيه . وتوصلنا الى بناء الدولة العصرية .

لقد ضاق المفكرون الاوروبيون بالمادية الغربية ، وابتعاد العلم عن الايمان ، واتجاه العلم الى المادية البحته . وأبدوا اعجابهم بالاسلام ، الذى يسير فيه العلم والايمان فى طريق واحد ، لتحقيق الرخاء والسلام فى العالم . فيقول المفكر (ديودوروش) : « ان الاسلام دين انسانى طبيعى اقتصادى ادبى ، ولم اذكر شيئا من قوانيننا الطبيعيه الوضعية الا وجدته مشروعا فيه ، وبحثت عن تأثير الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملاها شجاعه وشهامة ووداعة وجمالا وكرما ، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة » . وقال (ادموند يورك) : « القانون المحمدى قانون ضابط للجميع، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقى ، وأعظم قضاء علمى ، وأعظم تشريع عادل ، لم يسبق قط للعالم ايجاد مثله » .

نجح العرب الفاتحون فى نشر الحضارة الاسلامية فى أرجاء القارة الاوروبية فى العصور الوسيطة . وكانت أوروبا قبل الفتوحات العربية تعيش فى بيداء الفقر والجهل والتأخر وأقام الاوربيون حضارتهم الحديثة على أساس الحضارة الاسلامية ، ولكنهم أخطأوا حين فصلوا العلم عن الايمان ، وتركوا الايمان خلف ظهورهم ، وقطعوا أشواطا بعيدة فى ميادين العلم . ولكن كثيرا من المفكرين الاوربيين أدركوا أخيرا أن العلم لا يمكن أن يقوم ويزدهر دون أن يستند الى ايمان قوى . والاسلام هو الدين الوحيد الذى يربط بين العلم والايمان .

وقد تنبه المفكر الاديب (برناردشو) الى هذه الحقيقة ، فقال : « ان أوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد ، وبدأت تعشق دينه ، وسيكون دين محمد هو النظام الذى يؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ، ويستند على فلسفته فى حل المعضلات وفك المشكلات والعقد ، وان كثيرين من المواطنين الاوروبيين يقدسون تعاليم الاسلام ، ولذلك يمكننى أن أؤكد نبوءتى فأقول أن بوادر العصر الاسلامى الاوروبى قريبة لا محالة » .

اللهم زدنا علما وايمانا ، حتى نبنى دولتنا العربية الاسلامية العصرية ، وحتى نعيد أمجاد الاجداد ، انك ولى النصر والتوفيق .

دستور الأخلاق

فضيلة الشيخ عطية صقر

لقد كانت مصر منذ فتحها عمرو بن العاص سنة احدى وعشرين هجرية دولة اسلامية عربية لا تعرف قانونا غير قانون السماء ، تستمد منه أحكامها ، وتقيم على أساسه نظام حياتها ، ولا تعرف الا اللغة العربية لغة رسمية لها ، حتى كان القرن التاسع عشر الذى حاول فيه بعض الحكام أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا ، وكانت هذه المحاولة من أكبر العوامل فى التدخل الاجنبى الذى انتهى بالاحتلال البريطانى ، ذلك الاحتلال الذى ظل يعمل جاهدا أكثر من ثمانين عاما على طمس المعالم الاسلامية ، وسلخ الامة من شخصيتها العربية ، وتربية جيل يساعد على استمرار الاحتلال وتنفيذ مخططات الاستعمار ، وذلك بالتمكين للنظم الاجنبية وضرب كل محاولة تنادى بالاستقلال والحرية ، حتى كانت انتفاضة يوليو سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف ، التى أزاحت الكابوس عن صدر الامة وسمحت لها بالتنفس العميق لنسيم الحرية وخطت فى طريق الاصلاح خطوات بعيدة المدى جذبت انتباه العالم كله .

ثم كانت أخيرا تلك الوثبة الجريئة التى أعلن بها السيد رئيس الجمهورية اعادة بناء الدولة على أساس العلم والايمان ، وتأمين الثورة بدستور يكفل الحريات ويحقق كرامة المواطنين ، تبرز فيه القيم الروحية والاخلاقية التى هى صمام الامن لكل ثورة ناهضة ، ولكل حركة يراد لها الخير من حركات النشاط البشرى على وجه العموم .

بهذه الكلمات دوت قاعة الشيخ محمدعبده بجامعة الازهر فى اللقاء التاريخى لاستطلاع رأى العلماء فى مشروع الدستور الجديد ، يوم الثلاثاء ٢٢ من ربيع الاخر سنة ١٣٩١ هـ الموافق ١٥ من يونيه سنة ١٩٧١ .

واذا كان لنا أن نسمى الدستور الجديد فلنسمه بدستور الاخلاق ، واذا كان لنا أن نتحدث عنه فليكن حديثا عن أخلاق الدستور ، وذلك بالقدر الذى يوضح لنا الرؤية ويبرز قيمة الدين ودور الاسلام فى بناء الامم وبعث الحضارات .

ان الدستور فى أساسه خطوط عريضة توضع لتكون اطارا لكل نشاط انسانى على المستوى الفردى والجماعى ، ومعالم على الطريق يهتدى بها الحائر ، ولا يحيد عنها السائر ، والطابع المميز له عن القوانين هو أنه قواعد كلية جامعة ، أكثر تركيزا وأشد تحديدا ، وهى لهذا تحتاج الى جهد جبار وأناة بالغة عند وضعها .

وأى دستور لا يضمن نجاحه ولا تبقى فاعليته الا اذا أحيط بعوامل أهمها التكيف مع الجماعة ، والاستمداد من ينابيعها الاصيلة وتراثها التقليدى وعدم الاصطدام مع خصائصها الذاتية ورسالتها فى الحياة ، مع محاولة الافادة من هذه الخصائص والميزات والمواريث فى النهوض بها وتطويرها والارتفاع بها الى المستوى الافضل .

والاخلاق فى حقيقتها كيفيات نفسية تصدر عنها الافعال بيسر وسهولة من غير حاجة الى فكر وروية ، وهى بهذا عبارة عن عوامل ودوافع لسلوك الانسان ، وفى الوقت نفسه ضوابط تنظمه وتقومه وتعطيه ما يستحقه .

وهذه الاخلاق أساسها الوراثة والبيئة ، وهى تقوى بالمران والممارسة وتظهر مواهبها بالتهذيب والتربية ، وأهم ما يقويها ويقومها هو الدين ، ذلك انه قائم على الثقة المطلقة والدينية الخالصة لمعبود له كل صفات الكمال ، منزه عن جميع صفات النقص ، وليست هذه الثقة لمخلوق من البشر ولا لمبدأ من المبادىء كائنا ما كان .

واخلاق الدستور

والاديان السماوية دساتير كاملة ، وضعها الله سبحانه ، وهو العليم الحكيم الخبير ، متناسبة كل التناسب مع القوم الذين نزلت اليهم ، فى مستواهم الثقافى والاجتماعى والادبى والمادى وبينها جميعها قدر مشترك لا يكاد يخلو منه دين ، كالعقائد والاخلاق التى لا تتغير ولا تتبدل على مدى العصور وعلى اختلاف البيئات ، فهى الطابع المميز للانسان عن الحيوان ، وبخاصة فى حياته الاجتماعية التى لا يستطيع الاستغناء عنها بحال .

والاسلام وهو أرقى الاديان وأوفاها وأعمها وأشملها وأبقاها وأخلدها ، فيه قيم أدبية ضخمة هى معالم دستوره الذى طور به الانسانية كلها ، جاءت متناسبة مع رسالته فى هداية العالم أجمع ومع المستوى العالى الذى وصل اليه المجتمع البشرى أو خطا فى طريقه خطوات واسعة وحق له بهذا أن يكون خاتمة الرسالات ورحمة للعالمين جميعا ، وأن يكون الممارسون له والعاملون به خير أمة أخرجت للناس .

هذه القيم الادبية العالية أساسها الايمان ومظهرها الاخلاق وأثرها هو السلوك ، فالعقيدة أساس كل القيم ، لانها قوة جبارة يمتلىء بها القلب وتنفعل بها النفس وتتكيف الاحاسيس ، والانسان بعقيدته كل شىء ، وبدون عقيدته لا شىء . والاخلاق التى هى مظاهر العقيدة وسائط تنتقل بها قوة العقيدة الى السلوك الخارجى فى القول والعمل وفى سائر مجالات النشاط البشرى .

ولو أخذنا خلقا واحدا من أخلاق الاسلام وهو الرحمة التى هى رقة فى القلب ، **لوجدنا لها آثارا بعيدة المدى فى سلوك الانسان الشخصى والاجتماعى ،** فى مظهريها الايجابى والسلبى فالرحمة يظهر أثرها فى السلوك الشخصى الخاص وذلك بالاجتهاد فى جلب الخير ودفع الشر ، والشعور بالكرامة والاحساس بالمسئولية والترفع عن الدنايا والطموح وعلو الهمة ، والاناة والتمهل والتروى واباء الضيم والتحرر من سلطان الغير ، والحيطة والحذر والصبر والتحمل الى غير ذلك من الصفات الشخصية التى تعطى الانسان كمالا فى نفسه فيحرر به من أسر المادة ويسمو بها الى الافاق العليا .

والرحمة يظهر أثرها فى السلوك الاجتماعى بوضوح ، فيها يكون العطف على الضعفاء ومعونة المحتاجين وتقديم المشورة وبذل النصح والدلالة على الخير وتقويم المعوج ، وبها يكون بر الاباء وصلة الارحام ، ورعاية الاولاد والمعاشرة الزوجية بالمعروف وبها يكون حسن الجوار وصدق الاخوة والوفاء بالعهد وأداء الامانة وعفة الحديث ، وبالرحمة يحافظ الانسان على حرمات الناس فلا يتعدى على نفس ولا عرض ولا مال . وبها يكون التواضع لهم والعدل معهم والامتناع عن الغيبة والنميمة وسوء الظن والتجسس والحقد والحسد ، وغير ذلك من الاخلاق التى تبعد الانسان عن عمل السوء للغير .

ولو نظرنا الى أعظم الصفات الخلقية التى مدح الله بها أعظم شخصية فى الوجود لوجدناها كلها أو جلها تدور حول الرحمة وتنبع من فيضها المتدفق ، اسمع قول الله تعالى فى مدح نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) ومن هنا صح أن يقول الله عنه (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) وأن يقول هو عن نفسه (**انما أنا رحمة مهداة**) .

ودستور الاسلام الذى ما عرف المجتمع الاسلامى دستورا غيره حتى أواخر القرن التاسع عشر قائم على القيم الروحية والادبية التى أساسها العقيدة والاخلاق ، تلك الاخلاق الشاملة الجامعة التى نظمت جميع علاقات الانسان مع ربه ومع نفسه ومع مجتمعه الذى يعيش فيه . وفى القرآن وهو الوثيقة الرسمية للدستور فقرات كثيرة ومجموعات متكاملة من المواد

الخلقية هى نماذج لغيرها من الاخلاق ، وصف بها عباد الرحمن ، ووصف بها المؤمنون المفلحون وتنزلت بها جميع الكتب ودعت اليها كل الاديان .

اقرأ ان شئت صفات عباد الرحمن فى آخر سورة الفرقان ، وصفات المؤمنين الصادقين فى سورة المعارج وفى سورة الذاريات ، والقانون الاخلاقى الاجتماعى فى سورة الاسراء المبدوء بتوحيد الله وبر الوالدين وصلة الرحم والاقتصاد والرحمة بالاولاد وبالايتام وبالمحافظة على الحرمات والانفس والاعراض وبحسن المعاملة فى المبايعات والالتزام بالعهود ، وبالتواضع للناس وعدم التفاخر والبعد عن الشكوك والاوهام ، فكل أولئك كان عنه مسئولا ، وكان سيئه عند ربك مكروها ، واقرأ فى أواخر سورة الانعام ما حرمه الله وأوصى به من جميع الناس فى كل العصور **(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ..)** واقرأ كذلك وصية لقمان لابنه فهى شاملة جامعة لاصول العقيدة والاخلاق الاجتماعية والشخصية ، ففيها بر الوالدين ورقابة الله وبذل النصح للناس والصبر والتحمل والثقة بالله والتواضع لهم وعدم التكبر عليهم ، وفيها الدعوة الى التحلى بمكارم الاخلاق والحفاظ على كرامة الانسان .

ولو أردت أن أوضح كل ذلك لطال الحديث ، ولكن انظر الى أول سورة « المؤمنون » التى يقول الله فيها **(قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)** ففى هذه الايات جماع الاخلاق التى يستحق المتحلى بها أن يفوز بأكبر جائزة وأعظمها شأنا وهى الخلود فى الفردوس الذى هو منتهى آمال المؤمنين الصادقين .

ان الخشوع فى الصلاة أثر من آثار العقيدة التى تربى الهيبة فى نفس المؤمن فيخشى عقاب الله ويرجو ثوابه ويتضرع اليه صاغرا ذليلا عارفا بقدر نفسه معترفا بعجزه أمام قوة الله وبفقره لغنى الله ، والاعراض عن اللغو مظهر للكمال النفسى الذى يترفع به المؤمن عن الدنايا ولا يأبه بالباطل الذى لا يجدى نفعا ، ولا يشغل نفسه بسفساف الامور ، وأداء الزكاة مظهر مادى للروح الاجتماعية التى يدرك بها الانسان واجبه نحو المجتمع وهى تحمل فى طياتها معنى الرحمة التى بها يعيش الانسان بعيدا عن رذيلة الانانية والاثرة والانعزالية والسلبية .

وحفظ الفرج عن مقارفة المنكر وخدش العرض مظهر من المظاهر التى يعترف بها الانسان بحق غيره عليه ، وبالمحافظة على كرامة أخيه فى الانسانية لانها من كرامته هو ، وأخطر ما يهان الانسان فيه هو عرضه وشرفه فهو السمة المميزة لابن آدم الذى كرمه الله على الحيوان الذى لا يأبه كثيرا لذلك بينما يوجه أكبر همه لغنيمة مادية ينافس عليها حيوانا آخر ليستأثر بها .

ورعاية الامانة والوفاء بالعهود من أكبر العوامل التى تقرب بين النفوس وتوحد الصفوف وتقوى الرابطة الاجتماعية .

والمحافظة على الصلوات هى الملهمة لرعاية هذه الحقوق جميعا ، فالصلاة مدرسة اذا واظب الانسان على حضور دروسها والافادة منها جعلت منه رجلا مثاليا فى أخلاقه وسلوكه

يكفى فى بيان أثرها قوله سبحانه **(وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)**

وبعد : فهذه صورة من صور الاخلاق فى دستور الاسلام ، وهى أخلاق جامعة شاملة اذا دعونا الى وجوب رعايتها كأساس لسلوكنا فلا نرتكب بذلك شططا ومنبعها الاصيل هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . **(ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)**

ان الضمانات فى دستور الاسلام كافية لتطبيقه تطبيقا كاملا ، لان هناك رقابة عليا لا تجوز عليها الغفلة ولا يفر من المسئولية أمامها أحد مهما أوتى من قوة الحيلة والدهاء **(وما تكون فى شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين)** .

من فضائل الإسلام

الشجاعة والإقدام فى الحرب

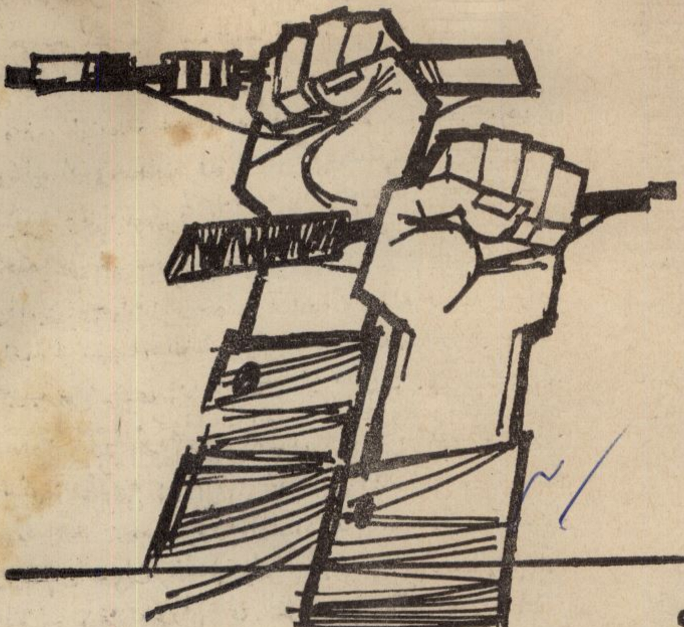

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

الشجاعة هى الشدة والبأس والحماسة والبطولة والجرأة والصرامة فى الحرب ، والاقدام هو البسالة والصمود والثبات وخوض المعارك من غير أن يطيش الانسان أو يرهب أو يعتريه جبن عند اشتداد نار الحرب . وعدم الفرار عند حماية وطيس المعارك . وعدم المبالاة بالحياة أو الموت وقت ضراوة المعارك .

ولله در القائل :

يجود بالنفس اذ ضن الشجاع بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال صلى الله عليه وسلم :ـ الجنة تحت ظلال السيوف ـ رواه البخارى ومسلم والترمذى .

سمع الصحابة هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسابقوا الى خوض المعارك فى سبيل حماية الحق وحماية السلام . ونشر الامان . وردع الظالمين ، .. روى النسائى :ـ أن رجلا قال : يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله . أتكفر عنى خطاياى . قال . نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين ـ

وقال صلى الله عليه وسلم : عجب ربنا عز وجل من رجل غزا فى سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ماعليه فرجع رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى حتى أهريق دمه ـ رواه أبو داود .

وعى هذا اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . وأراهم ايمانهم الحق الصادق الخالص لله أبواب الجنة مفتوحة للشهداء الذين يلقون ربهم فى ساحات القتال ، فكانوا أسطورة فداء وأبطال معارك شرفوا الجنس البشرى بأكمله ، يصدق عليهم قول القائل .

واذا دعوتهم ليوم كريهة
سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لاينكتون الارض عند سؤالهم
لتطلب العلات بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها
عند السؤال كأحسن الالوان

فذات يوم أراد النبى صلى الله عليه وسلم . بعد غزوة بدر . أن يعرف أسرار قريش . فاختار عشرة رجال . من بينهم . خبيب بن عدى ـ وجعل أميرهم عاصم بن ثابت الانصارى . وانطلق الرجال الى هدفهم حتى بلغوا مكانا بين عسفان ومكة . فعلم بخبرهم بنو حيان من هذيل ـ فسارعوا اليهم بمائة فارس يتتبعونهم ولما رأى أصحاب الرسول أنهم مطاردون وأن الرماة حاصروهم قال عاصم بن ثابت والله لا أنزل فى ذمة مشرك . ودارت المعركة بين مائة من المشركين وعشرة من المسلمين واستشهد عاصم وسبعة معه . واسر خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة . وقادهما الطغاة الكفرة وباعوهما فى مكة .

وسارع بنو الحارث بن عامر الى شراء خبيب ليقتلوه انتقاما لقتلاهم فى غزوة بدر ـ وحاولوا أن يساوموه على اسلامه لكنه أبى . وطلب منهم أن يصلى ركعتين لله . وبعد الفراغ من صلاته قال لهم ـ والله لولا أن تحسبوا أن بى جزعا من الموت لازددت صلاة ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، ثم أنشد .

ولســت أبالى حين أقتلُ مسـلما
على أى جنب كان فى اللهمصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشـأ
يبارك على أوصـال شلو ممزع

وغمر النبى صلى الله عليه وسلم • احساس عميق بما أصاب أصحابه وبأن خبيبا مصلوب • فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه •ايكميحمل خبيبا من خشبته وله الجنة ـ قال الزبير بن العوام • أنا وصاحبى المقداد وركبا فرسيهما ووصلا الى المكان • فاذا خبيب مصلوب على خشبة وحوله اربعون رجلا نياما • فتسلل الزبير والمقداد وحمل الزبير جثمان خبيب معه على فرسه وانطلقا فأحس بهما المشركون فلحقوا بهما . فوقفالزبير والمقداد وصوبا سهامهما الى صدور الكفار وصاح الزبير ما أجرأكم علينا يامعشر قريش أنا الزبير بن العوام وأمى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود • أسدان رابضان ـ ان شئتم ناضلتم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا ، وقدما على النبى صلى الله عليه وسلم بجثمان خبيب • وعند النبى عليه السلام • جبريل عليه السلام • فقال : ـ يامحمد ان الملائكة لتباهى بهذين من أصحابك ـ

وفى غزوة أحد ـ كان مصعب بن عمير ـ يحمل لواء النبى صلى الله عليه وسلم فلما انهزم المسلمون ثبت مصعب بن عمير ـ باللواء فجاء ابن قمئة • وضربه على يده اليمنى بالسيف فقطع يده • فأخذ اللواء بيده اليسرى فضربه على يده اليسرى فقطعها فحنا مصعب على اللواء وضمه بعضديه حتى لاتقع راية رسول الله على الارض ، فحمل ابن قمئة عليه بالرمح فأنفذه فى صدره وسقط مصعب شهيدا •

ولما أراد المشركون النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد • كان طلحة بن عبيد الله يساند النبى بيده اليسرى ويحارب الكفار بيده اليمنى ، وحين رمى مالك بن زهير النبى صلى الله عليه وسلمفىوجهه بسهم • اتقىطلحة السهم بيده • فشلت يد طلحة • وفى غزوة الخندق يوم تجمع أنصار الشيطان وتحزب ائمة الكفر وحاصروا المدينة يريدون القضاء على النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه خرج عمرو بن ود ـــ أسد الجزيرة العربية مقنعا بالحديد والسلاح • وصاح ألا رجل يبارز فقال على ابن ابىطالب انا لهيارسول الله. فقال النبىوبهأشفاق عليه اجلس انه عمرو بن ود ، فصاح عمرو الا رجل يبارز أين جنتكم التى زعمتم أنكم داخلوها ان قتلتم فقام على رضى الله عنه • فقال له النبى اجلس فصاح عمرو بن ود • وقد أخذه الغرور •

ولقـد بححت من النـداء
بجمعكم هل مـن مبـارز
ووقفت اذ جبن المشـجع
وقفـة الـرجل المنـاجز
وكـذاك أنى لـم أزلْ
متسرعـا قبـل الهـزاهز
ان الشـجاعة فى الفتى
والجـود من خير الغرائز

فقام على بن أبى طالب والح على النبى صلى الله عليه وسلم فأذن له فمشى اليه وهو يقول •

لاتعجلن فقـد أتـاك
مجيب صـوتك غيـر عاجز
ذونيـة وبصـيرة
والصدق منجى كل فـائز
انى لارجـو أن اقيـم
عليـك نائحـة الجنـائز
من ضربـة نجـلاء يبقى
ذكرهـا عنـد الهـزائز

وكان من طبيعة على أن ينصح من يبارزه ، فقال له على رضى الله عنه • ياعمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا عنك • أنك لا تدعى الى احدى خلتين الا اخترت احداهما • قال نعم • فقال على : انى ادعوك الى الله عز وجل والاسلام فقال عمرو بن ود • لاحاجة لى الى ذلك • قال له على بن أبى طالب وأدعوك الى القتال ، فقال له عمرو • يابن أخى ما أحب أن أقتلك لما كان بينى وبين أبيك . فقال له على ولكنى والله أحب أن أقتلك •

فثار عمروبن ود وأهوى اليه بالسيف فهجم عليه على • وتقاتلا قتالا رهيبا حتى ثار الغبار حولهما فلما انجلى الغبار رأى الناس عمرو بن ود مقتولا وعلى يصيح الله أكبر • الله أكبر الله أكبر ـ وفى قتال المرتدين ومدعى النبوة مسيلمة الكذاب فى موقعة اليمامة • وفى خلافة ابى بكر الصديق • كان زيد بن الخطاب يقاتل بشجاعة وبسالة ليس لها نظير • فقد كان يعمل سيفه ليصل الىالرجال بن عنفوة ــ الذى ارتد عن الاسلام وتبع مسيلمة الكذاب • وظل زيد بن الخطاب يقاتل كل من يقف فى طريقه ويقتله حتى وصل الى ـ الرجال ـ وأطاح رأسه بسيفه • وشكر الله أن مكنه من قتل هذا اللئيم المرتد عن الاسلام والذى كان أكبر سند وعون لمسيلمة الكذاب واحاط المشركون بزيد ابن الخطاب وسقط شهيدا • ولما علم عمر بن الخطاب باستشهاد أخيه. قال : رحم الله زيدا سبقنى الى الحسنيين أسلم قبلى واستشهد قبلى •

صدقوا الله ورسوله وقعـدوا مقـاعد صـدق • وحاربوا اشرف المعارك وابلوا بلاء حسنا • فنالوا الشهادة التى تمنوها من غير أن يعتريهم رهبة أو خوف من الموت •

ووالله ان النفس لتهتز اهتزازا والقلب ينفعل اجلالا وحبا واكبارا لشجاعة أصحاب رسول الله فاللهم اجعلنا خير خلف لافضل سلف • واهدنا الى مافيه سعادة الوطن وسلامة الدين •

الصبر و الإيمان

■ الأستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ■

[illegible]

للايمان دعائم ، ولكماله معالم ، ولن يتصف الانسان بالايمان ويصل الى مرتبة المؤمنين الا اذا كانت هذه الدعائم ، وتلك المعالم أساسا لكل أعماله ، وبذلك يمتلىء قلبه بهذا الاشعاع الربانى ، والقبس النورانى ، الذى يشع من القلب ، وينبعث من النفس ، فيضىء لصاحبه جوانب الحياة ، ويجعله راسخا كالجبل الاشم أمام صدماتها ؛ لا تلين قناته ، ولا تضعف عزيمته ، ولا تخور قواه ، فيتساوى عنده حلو الحياة ومرها ، يقينا منه بأن ما هو فيه قدر الله له ، ولاراد لقضاء الله ، ولا معقب لحكمه ، فيواجه الاعباء بعزم وجلد ، ويحتمل المكاره بلا ضجر ولا سأم ، ويقابل الخطوب المدلهمة بصبر وايمان ، غير يائس من فرج الله ، وغير متبرم أو معترض على حاله التى أرادها الله ، فربما كان ماهو فيه خير له فى دنياه وأخراه ، وعليه صلاح ايمانه ، وصدق ربنا سبحانه حيث يقول فى حديث قدسى :

« أن من عبادى لمن لايصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله ، وان من عبادى لمن لايصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ، وان من عبادى لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ، ولو أسقمته لفسد حاله ، وان من عبادى لمن لايصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لفسد حاله ، وانى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير » .

وقال جل شأنه فى محكم كتابه ، وهو أصدق القائلين :
« فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .
« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

لذلك كان الصبر من أبرز دعائم الايمان ، وكانت منزلته منه منزلة الرأس من الجسد ، فمن لا رأس له لا جسد له ، ومن لا صبر له لا ايمان له ، اذ الايمان معناه : الاعتقاد واليقين ، والصبر لا يتحقق الا باليقين ، فيعصم صاحبه من الزلل ، ويحميه من التخبط ، ويقيه شر القنوط .

وعلى هذا فالايمان مرتبة لا يصل اليها كل من تحققت لديه أركان الاسلام : من شهادة ، أو صلاة ، أو صيام ، أو زكاة ، أو حج ، بل لابد أن تكون هذه الاعمال ترجمة فعلية لعقيدة ثابتة ، وقرت فى القلب ، وسكنت فى الفؤاد ، لذلك أنكر القرآن الكريم زعم الأعراب الذين ظنوا أنهم صاروا مؤمنين بما قاموا به من أعمال هى فى الواقع غير مزكاة بعقيدة ، ولا مدعمة بيقين ، وصدق ربنا العظيم :

« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .

والحياة الدنيا بطولها وعرضها ملأى بالضوائق والمشقات ، حبلى بالمصائب والنكبات ، فهى محفوفة بالمكاره ، محاطة بالمتاعب لا تستقر على حال ، بل هى خليط من الفرح والحزن ، واللذة والالم ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف ، تتناوب هذه النقائض الانسان فيرى نفسه امام سلسلة من الالام لا تقف عند حد . ولا تنتهى عند غاية ، فيكون الصبر وحده هو العاصم أمام هذه التيارات المتلاحقة ، لانه نور كل ظلمة ، ودواء كل فتنة ، وصفو كل كدر ، وعماد يسند الاصلاب الكسيرة ، فيه راحة المكلوم ، وفرج المهموم ، وبوجوده يتحقق الايمان ، فلقد سئل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم — مرة : ما الايمان ؟ فقال : « الصبر » وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — عليه صلاة الله وسلامه — دخل على الانصار ، فقال : « أمؤمنون أنتم ؟ » فسكتوا ، فقال عمر : نعم يارسول الله ، فقال : « وما علامة ايمانكم ؟ « فقالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر على الرخاء ، ونرضى بالقضاء ، فقال — صلى الله عليه وسلم — : « مؤمنون ورب الكعبة » وقال بعض الصحابة الاجلاء — رضوان الله عليهم أجمعين — : « ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى » .

ولما كانت الدنيا مرحلة انتقال ، ودار امتحان ، كان على الانسان أن يكرس جهده ، ويعد نفسه دائما لاجتياز امتحاناتها بنجاح وتفوق ، فان الابتلاء فى الدنيا يصهر الناس ، ليكشف عن معادنهم ، كما أن الذهب يصهر بالنار ، ليعرف جيده من رديئه ، وخالصه من زائفه ، وصدق الله العظيم :

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

«ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

وليس ابتلاء الانسان فى الدنيا دليلا على عدم رضى الله عنه ، بل ان الابتلاء عنوان حب الله للعبد ، لانه اما أن يكون طائعا فتحط عنه خطاياه ، أو ترفع له درجاته ، واما أن يكون عاصيا منصرفا عن ربه فيمسه الضر ، ليفيق من غفلته ، ويتيقظ من رقدته ، ويلتجىء الى الله داعيا أن يكشف عنه ضره ، ويزيل كربه ، فيرفع يديه الى السماء فى خشوع وخضوع متذكرا رحمة مولاه ، قائلا : يارب ، فيجيبه الحق تبارك وتعالى : لبيك ياعبدى لان الله سبحانه يحب أن يضرع اليه عبده بالدعاء ، والرجاء ، فيتحقق بذلك جلال الربوبية ، وخضوع العبودية ، فقد ورد أن موسى — عليه السلام — قال فى بعض مناجاته : يارب ، فسمع الاجابة من المولى العظيم : لبيك يا موسى ، فتعجب موسى من اجابة ربه ، وقال : يارب ، أنت فمن أنا حتى تجيبنى بالتلبية ، فقال الله سبحانه : ياموسى ، انى آليت على نفسى ألا يدعونى عبد من عبادى بالربوبية الا أجبته بالتلبية ، فقال موسى : وهذا لكل عبد طائع ، فقال الله : بل ولكل عبد مذنب ، فملأت الدهشة نفس موسى ، وقال : يارب : أما الطائع فبطاعته ، فما بال المذنب ؟ فقال ارحم الراحمين : يا موسى ، انى اذا جازيت المحسن لاحسانه وتركت المسىء لاساءته فاين جودى وكرمى وانا الكريم الغفار

وصدق من لا ينطق عن الهوى — صلى الله عليه وسلم — : « اذا أحب الله عبدا ابتلاه ، فاذا صبر اجتباه ، فاذا رضى اصطفاه »

وعن أبى سعيد وأبى هريرة — رضى الله عنهما — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا صب ، ولاهم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه » وروى الترمزى عن أبى هريرة عن أشرف الخلق — صلوات الله وسلامه عليه — : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة »

وعن أبى بكر — رضى الله عنه — قال : قلت : يا رسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الاية : « من يعمل سوءا يجز به » ؟ قال : « غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تصيبك قلة ؟ » قلت : نعم ، قال : « فذلك ما تجزون به » .

وروى الامام البخارى عن رسول الله قوله : « من يرد الله به خيرا يصب منه » .

وروى الترمزى عن رسول الله قوله : « اذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » .

وروى الامام احمد عن رسول الله : « ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة ، فلم يبلغها بعمل ، ابتلاه الله فى جسده او ماله او فى ولده ، ثم صبر على ذلك ، حتى يبلغه المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل » .

وقالت أم العلاء — رضى الله عنها — : دعانى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانا مريضة ، فقال : يا أم العلاء أبشرى ، فان مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد والفضة »

مما يؤيد مانقول من أن الابتلاء دليل حب الله للعبد ان الانبياء كانوا اكثر الناس بلاء ، على الرغم من أنهم أحب عباد الله الى الله ، ولهذا أجاب سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — عن من سأله : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الانبياء ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثمن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الارض ، وما عليه خطيئة » [رواه ابن حبان]

وحدثنا ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : دخلت على النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو يوعك ، فقلت : يا رسول الله ، انك توعك وعكا شديدا ، قال : « أجل ، أنى اوعك كما يوعك رجلان منكم » قلت : ذلك ان لك أجرين ؟ قال : « أجل »

وان المستعرض لقصص الانبياء يرى العجب العجاب ، ويقف مشدوها أمام عظمة صمودهم ، وروعة تحملهم لنكبات الايام ، وصروف الليالى ، لا يزعزع ذلك عقيدتهم ، ولا يفت فى عضدهم ، يقينا منهم بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الشدة ، وأن مع العسر يسرا ، وأن الصابرين يوفون اجرهم بغير حساب .

فنوح — عليه السلام — مكث يدعو قومه الى توحيد الله وعبادته ألف سنة الا خمسين عاما ، لا يتوانى ولا يفتر ، ولا يمل ولا ييأس ومع ذلك فلم يزدهم ذلك الا فرارا ، وقابلوا دعوته بالعناد والاستكبار ، والاصرار ، وسخروا منه ، وآذوه ، ووجهوا اليه عبارات السخف ، وغليظ القول ، حتى بلغ الالم فى نفسه مبلغه ، فكان العاقبة نجاته ومن معه ، وهلاك المعاندين وأهل الباطل بالغرق .

وابو الانبياء ابراهيم — عليه السلام — اختبره الله اختبارين عظيمين : احدهما فى نفسه حينما دعا الى الحق ، وقام بتحطيم الاصنام ، وتآمرت عليه قوى الشرك والطغيان ، وقالوا حرقوه أو أنصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، وجمعوا الحطب ، وأشعلوا فيه النار ، حتى أرتفع لهيبها ، وألقوا بابراهيم فيها ، وصار الخطب عظيما ، والبلاء قاسيا عنيفا ، والهلاك محققا ، فكانت رباطة جأش ابراهيم ، وحسن يقينه ، مدعاة لصدور الامر الالهى : « يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » فزال الكرب ، وتوارت الشدة ، وكانت النار جنة ، والعذاب نعيما .

وثانيهما فى ولده ، وفلذه كبده ، وثمرة دعائه : « رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » ولكن بعد هذا الاستسلام لامر الله وحكمه ، وهذا الخضوع لقضاء الله وقدره فى صبر وايمان ، جاء اليسر بعد العسر : « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

وأيوب — عليه السلام — الذى ضرب به المثل فى الصبر ، ابتلاه الله فى ماله فأهلكه ، فقال : الحمد لله ، هو الذى يعطى ويمنع ، وابتلاه فى أولاده فماتوا جميعا ، فقال : الحمد لله ، هو الذى يحيى ويميت ، وابتلاه فى نفسه بمرض عجز الطب عن معالجته ، وتفاقم الالم لشدته ، فكان رضا نفسه ان يعيش فى البلاء بقدر ما عاش فى الرخاء ، ولكنه بعد سبعة اعوام أحس بأن المرض كاد يصل الى قلبه ولسانه ، فخاف أن يحول ذلك بين حمده لله وشكره هنا فقط بعد أن وصلت الشدة ذروتها ، قال : « رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين » فكانت رحمة الله : « اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » فشرب واغتسل ، وزالت علته ، وعادت صحته كما كانت وأحسن مما كانت ، « ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » وذكره الله فى معرض المدح والثناء : « انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » .

ويوسف — عليه السلام — لاقى من المحن والشدائد ماتنوء بحمله عظام الكواهل ، فقد أمه ولما يزل صغيرا ، وشب بين اخوة يحقدون عليه ، ودبروا مؤامرتهم للخلاص منه ، فالقوه فى البئر عل سيارة غرباء يلتقطونه ويأخذونه الى بعيد ، وضرب عليه الرق وهو الحر الاصيل ، وبيع فى مصر للعزيز بثمن بخس دراهم معدودة وفى قصر العزيز اتهم ظلما بالخيانة وهو الطاهر البرىء ، وسجن غبنا ، فلم يصرفه ذلك عن الدعوة الى الله ، وبعد كل هذه المحن القاسية التى قوبلت بأسمى معانى الصبر والايمان ، جاءه الفرج

البقية ص ١٨٢

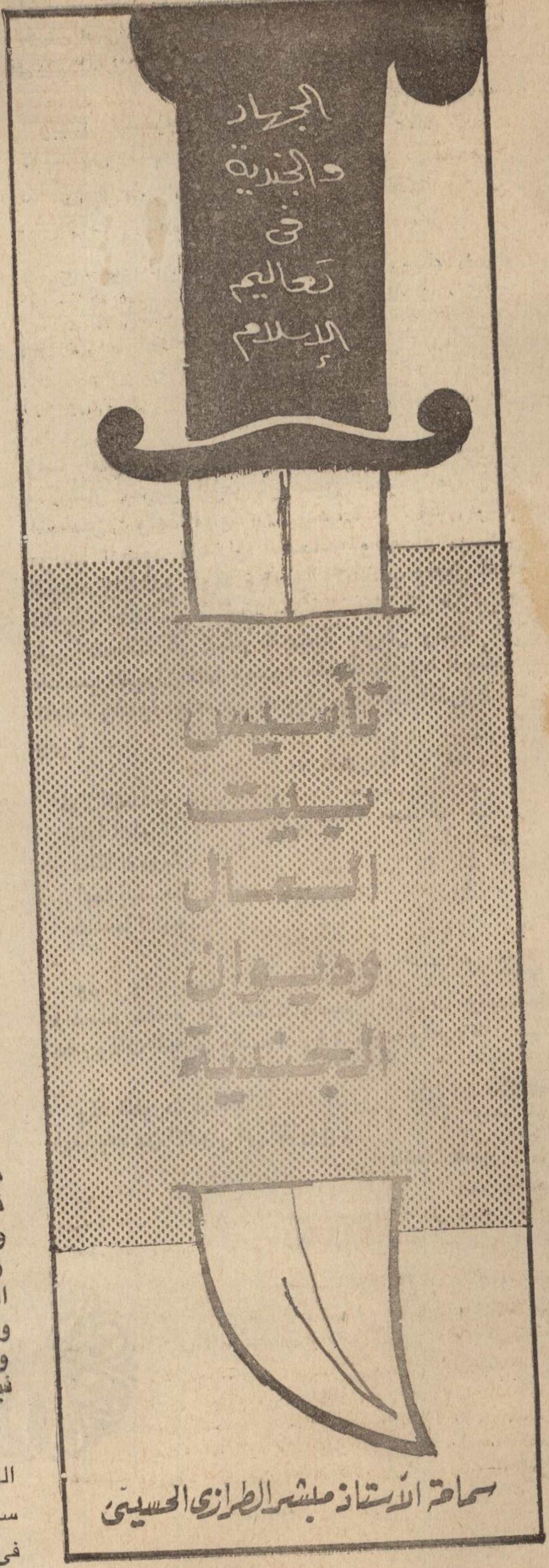

الجهاد والجندية في تعاليم الإسلام

تأسيس بيت المال وديوان الجندية

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

ان أفراد الجيش الاسلامى من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عهد الخليفة الاول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لم يكن لهم مرتب شهرى أو سنوى يأخذونه ، فكانوا فدائيين ومتطوعين فى الدفاع عن الاسلام • وفى سبيل اعلاء كلمة الله ، وكانوا يكتفون باموال الغنائم عند الحصول عليها ، التى كانت تقسم بينهم على حسب الاصول المقررة فى كتاب الله تعالى •

نعم : انهم كانوا يقومون بواجب الدفاع والجهاد ، بدافع من ايمانهم بالله ورسوله ، وابتغائهم رضا الله ورسوله لا يريدون أجرا له من المال ومتاع الدنيا ، بل أن اصحاب المال والثروة منهم كانوا ينفقون أموالهم وما عندهم فى سبيل الله ، فينالون مقام الجهاد بالاموال كما نالوا مقام الجهاد بالانفس ، وقد أنزل الله سبحانه فى شأن أولئك المجاهدين من المهاجرين والانصار قوله الكريم : الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم الاية ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ من سورة التوبة •

ولما جاء عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه قام بتأسيس بيت المال ونظم اعاشة أفراد الجيش وهم جميع البالغين الى سن التجنيد من المسلمين ، فقد قال ابن سعد رضى الله عنه انه كان لابى بكر رضى الله عنه بيت المال وضعه فى نسيج وهو موضع خارج المدينة ، ولم يكن لبيت المال حارس وحينما قالوا له : الا تعين حارسا يحرسه ؟ أجاب قائلا : ان بيت المال له قفل •

نعم : ان التقوى وعلو الاخلاق والامانة فى ذلك العهد بين الناس كان يغنيه عن تعيين حارس •

وكان أبو بكر يعطى مما هو الموجود فى بيت المال للمسلمين على قدر الحاجة والضرورة ولما انتقل من خارج المدينة الى داخله وضع بيت المال فى احاطة منزله ، ثم اجتمعت أموال الغنائم وكانت غير قليل • فبدأ أبو بكر رضى الله عنه يشترى بمقدار منها الابل والخيل والسلاح ويحفظها فى بيت المال وحسابه ويستعمل الابل للحمل والركوب والخيل للجنود الفارسين كما يعطى السلاح لاهله من الرماة وغيرهم • وكان يشترى من البوادى قطائف ويقسمها • بين نساء الشهداء فى المدينة « والارملة فيها • مساعدة لحياتهن » •

ولقد أصبح مشروع أبى بكر أساسا متينا اتبعه فى العمل به سائر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فى سبيل بقاء الجيش الاسلامى واستعداده لتلبية الداعى فى كل حين ، فكانوا يخصصون ميزانية خاصة لشئون

الجيش ونفقات الدفاع والجهاد فى سبيل الله عز وجل .

ديوان الجندية

ولما جاء عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - واتسعت الفتوحات الاسلامية - وفى النتيجة دخلت كنوز وخزائن الملوك والاكاسرة فى ملكية الدولة الاسلامية ، وفى سنة ٥١ من الهجرة (حينما كانت واردات الدولة عبارة عن أموال الزكاة والغنائم فحسب) وصلت قوافل تحمل أحمالا من الذهب والفضة والجواهر الثمينة والثياب الفاخرة متوالية بعضها أثر بعض ، كما أن واردات الخراج والجزية ازدادت فى حجمها ، وكان هذا وذلك بسبب فتوحات الاسلام وانتشاره .

ولهذا اصبحت الدولة الاسلامية فى حاجة شديدة الى تأسيس ديوان مخصوص يقوم بضبط الميزانية وتنظيم وارداتها ومصروفاتها لشئون الجندية وغيرها .

فجمع عمر رضى الله عنه أهل الرأى من رجاله يستشيرهم فى تأسيس الديوان ، وهنا قام خالد بن الوليد (وفى رواية : هشام بن الوليد بن المغيرة) رضى الله عنه وقال : لقد شاهدت ملوك الشام أسسوا ديوانا خاصا لادارة شئون الجندية ، وبهذا قرروا تأسيس الديوان . فبادر عمر رضى الله عنه وطلب أنساب قريش كلها وقال « اكتبوا الناس على منازلهم » ثم بدأ من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، حتى أخذ بطون قريش كلها تحت كتابة النفوس وانتهى بالانصار وبهذا أصبح عمر رضى الله عنه أول من أسس ديوان الجندية ، وكان ذلك سنة ١٥ من الهجرة . وقد قرر عمر رضى الله عنه كتبه ممن يقدرون على الكتابة للادارة (وهذا الديوان وكان يسميه « الديوان » قال صاحب القاموس) الديوان هو الدفتر أو مجتمع الصحف والكتاب يكتب فن أهل الجيش وأهل العطية) وافاد الامام الطبرى فى تاريخه (وفى هذه السنة ١٥ الهجرية عين عمر رضى الله عنه معاشات للمسلمين ، ودون دواوين ، واعطاهم عطايا) والمراد من العطايا معاشات رجال الجيش التى كانوا يأخذونها فى أوقات معينة من العام فى بيت المال . وذلك على حسب تعيين الديوان .

وبهذا التنظيم والاهتمام كان أفراد الجيش الاسلامى يقاتلون الاعداء فى مناطق بعيدة عن أوطانهم ومنازلهم بكل اطمئنان على شئون حياتهم وأهلهم وأولادهم .

وكان هذا الديوان (من ناحية أخرى) يقوم باحصاء نفوس المسلمين ، ولهذا وذلك فانه كان مستمرا فى عهود سائر الخلفاء الراشدين . وخلفاء بنى أمية ، وخلفاء بنى عباس . رضى الله عنهم أجمعين .

ولما انقرض الرجال الذين كانت لهم السوابق والامتياز بمرور الزمن : أصبح الجيش من عامة المسلمين . ولهذا لم يكن لافراده امتياز ، فكان ترتيب مراتب الجنود باعتبار الشجاعة واقتحام ميادين الجهاد والدفاع ، وقد وضعوا الانتخاب وقبول أفراد الجيش الاسلامى شروطا معينة . فكان كل من يرغب فى الانسلاك فى سلك الجندية يعرض رغبته على صاحب الديوان فاذا وجدوه متصفا بشروط الجندية ، تقبلوه وثبتوا اسمه فى الديوان ، وكانت الشروط كما يلى :

أولا الاسلام
ثانيا البلوغ
ثالثا الحرية
رابعا الصحة
خامسا الشجاعة

ومما يذكر هنا : ان هذا الديوان كانت له شعب واقسام كقسم المراسلات وقسم المعاشات وقسم مصروفات الجيش وقسم ادارة شئونه وغيره .

وقد تطورت تشكيلات هذا الديوان تطورات مختلفة فيما بعد من الادوار فى التاريخ .

للبحث صلة

التاريخ الإسلامى

من تاريخ الشعوب

بنو طاهر

بعض الحكام آيا كانت جنسيته يسبق او يتأخر عن الزمن الذى يمثله فيصيب النجاح او الفشـــل – والبعض الاخر من الحكام يسعدهم الحظ فيأتون فى الزمان المناسب لتظهر قدرتهم وعبقريتهم فى الخيراو فى الشر – وفى التاريخ العربى الكثرة الصالحة للاستشهاد بها •

فهذا عمر بن عبد العزيز مثلا وبرغم وقته القصير ومخلفات آبائه وبنى عمه فى الحكم استطاع فى حكمه القصير أن يغير ويشرع وفى سيرته الى اليوم آمثلة يعتز بها كل مسلم ويطالب بتطبيق سيرته من الملوك والرؤساء – وهذا موسى بن نصير وطارق بن زياد وقبله خالد وقتيبة بن مسلم كانوا آمثلة حية للقيادة العربية الناجحة – ثم جاء بعدهم مروان بن محمد آخر ملوك بنى آمية وأحزمهم ولكن الواقع كان ضده لتأخر زمنه وفوات الفرصة ليجىء بعده المنصور العباسى الذى قال لابى مسلم الخراسانى– لا تدل علينا بأعمالك فلو وضعنا محلك عجوزا عمياء لفعلت ما فعلت انما هو حظنا وزمننا – وتبعه المعتصم والمأمون اللذان نجحا بعض النجاح فى وقعة عموريه وفى فتح عصر الترجمة والنقل ولكن دورهما كان صغيرا لا يساوى حجم وامكانيات زمنهما – وجاء المهتدى العباسى الذى قال من العار التاريخى انه لا يوجد فى بنى العباس مثل عمر عبد العزيز فى بنى آمية فلم ينجح •

وعامر عبد الوهاب الذى نتكلم عنه فى آحاديثنا كان فى سباق مع الزمن

وصحيح ان كل المؤرخين اليمنيين كتبوا سيرته من حزمه وآعماله ومآثره الباقية فى السدود والمعاهد والطرق – غير انه جاء فى زمن البرتغاليين والوجود الغربى فى البحور وجاء فى زمن المؤامرة والقرصنة والتوسع الاستعمارى الاقتصادى – فكان الزمن فوق طاقته لذلك فشل وسلم نفسه بعد ملك ٢٨ عاما من الكفاح ولا يلام المرء بعد الاجتهاد ان عـــاكسته الظروف •

عامر عبد الوهاب وزمنه

يحسن بنا آن نقف هنا وقفة يسيرة لنلتفت حولنا على حقيقة الموقف فى هذه الايام وباليمن بالذات حتى يمكن للقارىء معرفة كيف كانت آوضاع الدولة انذاك وما هى الجهود التى بذلت من جهة عامر عبد الوهاب حتى استطاع آن يحول هذا الانهيار الكامل الى بناء

شامخ – ولولا الظروف التى آحاطت به لقدر لدولة الطاهريين آن تصنع الشىء الكبير لليمن •

لقد كان ثلاثة آرباع اليمن تقريبا فى يد الدولة الطاهرية والربع الاخر موزع بين آئمة الشمال ولكن هذا الجزء الكبير من البلاد الذى كان فى يد بنى طاهر كان موزعا بين الاسرة فأهم المناطق الحربية كان يسيطر عليها آعداء السلطان من آخواله وبنى عمه •

أما المناطق الاقتصادية وهى التى ما بين تعز ووادى مور آى تهامة وبعض الجبال الخصبة فقد كانت القبائل تتحكم فيها تؤيد السلطان بالقول وتطلب منه الى جانب الضرائب الهبات وهى ما بين ظاهرة التمرد ومتربصة بالحكم ليس لها هدف الا المزايدة والربح •

دراسة مواطن الضعف أولا

وبدأ عامر عبد الوهاب يفتش بعض مـــواطن الضعف السياسى والاقتصادى فى المنطقة والدولة وترك الاشتباك مع الامامة فى الشمال حتى يصفى حسابه كاملا وينظم الدولة فى الجنوب ما عدا حركات صغيرة ومناوشات كانت تحدث بين الوقت والوقت من جانب آتباعه وآتباع الامامة فى الشمال •

معركة جانبية قادتها النساء ضده

ومن المعارك التى ذكرها التأريخ اليمنى معركته مع اخواله وبنى عمه تحت قيادة الحرة أم يوسف ابن عامر فى عام ٨٩٥ هـ فقد ســد هــؤلاء كل الطــرق الموصلة الى جبن والرباعتين ليقطعوا على الملك الوصول الى مدينة جبن – ومهما يكن فقد آوعز الملك

في اليمن

الأستاذ قاسم غالب أحمد

الى الشيخ عبد الله بن عامر والى بعض أنصاره بمحاصرتهم ولكن المعركة تطورت فقد كان أنصار أم يوسف يتوجهون للاغارة والنهب ثم يعودون الى حصون معدة فى ناحية جبن حتى وصل المغيرون الى محطة السلطان ·

عندئذ اختار السلطان جماعة من خيرة جنده فصعدوا الى المنطقة المفسدة من كل جهة وأخذوا يطوقونها ويقطعون على الخارجين كل منافذهم الامر الذى سلم على أثره بعض القادة نفسه الى أنصار عامر تلا ذلك فرار القائد المدبر عبد الله بن عامر ·

وبعد كل ما حدث طلبوا مع الحرة الصلح والعفو من السلطان وسلموا الحصون التى استولوا عليها فعفى عنهم الملك عامر الا انه احتفظ بالحرة أم يوسف التى كانت السبب فى بيتها لانها كانت هى المثيرة للفتنة كما قال بعض المؤرخين ·

التصحيح الشجاع

بعد كل ما سبق اتخذ الملك خطوتين على جانب كبير من الخطورة

أولاهما لتأديب قبائل تهامة الذين انتهزوا فرصة اضطراب الامور فقطعوا الطرق ونهبوا الاموال فسير اليهم ابن عمه محمد بن عبد الملك الذى نجح فى كسر شوكة قبائل المعازبة وجباية الضرائب للدولة من الاهالى حتى وادى مور ·

الخطوة الثانية وهى فى عام ٨٩٥ هـ اتجه الملك عامر بها ناحية ذمار فقد كان الشريف محمد بن على السراجى يعد نفسه للامامة بعد أن دعا لنفسه وكان أقوى أئمة الشمال مالا وأتباعا وعرفه التاريخ بالامام الوشلى - وقد اتصل السراجى هذا بأهل ذمار وشجعهم على الخروج على الدولة الطاهرية وأن يقيموا حصنا حول المدينة ولما علم الملك عامر بذلك اتجه اليهم بنفسه وهاجم المدينة واستولى عليها وألزم أهلها بهدم الحصن ·

واكتفى بهذا التأديب تاركا أئمة الشمال مكتفيا بالاصلاح الادارى فى الجنوب الى أن تحرك فى عام ٩٠٧ نحو صنعا كما سيأتى - وكانت هذه الاعوام وحتى سنة ٩٠٣ هـ تحمل طابع الاصلاح الداخلى بعد أن استطاع الملك وقف غارات القبائل على بعضها وعلى بعض الطرق التى بين عدن وتعز من جهة وبين تعز وزبيد من جهة اخرى ولاستتاب الامن فقد اجرى على بعض القبائل مرتبات شهرية وسنوية وألزم كل بلاده بحفظ الامن فى طرقها

وفى عام ٩٠٢ هاجم قبائل يافع التى هزمت أمامه واستسلمت وأخلصت بعد ذلك فكانت من أخلص القبائل للدولة الطاهرية فى أيامه كما قال المؤرخون ·

مؤامرات للاغتيالات

من اشهر مؤامرات الاغتيالات السياسية المؤامرة التى ذكرها المؤرخون والتى استهدفت قتل الامير محمد بن عيسى البعدانى فى زبيد ومؤامرة أخرى استهدفت الملك عامر عبد الوهاب نفسه والتى تزعمها ابن عمه أحمد بن محمد بن داود - أما أخطر المؤامرات وأدهاها تلك المؤامرة التى حاك أطرافها احد اليهود فقد كان المقصود بتلك المؤامرة ان تقع الفتنة فى صفوف جيش الملك عامر اذ أصبح الناس ذات يوم من شهر صفر عام ٩٠٥ هـ واذا بابن مخارش صاحب الجوف مقتولا فى معسكر الملك برداع العرش ·

وعبثا حاول السلطان أن يعرف القاتل وكادت الفتنة أن تقع بين القبائل واشتد اهتمام الملك بهذا الامر وانطلقت عيونه تتحسس أخبار هذه المؤامرة وسرعان ما انكشف للملك عامر أطرافها ·

فقد كان هناك أحد اليهود المتحصنين بعيدا عن نفوذ الدولة فى بيحان يجمع حوله اليهود والمتهودين والخونة والخارجين - وكان اذا هاجمه أحد قادة الدولة وأحس بالخطر يتهدده لجأ الى الربع الخالى يتوارى فيه فلا يستطيع أحد اللحاق به - استعمل هذا اليهودى بعض الرجال من القبائل القاطنين حول صعده فتسللوا الى معسكر السلطان وقتلوا ابن مخارش كما قدمنا فى ظروف غامضة ·

وقد ظن الملك عامر فى بادىء الامر ان قبيلة بنى عيدهم المدبرون والمنفذون للقتل فلما قصدهم لتأديبهم لجأوا الى رأس الفتنة وهو اليهودى الذى جند اليهود والمتهودين فى بيحان فعرف الملك عامر حقيقة الامر ·

حينئذ وبعد معرفة خيوط المؤامرة أوعز الملك للامين على بن محمد البعدانى فى التقدم بيقظة مع بعض الجيش وأمره بأن يسد منافذ الربع الخالى الذى يلجأ اليه اليهودى مع أعوانه ·

ثم تقدم الملك بنفسه الى ناحية بيحان فى تراخ موهما انه انما يقصد بهذه الرحلة الاستجمام والصيد

والقنص وكان هكذا ينتقل من مكان الى مكان بدون أن يشعر أحد بالقصد الى أن اقترب من بيحان فانقض بمن معه فى سرعة على اليهودى وأعوانه ورغم المحاولة التى قام لها زعيم اليهود والفرار الى جهة الربع الخالى حسب العادة وجد الطرق قد سدت عليه بجيش الامير البعدانى فوقع بين يدى أنصار الملك لقمة سائغة هو ومن معه من أعوان وأموال •

وهنا يتبادر الى الاذهان سؤال تتطلبه الاجابة

هل كان وجود هذا اليهودى فى المنطقة وتآمره على الدولة التى تشق طريقها الى الرسوخ

هل كان وجوده وحركته المشبوهة ذاتيا أم أن قوى استعمارية خارجة كانت تدفعه وتستعين به وترسم له طريق العمل •

اننا نميل الى أن هذه الحركة كان لها ما وراءها ففى هذا التأريخ تحركت رسل ملك البرتغال الذى عرفها العالم وفى هذا الوقت وصلت الرسل الى عدن من بعض الدول الاستعمارية لجمع المعلومات وللاستطلاع البحرى والتجارى وقد ذكر المؤرخون الكثير من هؤلاء الرسل والمستشرقين وخفى عنهم البعض الاخر فلم تكن السياسة موحدة بين الاقطار العربية ولا بين بعضها فالمماليك فى مصر يعملون ويبحثون ضد البرتغاليين وتركيا كذلك على حد قول المؤرخين واليمن وشعبها كانت بعيدة عن كل ما يجرى من مخططات خارجية والباحثون والمؤرخون الى اليوم لا يزالون فى حاجة الى بحث كل ما كتب عن هذه الفترة بالذات وان كان الكثير مما كتب عن هذه الفترة قد نقلت بواسطة المستشرقين والبحار الى مكتبات الغرب الدينية والحكومية •

فقد أخبرنى بعض الطلاب من اليمنيين أنه وجد فى بعض المكتبات التابعة للكنيسة فى ايطاليا ما يزيد على ثلاثمائة كتاب كلها عن اليمن منها مخطوطات وأفلام •

نقول وليس من المستبعد بل من المرجح أن يكون هؤلاء الرسل قد اتصلوا بيهود اليمن وساوموهم على اضعاف الدولة الطاهرية وضربها من الداخل اذ أن اضعاف الدولة الطاهرية الفتية يضمن للطرق والتجارة والمخطط الاستعمارى النجاح •

وكان البرتغاليون يعملون حسابا كاملا للسفن والملاحة الطاهرية فى البحر الاحمر ومنافذ المحيط الهندى للجزيرة •

لابد من صنعا وان طال السفر

وفى عام ٩٠٧ كانت الامور قد استقرت فى كل الجنوب اداريا وسياسيا للملك عامر الذى اطمأن لذلك وغفل كل الغفلة او بعضها لما يحيط باليمن من الخارج لكل ذلك فقد جمع الملك الجيوش الكثيرة على حد تعبير صاحب أنباء الزمن وسار بجيشه عن طريق ذمار الى صنعا قاصدا توحيد اليمن كل اليمن تحت دولة واحدة ووصل الى جول صنعا فى شهر شعبان من هذا العام غير ان مدينة صنعا صمدت صمودا لم يعهد خشية من انتقام الملك ثم راسل أهل صنعا الامام الوشلى والامير محمد بن الحسين الحمزى صاحب صعدة ليحموهم من الملك عامر •

وكان الملك قد أحكم الحصار على صنعا لغرض الاستسلام من داخلها فلم يشعر مع جيشه الا بجيش الوشلى والحمزى يهاجمون جيش عامر عبد الوهاب فتصدى لهم الامير البعدانى ونال منهم ونالوا منه وبعد صراع دام خمسة أشهر قرر الملك أن يعود الى ذمار مع بعض القادة فعاد فى المحرم من سنة ٩٠٨ هـ وفى هذا العام ظهرت مراكب البرتغال المهاجمة فهاجموا مدينة عدن وغيرها من المدن الساحلية اليمنية ودارت معارك عنيفة فى كل سواحل اليمن الامر الذى أصيبت فيه سفن تابعة للدولة الطاهرية ومن هنا بدأ الضعف فى قوة الدولة البحرية •

وكان هذا الحادث بداية التحولات الخطيرة فى مستقبل اليمن وفى اضعاف وهز كيان الدولة الطاهرية ـ فقد بدأت التجارة وهى أهم موارد البلاد والدولة تضعف كما بدأ الارتباك والحذر من التجار المحليين ـ وبدأت عدن عروس البحر الاحمر وقلعة اليمن الاقتصادية تتزعزع وتفقد ثقتها التى اكتسبتها لمدة طويلة فى المجال التجارى وبدأ الاهالى والجاليات تتأهب للارتحال منها بعد أن والى البرتغاليون الهجوم عليها وانصرفت السفن عن الرسو فيها خشية من السفن الحربية التجارية فوقف الصادر والوارد من اليمن عن طريق عدن

كدابغة وقد حلم الاديم

ومن سوء حظ الملك عامر عبد الوهاب أن عاصر هذه الفترة بعقلية الحاكم اليمنى المحلى الذى دربه أهله ومن التجارب التى مرت به على ذلك ـ ولو قدر لهذا الملك الحازم أن يسبق هذه الحوادث بفترة من الزمن وتمكن من توطيد أسباب الملك لنفسه لكان من أكبر العوامل ومن أقوى المراكز المواجهة للغزو البرتغالى والاستعمارى فى جنوب الجزيرة العربية •

ضحية عوامل الماضى والعصر المفترس

ولكن الامر تأخر بهذا الملك حتى كان ضحية عوامل وعصر سبقه واذا كان المعرى يقول هذا جناه أبى على فعامر عبد الوهاب وضع أمام قدره الذى كان فوق طاقته ومنها تركت الاشتباكات مع امامة الشمال التى ورثها عن آبائه عن طريق الاخذ بالثأر والمذهبية •

فقد كانت العصبية المذهبية بين الشمال والجنوب قد قطعت شوطا بعيدا وأصبح الامر بعد أن حدد السيد أحمد المرتضى المذهب الامامى وأدخل عليه مع شلة من العلماء ملامح جديدة تعطى التابع حقوقا دنيوية الى جانب وعد الفوز بالاخرة ـ فأصبحت كل هذه الامور مع حركات بعض بنى عمه الطامعين تسد على الملك كل منافذ التفكير الى مواقع الخطر الخارجى القادم

وغالب الظن أن الفكر اليمنى عامة كان محدودا وجامدا آنذاك فلم يقدر أى أحد من القادة والمفكرين